

٢٠١٠٢٠٠٠٣٩٧٧

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين  
قسم الكتاب والسنة  
الدراسات العليا

٢٩٧٧

# التوكل على الله في القرآن الكريم

((دراسة في التفسير الموضوعي))

((رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير))

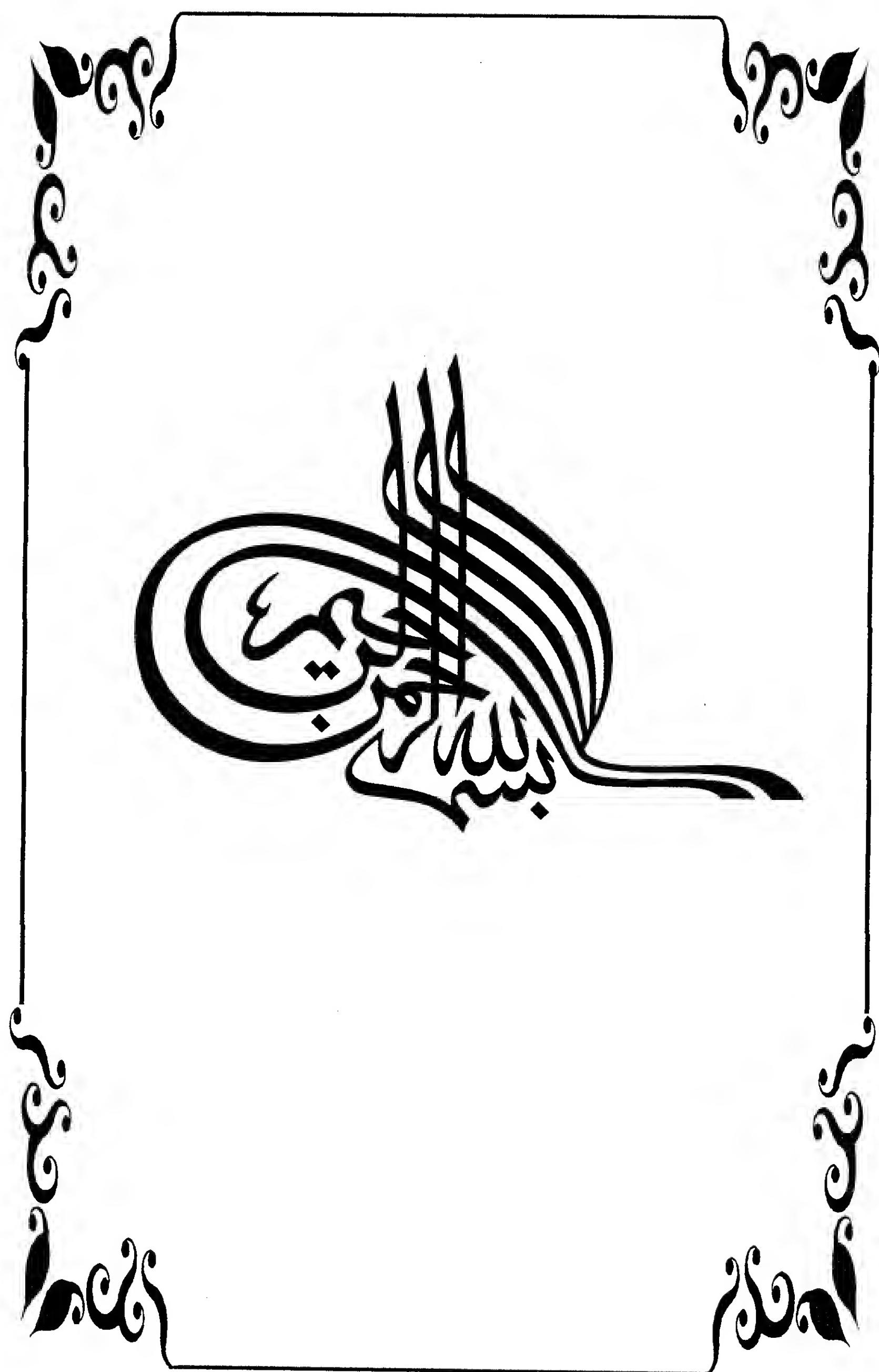
إعداد الطالبة

معتوقه بنت محمد حسن بن زيد بن حسان الحساني

إشراف فضيلة الدكتور /

عبد الحميد عبد الأمين

العام الدراسي ٢٠٠١ / ١٤٢١



## محتويات الملخص

الحمد لله العظيم والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وبعد :  
فهذا بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، وهو بعنوان " التوكل على الله في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي "، والهدف منه هو معرفة خلق من أخلاق القرآن الكريم ومدى أثره في العقيدة والنفس المؤمنة وارتباطه في كل عمل وعبادة دنيوية أو أخرى .  
وتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وفصول سبعة، وخاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن أسباب اختيار الموضوع وأهميته وخطبة البحث ومنهجية البحث .  
وفي التمهيد ذكرت تعريف التوكل ، والتواكل ، وموارد التوكل في القرآن والسنة ، وذكرت الفرق بين التوكل والتواكل ، وذكرت أيضاً فضل التوكل على الله وآثار التواكل السلبية على الفرد والمجتمع .

وبعد التمهيد تأتي الفصول السبعة، التي تضمنت :  
الأول: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالإيمان .  
والثاني: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي .  
والثالث: تضمن الحديث عن التوكل على الله وعلاقته بالأسباب .  
والرابع: تضمن الحديث عن بواعث التوكل على الله .  
والخامس: تضمن الحديث عن مواطن التوكل على الله .  
والسادس: تضمن الحديث عن ثمرات التوكل على الله .  
والسابع: تضمن الحديث عن التوكل على الله وأثره في تربية الفرد وبناء المجتمع، وفي جميع الفصول السابقة كانت هناك مباحث معنونة تقيد موضوع وعنوان الفصل .

أما الخاتمة فذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها، ومنها :

- ١ - إن التوكل على الله خلق عظيم يجدر بنا الحفاظ عليه والتمسك به في كل مجال من مجالات حياتنا ويكون نبراس طريقنا للمضي في هذه الحياة الدنيا .
- ٢ - يتضح لنا من خلال هذا البحث أن التوكل على الله عقيدة وخلق في نفس الوقت للمؤمن .
- ٣ - التوكل على الله له فضل عظيم لمن التزم به وتأتي ثمراته عاجلاً أو آجلاً .  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

١٠٩٩

معنوقه محمد حسن زيد حسان الحساني د. عبد الحميد عمر الأمين

وزير

## الدراسات السابقة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على اشرف المسلمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد :  
فكمما أن التوكل على الله من الموضوعات المهمة في حياة المؤمن ؛ كذلك فان من يتصدى للبحث  
علمي بحاجة إلى من يعينه على مشاقه . وقد تناول موضوع التوكل على الله جماعة من المتقدمين والمؤخرين ،  
من هؤلاء من جعله بابا في كتاب ، ومنهم من جعله مؤلفا خاصا . ومن المتقدمين :

١ - الحافظ ابن أبي الدنيا وكتابه (التوكل على الله )

٢ - الحارث بن أسد المخاسبي وكتابه (المكاسب والرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله )

٣ - الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في كتابه ( تلبيس إبليس )

٤ - الحافظ المقدسي في كتابه ( مختصر منهاج القاصدين )

٥ - الإمام محمد أبو حامد الغزالى في كتابه ( إحياء علوم الدين )

أما المؤلفات الحديثة التي تناولت الموضوع ، فمنها كتب ومقالات ، ودراسات علمية ومن هذه

آخرة :

١ - رسالة دكتوراه للأستاذ سالم بن محمد القرني الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب، هي بعنوان ( التوكل على الله حقيقته - مترنته - فضله - خصائصه -

ثمراته )

٢ - رسالة ماجستير للأستاذة منيرة محمد المطلق المعيد بجامعة التربية بالرياض قسم الدراسات الإسلامية

القرآنية ، هي بعنوان ( التوكل على الله وعلاقته بالأسباب وموقف الطوائف الإسلامية من ذلك )

ومن المؤلفات :

١ - كتاب ( التوكل على الله ) للدكتور عبد الله بن عمر الدميري عميد كلية الدعوة وأصول الدين

أم القرى .

٢ - كتاب ( التوكل على الله ) للدكتور يوسف القرضاوي .

٣ - كتاب ( التوكل على الله وأثره في حياة المسلم ) للدكتور عبد الله بن الجبار الله .

ومتابعة لتلك الدراسات العلمية يجد لها تتجه للجانب العقدي منها وإيراد للأحاديث التي جاءت في معنى  
لتوكل أو عن التوكل ذاته . وأما بالنسبة للدراسة التي قمت بها ، فقد اتجهت إلى منحى آخر لا وهو الاتجاه

التفسيري الجديد لموضوعات القرآن الكريم الذي احتوى على :

أولا - لون جديد من التفسير للقرآن حسب الموضوعات التي اشتمل عليها ، وهو ليس تفسيرا بالمعنى

الاصطلاحي المألوف ، بل هو جمع لآيات الواردة في الموضوع من مختلف سور القرآن ، ثم تصنيفها ،

والاستنبط منها ، أو التعقيب عليها ، وقد عرفنا منها نموذجا في القديم يتمثل في كتاب ( التبيان في أقسام

رآن (لإمام ابن القيم . وأرى والله أعلم أن هذا اللون من التفاسير القرآنية جد نافع ، وخاصة في عصرنا يغنى عنه وجود التفاسير الكاملة للقرآن كله للقرآن على النسق المألف ، فيصبح على القارئ موضوعات قرآن أن يجد الموضوع والأيات القرآنية كلها مجتمعة في مؤلف واحد ، مفسرة مبينة المعاني .

ثانيا - إن هذه الدراسة بهذا اللون الجديد تفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات ؛ ليحاول كل منهم تجلية ما يتعلق باختصاصه من القرآن ، بصورة أعمق مما لو تناوله غيره .

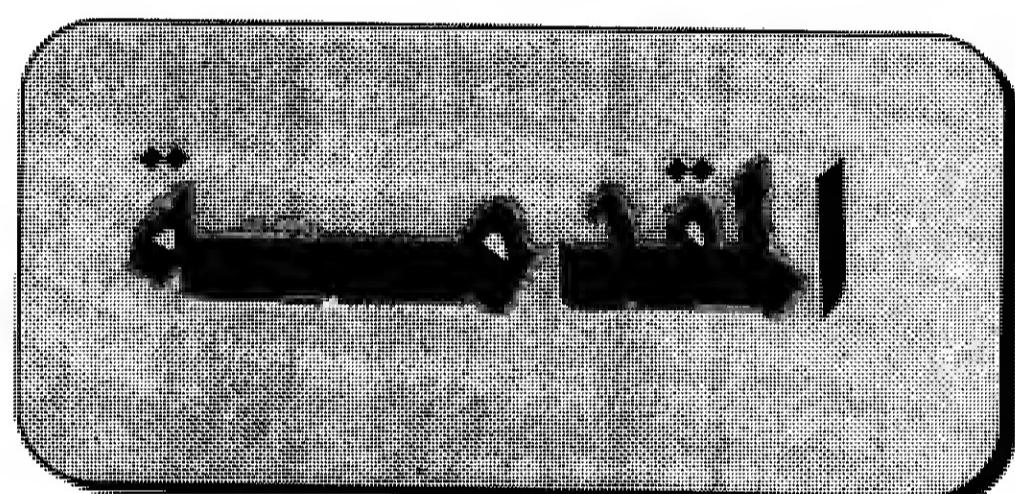
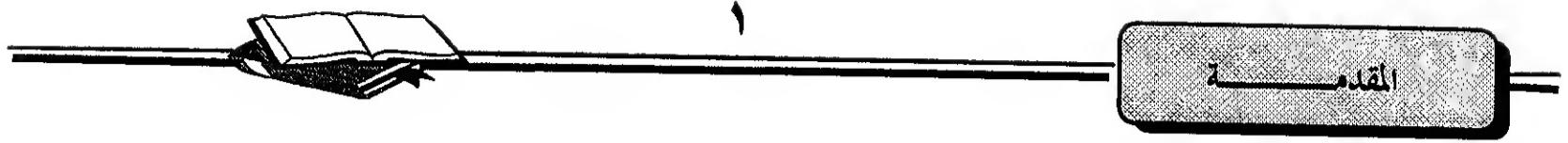
ثالثا - في هذه الدراسة بيان لأعجاز القرآن الكريم ، يتمثل في معنى القرآن وسعة ما احتوى عليه من موضوعات قيمة تعد بالمئات ، بل بالآلاف مع أنه كتاب محدود الصفحات .

رابعا - في دراستي اعتماد كلى على كتب التفسير المعتمدة ، رواية ودرائية ، بحيث يتم نقل كلام فسرين في كل آية وردت عن التوكل على الله ثم ربط تلك المعاني التفسيرية فيما بينها ليحصل التناسق وهذا انفردت به دراستي .

خامسا - في دراستي ذكر لمفردات المعاني المرادفة للتوكّل وهذا أيضا انفردت به الدراسة .

سادسا - انفردت دراستي بذكر الآثار السلبية للتوكّل .

سابعا - كذلك انفردت دراستي بذكر الآثار المترتبة على التوكّل على الله في بناء الفرد والمجتمع صلاحهما .



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفر له ونستهديه وننعواز بالله من شرور أنفسنا وسیئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاحد في الله حق جهاده، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد يسر الله تعالى لي الالتحاق بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة دراسات عليا لمرحلة الماجستير، ولما كان لابد لكل طالبة بهذا القسم من اختيار موضوع معين للحصول على درجة الماجستير اشرح صدري لاختيار موضوع من موضوعات القرآن، فالقرآن الكريم هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم، وهو أجل الكتب وخاتمها، فقد أودع فيه - سبحانه - علم كل شيء، فهو أصل العلوم، منه تستمد، وعليه فيها يعتمد.

لذا فقد اهتم علماء الإسلام - رحمهم الله - بالقرآن العظيم، واعتنوا به فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في رسمه وقراءاته، ومنهم من ألف في ناسخه ومسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نزوله، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في أمثاله، ... إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة، ولم يتركوا جانباً من علومه إلا تناولوه بالبحث والدراسة ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب العظيم علوماً جمة، ومن هذه العلوم اللون الجديد من تفسير القرآن الكريم موضوعياً، والذي ينتقل الآن في مدارج التكوين، ليأخذ طوراً جديداً في وجهته، وطريقة عرضه وبحثه، وفي نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، حتى يصبح فناً من فنون التفسير القرآني متميزاً عن غيره ليجيء عظمة القرآن ويبرز وجهه من وجوه إعجازه وعلى هذا الأساس اختارت موضوع "التوكل على الله في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي" فقد سبق وأن تكلم فيه من المتأخرین والمتقدمن و من الدراسات الحديثة في هذا الموضوع كتاب عبدالله الدميжи (التوكل على الله وعلاقته

بالأسباب)، كذلك للدكتور سالم القرني في كتابه (التوكل على الله حقيقته ومنزلته وفضله وخصائصه وثمراته)، وكذلك الاستاذه منيره المطلق في رسالتها (التوكل على الله وعلاقته بالأسباب وموقف الطوائف الإسلامية من ذلك).

وقد قمت بعمل دراسة مقارنة للثلاث الموضعين وبين موضوعي (التوكل على الله في القرآن الكريم دراسة في التفسير الموضوعي) حيث أتيت ووضحت فيه طريقة منهجية مختلفة عنهم، فإن المتبع للكتب الثلاثة يشعر بالناحية العقدية، أما عن دراستي فقد أخذت الجانب التفسيري منها، وعلى هذا الأساس وافق عميد كلية الدعوة وأصول الدين على الموضوع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أموراً عدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي باختصار :

- ١ - ما كان من حث وتحفيز من قبل أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالقسم سابقاً / عبدالستار فتح الله سعيد.
- ٢ - إعجابي الشديد وحببي لمادة التفسير وعلوم القرآن منذ مرحلة البكالوريوس.
- ٣ - افتقار المكتبات الإسلامية إلى موضوعات القرآن بالمقارنة لموضوعات السنة المطهرة.
- ٤ - وفرة مصادر ومراجع مادة التفسير .

أما خطة البحث فيمكن عرضها بإيجاز في الآتي :

قد اقتضى وضع البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وفصل سبعة رئيسية :

أولاً: المقدمة وتتضمن :

أ- أسباب اختيار الموضوع .

ب- خطة البحث .

ج- منهج البحث .

ثانياً: التمهيد ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف التوكل والتواكل لغة واصطلاحاً.

**المطلب الثاني:** موارد التوكل في القرآن والسنة وبيان المراد والمقصود منه.

**المطلب الثالث:** الفرق بين التوكل والتواكل .

**المطلب الرابع:** فضل التوكل على الله .

**المطلب الخامس:** آثار التواكل السلبية على الفرد والمجتمع .

**ثالثاً :** الفصل الأول : التوكل على الله وعلاقته بالإيمان بالله ، وفيه :

**تمهيد وثلاثة مباحث :**

**المبحث الأول:** التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن .

**المبحث الثاني:** التوكل على الله من أعمال القلوب.

**المبحث الثالث:** أحوال المتكفين.

**- الفصل الثاني:** التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي ، وفيه :

**تمهيد ومبثاثن :**

**المبحث الأول:** التوكل على الله من أخلاق الأنبياء.

**المبحث الثاني:** التوكل على الله من أخلاق المؤمنين.

**- الفصل الثالث:** التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ، وفيه:

**تمهيد وخمسة مباحث :**

**المبحث الأول:** أركان التوكل على الله .

**المبحث الثاني:** التوكل على الله من أسباب النصر.

**المبحث الثالث:** القدرة والمشيئة والأسباب .

**المبحث الرابع:** الأعمال التي يعملها العباد في تحقيق التوكل.

**المبحث الخامس:** مجال التوكل على الله .

**- الفصل الرابع:** بواعث التوكل على الله ، وفيه :

**تمهيد وأربعة مباحث :**



المبحث الأول: رسوخ معاني أسماء الله الحسنة وصفاته في النفس.

المبحث الثاني: حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه.

المبحث الثالث: استسلام العبد وافتقاره لله سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع: حسن جراء المتقين .

- الفصل الخامس: موانع التوكل على الله، وفيه :

تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه .

المبحث الثاني: ضعف اليقين بالله تعالى .

المبحث الثالث: التكبر على آيات الله .

المبحث الرابع: الغرور والعجب بالنفس.

المبحث الخامس: الهوى والشهوات .

- الفصل السادس : ثمرات التوكل على الله، وفيه :

تمهيد وسبعة مباحث :

المبحث الأول: تحقيق الإيمان.

المبحث الثاني: السكينة والثبات .

المبحث الثالث: الأمل والرجاء.

المبحث الرابع: محبة الله تعالى ودخول الجنة بلا حساب.

المبحث الخامس: الرضا والصبر .

المبحث السادس: العزة والقوة .

المبحث السابع: يقي من سلط الشيطان والسحر والحسد والعين.

المبحث الثامن: كشف الهم والكرب .



**المبحث التاسع:** يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار .

**المبحث العاشر:** الدخول في كنف وكفاية الله .

**المبحث الحادي عشر:** الفوز والغلبة .

**المبحث الثاني عشر :** التسليم بالقضاء والقدر .

- **الفصل السابع :** التوكل على الله وأثره في تركيبة الفرد والمجتمع، وفيه:

**تمهيد ومبثان :**

**المبحث الأول:** أثر التوكل على الله في تركيبة الفرد .

**المبحث الثاني:** أثر التوكل على الله في تركيبة المجتمع .

**أما منهج البحث فهو كالتالي :**

- ١ - قمت أولاً بجمع الآيات القرآنية التي فيها لفظ التوكل ومشتقاته، ثم صنفتها وقسمتها إلى عناصر.
- ٢ - وضعت كل آية في مواضعها من العناصر وإن تكررت .
- ٣ - قمت بتفسير الآيات من كتب التفسير المعتمدة بلا تكلف، وضم المعاني المتصلة بالموضوع والعنصر اتصالاً وثيقاً.
- ٤ - استشهدت بالأحاديث النبوية إن أمكن لكل عنصر من عناصر الرسالة وأحياناً قد يتكرر الحديث في أكثر من عنصر بحسب الحاجة للاستشهاد به.
- ٥ - قمت بعمل تمهيد لكل فصل من الفصول أبين فيه مجلل مباحث الفصل.
- ٦ - قمت بعزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية .
- ٧ - قمت بتخريج الأحاديث من الكتب الميسرة لدى، والمعتمدة فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك في تخريجه، وإن كان من غيرهما بحثت عنه وذكرت تعليقات العلماء عليه إن كان لهم عليه تعليق وإن تكرر الحديث أحاطت على ما ذكرت أولاً، ولم أشترط على نفسي تخريج ودراسة الأسانيد للحديث فرحم الله أمراً عرف قدر نفسه .

- ٨- قمت بترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة واستثنيت من الصحابة الخلفاء الأربع والمشاهير - رضي الله عنهم.
- ٩- وبالنسبة للأعلام اكتفيت بذكر اسم العلم ولقبه أو كنيته وتاريخ ولادته ووفاته إن وجد في المصادر وبعض أعماله.
- ١٠- ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها نتائج البحث.
- ١١- قمت بعمل فهارس للآيات القرآنية وبيان مواضعها مرتبة حسب ترتيبها في القرآن، وكذلك فهرست الأحاديث وبيان مواضعها بحسب ترتيبها الأبجدي، أما فهارس الأعلام فهي مرتبة حسب الترتيب الأبجدي للاسم الأول منها ثم فهرست للمصادر والمراجع مرتبة حسب الترتيب الأبجدي، وفهرست أخيرا الموضوعات التي تضمنتها الرسالة.

إن ديننا الإسلامي الحنيف دين عقيدة وأخلاق شريعة ومعاملة، فقد أمر الحق تبارك وتعالى عباده بالشكر حيث قال: ﴿فَآذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا إِلَّا وُدَّ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِيهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ إِنَّا أَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنَّ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِيهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وعلمنا رسولنا الهدى أنه: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسُ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٢) سورة سباء، الآية ١٣.

(٣) سورة لقمان، الآية ١٢.

(٤) أخرجه أبو داود في سنته، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ٤/٢٥٥؛ كما أخرجه الترمذى في كتاب البر والصلة، باب ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال هذا حديث حسن صحيح، واللفظ له، ٤/٣٣٩؛ والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة، ٢/٢٥٨.

واعترافاً بفضل ذوي الفضل، أقدم جزيل شكري وامتناني لشيخي فضيلة الدكتور / عبدالحميد الأمين الذي عاش معي البحث بسعة صدر ورحابة نفس، ورعاية أبوية حانية، فكان المربي والموجه، وأعطاني من وقته الثمين الكثير من غير ملل ولا ضجر فجزاه الله كل خير ووهبه الصحة والعافية، ونفع بعلمه الإسلام وال المسلمين .

وأقدم شكري إلى والدي اللذين غرساً في حب العلم والجد والاجتهداد ولم يبخلا على بشيء من العطاء، فرحم الله والدي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الصديقيين والشهداء والأخير والأبرار، وأطال الله بقاء والدتي الحبيبة ومتعها بالصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر ، والامتنان ، وفائق الاحترام إلى زوجي الكريم، صاحب الفضل أيضاً في تكميل مسيرتي التعليمية فقد بث في العزيمة على مواصلة الطريق، - حفظه الله تعالى .-

كما أتقدم بجزيل الشكر لأخوتي وأخواتي وأبناءهم الكرام الذين مدوا يد العون والمساعدة لي فأحسن الله إليهم وجزاهم خير الجزاء .

كما أزجي شكري وتقديرني لكل من مدد المساعدة من قريب أو بعيد سواء كان بمشورة أو إعارة كتاب، أو دعالي دعوة، أو بذل لي جهده في النصح والإرشاد وللقائمين على خدمة العلم وطلابه بجامعة أم القرى - وفقهم الله وسدد خطاهم-، سائلة المولى القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع قريب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## التمهيد

### المطلب الأول : تعريف التوكل والتواكل لغة واصطلاحا :

أ- **التوكل في اللغة:** إظهار العجز والاعتماد على الغير<sup>(١)</sup>.

والوكيل فعال بمعنى مفعول: الذي يقوم بأمر موكله، وسمى وكيلاً لأن موكله به قد وكل إليه القيام بأمره، فهو موكل إليه الأمر<sup>(٢)</sup>.

"والوكيل" في أسماء الله هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقة أنه يستقل بأمر الموكول إليه<sup>(٣)</sup>.

وربما فسر الوكيل بالكافيل، والوكيل أعم لأن كل كفيلي وكيل، وليس كل وكيل كفيلي<sup>(٤)</sup>.

فالاسم من توكل: **التَّكَلُّن** بضم التاء-: يقال اتكل على فلان في أمره إذا اعتمدته<sup>(٥)</sup>، واتكلت على فلان في أمره إذا اعتمدته<sup>(٦)</sup>.

**وَوَكَلَ** بالله، **وَتَوَكَّلَ** عليه، واتكل : استسلم إليه<sup>(٧)</sup>.

(١) محمد بن أبي بكر الرازى، مختار الصحاح، (بيروت، دار الفكر، ص ٧٣٤؛ مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزى أبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (تط الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة) ص ١٣٨١.

(٢) أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط ١٣٨٤هـ، الدار المصرية للتأليف والنشر)، (٣٧١/١٠).

(٣) أبي السعادات المبارك بن محمد الجوزي ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر الزاوي ، ومحمد الطناحي ، (تط ١٣٨٣هـ—، المكتبة الإسلامية)، (٢٢١/٥) مادة وكل ،

(٤) الراغب الأصفهانى، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (دار الفكر بدون تط) ص ٥٦٩.

(٥) محمد بن أبي بكر الرازى، المصدر السابق، ص ٧٣٤.

(٦) أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (تط الثالثة ١٤١٤هـ—، بيروت، دار صادر)، (١١/٧٣٦).

(٧) المصدر نفسه، (١١/٧٣٤).

وَوَكَلَ بِاللهِ يَكِلُّ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَأَوْكَلَ وَاتَّكَلَ: اسْتَسْلَمَ إِلَيْهِ، وَوَكَلَ إِلَيْهِ  
الْأَمْرُ وَكَلَّا وَوُكُولًا: سَلَمَهُ وَتَرَكَهُ، وَرَجَلَ وَكَلَّا، مَحْرَكَةٌ، وَوُكَلَةٌ وَتُكَلَّةٌ،  
كَهْمَرَةٌ<sup>(١)</sup>.

وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ: الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ كَافِلُ رِزْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَيُرْكَنُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ  
وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ<sup>(٢)</sup>.

### ب - التوكل في الاصطلاح :

عُرِفَ التوكل على الله بتعاريف عديدة منها .

عُرِفَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٣)</sup> بِقَوْلِهِ "الْتَّوْكِلُ: عَمَلُ الْقَلْبِ"<sup>(٤)</sup>.

وَعُرِفَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ<sup>(٥)</sup> بِأَنَّهُ "الْتَّسْلِيمُ الْأَمْرُ إِلَى مَنْ هُوَ بِيْدِهِ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى  
قِيَامِهِ بِالْأَمْرِ وَالْاسْتِغْنَاءُ بِفَعْلِهِ عَنْ فَعْلَكِ"<sup>(٦)</sup>، وَعُرِفَهُ كَذَلِكَ بِالْاسْتِعَانَةِ .

وَعُرِفَهُ سَهْلُ التَّسْتَرِي<sup>(٧)</sup> بِأَنَّهُ "الْاسْتِرْسَالُ مَعَ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَرِيدُ"<sup>(٨)</sup>.

(١) الأصفهاني، المصدر السابق، ٥٦٩.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق، (٧٣٤/١١).

(٣) هو الإمام أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، توفي ٢٤١هـ. انظر: لابن كثير، البداية والنهاية (١٠/٣٢٥)؛ ولابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩٦/٢).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين (بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٤٠٨هـ)، (٢/١١٤).

(٥) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، توفي ٧٥١هـ. انظر: لابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، (٤٤٧/٢) ترجمة ٤٥٢.

(٦) المصدر السابق، (٢/١٢٦).

(٧) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري، أحد أئمة الصوفية وعلمائها ومتكلميها، ولد عام ٢٠٠هـ وتوفي ٢٨٣هـ.

انظر: محمد السلمي، طبقات الصوفية، (مصر: مطبعة دار التأليف بدون ت) ص ٢٠٦.  
وانظر: الزركلي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين)، (٣/١٤٣).

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة: دار الريان للتراث، تط ١٤٠٧هـ)، (٣/٩٢).



وقال الغزالى<sup>(١)</sup> "التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده"<sup>(٢)</sup>.  
وقيل التوكل "الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه"<sup>(٣)</sup>.  
وقيل التوكل "وثقك بالمضمون واستبدالك الحركة بالسكون"<sup>(٤)</sup>.  
وقيل هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر، وإن منع صبر.

وقال أبو سعيد الخراز<sup>(٥)</sup> : هو اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب"<sup>(٦)</sup>.

وبهذا يكون التعريف فيما اطلعت عليه هو ما قاله ابن رجب الحنبلـي<sup>(٧)</sup>: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"<sup>(٨)</sup>.

(١) هو: محمد أبو حامد الطوسي الغزالى، ولد سنة ٥٤٥هـ، توفي سنة ٥٥٥هـ، من كبار فقهاء الشافعية.

انظر: لابن كثير، البداية والنهاية (١٢/١٧٣)؛ ولابن خلkan، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (٣/٢٥٣).

(٢) إحياء علوم الدين (القاهرة: دار الشعب، كتاب الشعب)، (٤/٢٤٠).

صحيح مسلم بشرح النووي، (٣/٩٢).

(٤) محمد بن علان الأشعري المالكي، دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (مصر: مطبع مكتبة الحلبي)، (١/٢٥٦).

(٥) هو: أحمد بن عيسى البغدادي، توفي سنة ٢٨٦هـ.

انظر: للسلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٢٨، ٢٣٢.

(٦) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/١١٥).

(٧) هو: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلـي، توفي سنة ٧٩٥هـ . انظر: ذيل طبقات الحنابلـة، (١/١).

(٨) ابن رجب الحنبلـي ، جامع العلوم والحكم ، (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ) ، ص ٤٠٩.

وهناك تعريف آخر جامع هو: "الثقة بما عند الله واليأس بما في أيدي الناس"<sup>(١)</sup>.

ولعل أصح التعاريف هو أنه "معنى يلتئم من علم العبد بكافية الله وحسن اختياره لعبد وثقته به ورضاه بما يفعله ويختار له"<sup>(٢)</sup>. أو : "هو حال للقلوب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتبارير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ماشاء كان ومالم يشاً لم يكن، فيوجب له اعتماداً عليه وتقوضاً إليه وطمأنينة به وثقة به، ويقيناً بكافياته لما توكل عليه فيه"<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نرى أن التعريفات في ظاهرها الاختلاف وذلك لأن :

- أحوال وأعمال القلوب يصعب إتضابطها بحد وحصرها بالألفاظ لذلك قال الغزالى<sup>(٤)</sup> عن التوكل "... غامض من حيث المعنى. شاق من حيث العمل"<sup>(٥)</sup>.
- أنهم لم يقصدوا بهذه التعريفات حقيقة التعريف الإصطلاحية وإنما قصدوا بيان أهمية هذه الخصلة أو مراعاة ظروف القائل أو المستمع.
- ولذلك جاءت تفسيراتهم وكأن في ظاهرها شيئاً من التغاير والإختلاف وهي في حقيقتها أجزاء من المعنى الكلى للتوكلا أو من لوازمه وأثاره.

#### ج - تعريف التواكل لغة :

يقال رجل وَكَلَ بالتحريك ووكله مثل همزه وتكله على البدل، ومواكلٌ عاجز كثير الاتصال على غيره .

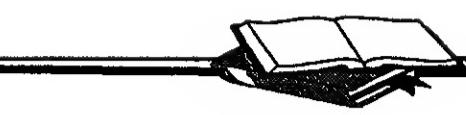
(١) الجرجاني، التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، تط ١٤٠٣هـ)، ص ٧٤ .

(٢) ابن القيم، الفوائد، تخریج وحواشی أحمد راتب عمروش، (تط ١٤٠٦هـ، بيروت، دار النفاس)، ص ٩٢ .

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد الفقي، (تط الثانية ١٣٩٣هـ)، (٨٢/١) بتصرف؛ وانظر لأحمد المقرizi، تحرير التوحيد (مكتبة السلام العالمية) ص ٢٨ .

(٤) سبقت ترجمته، ص ١٠ .

(٥) الإمام الغزالى، كتاب التوحيد والتوكلا، تهذيب وتعليق زهير الكبى، دار الفكر العربي، (تط ١٩٩١م)، ص ١٠ .



يقال **وَكَلَهُ** أي عاجز بكل أمره إلى غيره ويتكل عليه .  
ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكتابته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه .  
**وَالْوَكْلُ وَالْوُكْلُ** : البليد الجبان ، وقيل العاجز الذي يكمل أمره إلى غيره ،  
ويقال اتكل عليك فلان وأوكل عليك فلان بمعنى واحد .  
ورجل **وَكَلَهُ** إذا كان يكل أمره إلى الناس .  
وواكلت فلانا موأكله إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك ، وتوأكل القوم موأكله  
ووكانا : اتكل بعضهم على بعض .  
ويقال رجل **وَكَلَهُ** إذا كثر منه الاتصال على غيره منهي عنه لما فيه من التناقض  
والتقاطع<sup>(١)</sup> .  
وبهذا فإن التواكل لا يقره الإسلام ولا يرضاه لما فيه من الإهمال وعدم البذل  
والاتصال على الغير .

#### د - وتعريف التواكل أصطلاحا:

هو ترك الأسباب وعدم بذلها والعجز عنها ، وهذا المعنى مأخذ من حديث  
رسول الله لمعاذ بن جبل - عليهما السلام - حين قال له " **يَا مَعَاذَ، أَتَدْرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى  
الْعِبَادِ وَمَا حَقَّ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ؟**" قال معاذ قلت: الله ورسوله أعلم . قال: " **فَإِن  
حَقَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ أَلَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**" ، قال: قلت يا رسول الله أفلأبشر  
الناس؟ قال " **لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّوْا**"<sup>(٢)</sup> ، وهنا يضع الرسول ﷺ أصلا ثابتا هو أن  
كل ما يؤدي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنة للاتصال أو التواكل ليس من التوكيل في  
شيء .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، (١١/٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦) .

(٢) مسلم ، (١/٥٩) ، كتاب الإيمان .

### **المطلب الثاني : موارد التوكل في القرآن والسنة وبيان المراد والمقصود منه:**

إن القرآن الكريم فيه من علم الوجوه والنظائر الكثير فهو علم يبحث في بعض ألفاظ القرآن الكريم ويوضح ماورد في أكثر من آية، وكانت دلالته على معناه في واحد منها غير معناه في الآية الأخرى التي ورد فيها<sup>(١)</sup>.

فأقدم ورد لفظ التوكل على الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وبأساليب مختلفة من أمر به وثناء على أهله وحسن عاقبتهم ومعونة الله للمؤمنين، وغير ذلك من أساليب.

لهذا العلم أهميته في التفسير والتعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة وألفاظ مختلفة حسب ما يقتضيه الحال، والقرآن هو النواة الأولى للعلوم الشرعية فهو فسيح المجال للنظر والفكر الواسع في رياضه الفسيحة وما هذا إلا من بلاغة القرآن وفصاحته وبيانه المعجز .

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا  
الْقَلْبُ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ  
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ  
إِنْ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي  
يُنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي الآيتين الأمر محمول على الوجوب في التوكل على الله وحده وجعله شرطاً للإيمان، فالآيتين وإن كانت أمر في التوكل على الله تعالى فقد تضمن ذلك معنى الثناء على المتكفين وحسن عاقبتهم من وعد الله تعالى بنصرهم ورضا الله

(١) انظر: للسيوطى بتصريف، الاتقان في علوم القرآن، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر وراجعه مصطفى القصاص (بيروت: دار إحياء العلوم، تط الثالثة ١٤١٦هـ - ٣٨١/١).

انظر للزرκشي بتصريف، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار الفكر، تط الثالثة)،

(٢) (١٠٢/١).

(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩-١٦٠.

تعالى عليهم بمحبته سبحانه ومن أحبه الله عصمه الله<sup>(١)</sup>.

كذلك ورد التوكل بالفاظ أخرى منها على سبيل الاقتصار:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا أَعْلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِيبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّنَ طَآفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَنَا فِي مُلَّتِكُمْ بَعْدَ اذْ نَجَّنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ففي معرض الحديث عن التوكل نجد أنه لفظ قرآنی له الفاظ ترادفه منها :

(١) انظر: محمد بن أحمد الكلبي بتصرف، التسهيل في علوم التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، تط الرابعة ١٤٠٣ هـ) ص ١٢٢؛ وانظر: محمد رشيد رضا بتصرف، تفسير المنار (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية)، (٤/٥٢٠).

(٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٧٣.

(٤) سورة النساء، آية ٨١.

(٥) سورة الأعراف، آية ٨٩.

## ١- الاستعانة بالله :

وهي طلب العون<sup>(١)</sup>.

يقول ابن تيمية<sup>(٢)</sup>: "والتوكل والاستعانة للعبد هي الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة، فإن العبد يحب ويريد ما يراه ملائماً له، والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية من المقصودة في رضاه، ويحب الوسيلة تبعاً لذلك، وإلا فكل مأمور به، فمنفعته عائنة على العبد، وكل ذلك يحبه الله ويرضاه"<sup>(٣)</sup>.

فالمؤمن يقصد الأمر ويستعين بشيء، ويعتمد عليه في تحصيل مراده  
والمستعان هذا قسمان :

القسم الأول: ما يستعين به المرء لنفسه فيكون هو الغاية التي يعتمد عليها العبد ويتوكل عليها .

القسم الثاني : هو أن المرء يثق ويعتمد على المستعين في نيل مراده سواء كان ذلك هو الله أم غيره، فإذا كان المستuan به هو الله فمن هنا يأتي صلاح العبد والاستعانة بغيره هو الهلاك والفساد.

وقد سوى ابن القيم بين التوكيل والاستعانة فقال "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعاناً وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة"<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالله تعالى يأمر بإخلاص العبادة له وأن يستعين به على الأمور كلها لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣١٧٩/٥.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، نقى الدين، أبو العباس، لقب بشيخ الإسلام لوافر وواسع علمه، توفي سنة ٥٧٢هـ؛ انظر: وفات الوفيات، ٦٢/١.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (طبعة الرئاسة العامة للحرمين) ٢٠/١.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ١١٨.

(٥) سورة الفاتحة، آية ٥.

(٦) انظر: ابن كثير بتصريف، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، تط ١٤٠٨هـ)، ٤٢/١.

فالآية الكريمة فيها " اعترافا بالعجز والفقر وأنا لاستعين إلا بالله وحده أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا" <sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة في ظاهرها لا تحمل معنى التوكل على الله تعالى ولكن إذا نظرنا لمعنى (نعبد) فالعبادة: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه منه الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلوة، والزكاة، والصيام والحج... وكذلك حب الله ورسوله، وخشيته والإذابة إليه، وإخلاص الدين له، ... والرضى بقضاءه، والتوكيل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك: هي من العبادة لله" <sup>(٢)</sup>.

فعلى الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره، ويستعينوا به، فيجتهدون في إقامة الدين مستعينين به، فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين الله وكل ذلك من العبادة.

وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَلْشَعِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعِاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup>.

فالله تعالى أمر المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية ... فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر ، فلا سبيل لغير الصابر ، أن يدرك مطلوبه ، وخصوصا

(١) الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٣٣.

(٢) ابن تيمية، العبودية، (بيروت: المكتب الإسلامي، نظ الخامسة ١٣٩٩هـ)، ص ٣٨.

(٣) سورة البقرة، آية ٤٥ .

(٤) سورة البقرة، آية ١٥٣ .

(٥) سورة الأعراف، آية ١٢٨ .

الطاعات الشاقة ... والبلاء إن استمر فهذا تصفق معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكيل عليه، **مُلْجأً إِلَيْهِ، وَالْفَقَارَ عَلَى الدَّوَامِ**"<sup>(١)</sup>.

فالعبد المؤمن يفعل من الأسباب ما يستطيع عند العجز، ويصبر ويستعين بالله تعالى ويتوكل عليه.

فالآيات القرآنية كلها فيها معنى "مسألتهم الله المعونة على العبادة"<sup>(٢)</sup>. وفي التوكيل معنى المعونة بعد بذل السعي والعمل في تحقيق أمر العبادة. وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدوا وقاربوا وأبشروا، واستهينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)<sup>(٣)</sup>.

إن الأعمال الصالحة من الإيمان فالمرء يجتهد فيها حسب استطاعته فما من عمل يقوم به المؤمن إلا وطلب الله المعونة فيه حتى لا يجده نفسه بحيث يعجز وينقطع بل يعمل بتلطف وتدرج ليدوم العمل ولا ينقطع .

ففي الحديث معنى السعي والعمل مع طلب المعونة من الله تعالى في جميع الأوقات والأحوال .

وعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما فقال: "يَا عَلَامَ إِنِّي أَعْلَمُ كَلِمَاتَكَ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجَدْهَ تَجَاهْكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَةَ لَوْ

(١) انظر : لعبد الرحمن السعدي بتصريف ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، حققه محمد النجار ، (بيروت: عالم الكتب ، نظر الثانية ٤١٤-١٣٢)، (٢/١٣١-١٣٢).

(٢) ابن جرير الطبراني، جامع البيان في تفسير آي القرآن، هذبه وحققه وضبطه وعلق عليه بشار معروف - عصام الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، نظر الأولى ١٤١٥)، (١/٧٠).

(٣) الفتح لابن حجر العسقلاني، حققه ابن باز، رتبه ورقم أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الكتب ، نظر الأولى ١٤١٠)، (١/١٢٧).

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو  
اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،  
رفعت الأقلام وجفت الصحف"<sup>(١)</sup>.

ومن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحقر على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذلك ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتق عمل الشيطان"<sup>(٢)</sup>.

فحفظ الله الوقوف عند أوامره بالإمثال وعند نواهيه بالإجتناب فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله فحفظ الجوارح عن المعاصي وتركها في الطاعات أمر محبوب ومأمور به فيجد المؤمن بذلك الله في كل أحواله حيث توجه وانطلق يحوطه بعلمه وينصره ويسدد خطاه، فالحرص على ما ينفع من الأعمال هو الأولى وهو طاعة الله ولرسوله <صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فأحاديث الرسول تؤيد معنى التوكل على الله ألا وهو الاستعانة به سبحانه فالمؤمن يحتاج إلى الله وهو فقير إليه، وهذا هو المقصود.

والاستعانة بالله والتوكل عليه سبحانه وسيلة إلى الاحتياج وعبادة الله فالشعور بالقدرة وثقة الصلة بالله تعالى هي نتائج الاستعانة والتوكل على الله.

## ٢- الاعتصام :

إن الاعتصام بالشيء هو الاستمساك به، والاعتصام بالله تعالى هو الاستمساك بحبله المتنين<sup>(٣)</sup>.

فإن الاستمساك بحبل الله يمنع المرء المؤمن من الضياع ومن الوقوع في السوء والبدعة والآفات في العمل.

(١) الترمذى (٢٥١٦) والله له، وقال هذا حديث حسن صحيح، أحمد في المسند، ٢٩٣/١، ٣٠٣، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ٢٦٩/٢، ٢٠٧، ح (٢٧٦٣).

(٢) مسلم (٢٦٦٤)، ح (٢٠٥٢/٤) كتاب القدر.

(٣) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة، تط ١٩٦٩م)، ص ٣٣١.

"الاعتصام بالله هو التوكل عليه والامتناع به والاحتماء به وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه"<sup>(١)</sup>.

قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكُفُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَّى عَلَيْكُمْ إِعْيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَآذُكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أَخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ إِعْيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ففي الآيتين حض على الاستمساك بالدين الحق الذي بينه سبحانه بآياته على لسان رسوله ﷺ وهو الإسلام والتوحيد<sup>(٤)</sup>.

وقد قال ابن الجوزي<sup>(٥)</sup> في تفسيره للأية أن سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي ﷺ أطافأ تلك الحرب بالإسلام ... فالاعتصام الاستمساك بحبل الله وفي الحبل: ستة أقوال هي :

١ - كتاب الله . ٢ - الجمعة . ٣ - دين الله .

٤ - عهد الله . ٥ - الإخلاص . ٦ - أمر الله وطاعته .

فيظهر أن الأقوال كلها متقاربة المعنى لأن كتاب الله فيه الحث على الترك

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٤٩٥/١ - ٤٩٧).

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٤) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار الفكر)، (٣٩٣/١).

(٥) ابن الجوزي: أبوالفرج ابن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله الجوزي الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥١١ أو ٥١٢، توفي سنة ٥٩٧هـ؛ انظر: لابن كثير، البداية والنهاية،

(٢٨/١٣)؛ ولابن خلkan، وفيات الأعيان، (٣٢١/٢).

بالجماعة وبدين الله وبعهده وبالإخلاص وبأمر الله وطاعته...<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكيل عليه هو العمدة في الهدایة، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد<sup>(۲)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِي يَرْبُو وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ  
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ أَلْمُؤْمِنِينَ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup>.

فالأية السابقة فيها أن العبد المؤمن عليه أن يتجرد عن الشوائب قليلاً  
وكثيراً لأن الشيطان قد يحاصر العبد ويحبط له عمله ولا يكاد يخلص له عمل فدلت  
الأية على أن تبديل الرياء بالإخلاص يدخل صاحبه في الصلاح .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup>. فالاعتصام التمسك بما يعصم ويحفظ ... وهو القرآن الموصى إلى سعادة الدنيا والآخرة<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير في تفسيره للآلية "أي جمعوا بين مقامي العبادة والتوكيل على الله في جميع أمورهم، وقال ابن حجر: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن ... وهذه صفة

(١) ابن الجوزي بتصريحه، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، تط الثالثة ٤٠٤-٤٣١/١)، (٤٣٣-٤٣١/١).

(١) سورة النساء، آية ٢٠.

(٤) سورة النساء، آية ١٧٥ .

<sup>(٥)</sup> انظر: المراغي، تفسير المراغي، (بيروت: دار الفكر)، (٣٧/٢).

المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات<sup>(١)</sup>.

فالآيات جميعها فيها معنى التوكل على الله، وذلك بالاحتماء به وسؤاله سبحانه بدفع الآفات والعقبات عن الطريق للوصول إلى الغاية والمراد.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما- قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - مَكَثَ تَسْعَ سَنِينَ لَمْ يَحْجُّ، ثُمَّ أَذْنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - حَاجَ ... الْحَدِيثُ وَفِيهِ "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيمَكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ ...".<sup>(٢)</sup>

وعن سفيان بن عبد الله التقي - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله: حدثني بأمر اعتصم به، قال: " قل ربِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ " قلت: يا رسول الله ما أخوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيْ؟ فَأَخْذُ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: " هَذَا "<sup>(٣)</sup>.

وهنا يرد سؤال هل الاعتصام بكتاب الله فيه توكل على الله أو فيه معنى التوكل؟ نعم إن القرآن الكريم شامل للعقيدة والعبادة، والمعاملة، فأيات الله تتنى فتطرق القلب حتى يسلم ويستسلم قلبه ونفسه لأوامر الله تعالى ونهيه، فكما أشرنا سابقاً أن القرآن هو حبل الله المتين، وبذلك يستقيم حال المؤمن فيما يمسك أوامر الله تعالى ويمثل لها ويجب نواهيه وعلى ذلك فالتمسك بكتاب الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال هو الأساس وجميعهم يحتاج إلى التوكل .

فالاعتصام يوجب القيام بطاعة الله والمحافظة على طاعته ورسوله - ﷺ .

(١) ابن كثير، المصدر السابق، (٩٠٢/١).

(٢) مسلم، (٨٩٠/٢)، (١٢١٨) كتاب الحج .

(٣) الترمذى (٢٥٢٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٢) وصححه الألبانى، صحيح سنن ابن ماجه، (٣٢٠٨).

## ٣- الرجاء :

"تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"<sup>(١)</sup>، وهذا التعلق يحتاج إلى عمل والعمل يحتاج إلى توكيل على الله.

فالرجاء يسألك بصاحبه لطريق الجد وإمكان الوقوع للمتأمل فيه ولو لا الرجاء لما تحركت الجوارح للعمل بالطاعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَا يَرَوْا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا فِي أَبْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَائِلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فالآيات القرآنية السابقة دلت على أن القيام بأعمال الهجرة والجهاد وغيرها من الأعمال وبذل الأسباب لتقربيهم إلى الله، ومع هذا فلا يعتمد على تلك الأعمال والأسباب ويعول عليها بل رجاء رحمة الله ورجاء قبول الأعمال فيها إظهار لمعنى العبودية بالتوكل على الله وبالفاقة والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه وفيها أيضاً معنى الترقب والتوقع لفضل الله بعد العمل ودوام الالتفات إليه<sup>(٥)</sup>.

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٨.

(٣) سورة النساء، آية ١٠٤.

(٤) سورة الإسراء، آية ٥٧.

(٥) انظر: لعبدالرحمن السعدي بتصريف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٩٦/١ - ٨٩/٢).

وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: "يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإنني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة" قال: ما عملت عملاً أرجى منه من أنني لم أطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا طابت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصليه".<sup>(١)</sup>

إن الصلاة من الأعمال الصالحة التي يرجو بها العبد دخول الجنة إن أحسنها وقام بأركانها وشروطها ويرجو الله بها حصول المراد والمحبوب .

وعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال "كيف تجده؟" قال: يا رسول الله إني أرجو الله وإن أخاف ذنبتي، فقال رسول الله ﷺ: "لَا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموضع إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف".<sup>(٢)</sup>

فالرجاء عمل قلبي والتوكيل كذلك فكلاهما من القلب وبذلك يتصلان اتصالاً وثيقاً ولا ينفكان أبداً.

فالحديثان يظهران معنى من معاني التوكيل، وهو الرجاء الذي يطيب العمل ويزيد معرفة العبد بالله ويزيد التعلق به سبحانه .

#### ٤- الرضا :

إن الرضا هو أن لا يكره العبد ما يجريه القضاء عليه ويرفع الجزع عن نفسه عند نزول من القضاء.<sup>(٣)</sup>

(١) البخاري، الفتح ، ج ٣ (١١٤٩).

(٢) الترمذى (٩٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي إسناده جيد.

(٣) انظر: الراغب الأصفهانى بتصرف، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٠٢؛ وللجرجاني، التعريفات، ص ١٤٨.

فالمرء يعمل ويبذل جهده في العمل ويرضى بكل ما يفعل به لكي يكمل له الانقياد والاستسلام المطلق لله، ولحكمه ولو كان الحكم مخالفًا لمراد نفسه.

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَنَاسٍ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ أَللَّهُ وَأَللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الآية الكريمة "نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منه وأعطاه ماله، فأنزل الله هذه الآية، فتلقاء عمر بن الخطاب وجماعة إلى الحرة، فقالوا له: ربح البيع، فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتم وماذا؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

فهذا الصحابي الجليل تجرد من ماله وهاجر إلى رسوله الكريم خائفا على دينه وقد فعل ما فعل وهو في رضا تام لأن الله تعالى لا يضيع ذلك أبدا فشرى نفسه ابتغا مرضاته ربه وتوكل عليه ليعينه على كفار قريش .

وقال تعالى: ﴿ لَا خَيْرٌ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَتْهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَصْلَحَ مِنْ أَنَاسٍ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ أَللَّهُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْصَادِقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية ٢٠٧ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٧٠/١).

(٣) سورة النساء، آية ١١٤ .

(٤) سورة الحشر، آية ٨ .

وقال تعالى: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْتَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَّلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرَبَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الأعمال ينبغي أن يقصد بها وجه الله تعالى، وإخلاص النية له فيها ليحصل الأجر العظيم ويتعود المؤمن الإخلاص في كل جزء من أجزاء الأعمال صغيرها وكبيرها وإذا لم يتم المقصود فالنية قد اقترن بها الإخلاص واقتربت معها ما يمكن من العمل.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبُورًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ "سَبَّحَانَ الَّذِي سَفَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَا لَهُ مَقْرَنِينَ وَإِنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبَرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تُرْضِي، اللَّهُمَّ هُوَنَ عَلَيْنَا سَفَرُنَا هَذَا وَاطَّوْ عَنَّا بَحْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمَنْقَلْبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعْنَا فَالْهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ" أَيْ بِمَا تَأْبَى رَبِّنَا حَامِدُونَ"<sup>(٢)</sup>.

فقوله ﷺ: (وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تُرْضِي) أي عمل ممكن أن يكون في السفر من جهاد لا يتخلله رباء - من تجارة يرجوا بها الربح، طلب علم يرجو به الأجر والثواب ... الخ، وغير ذلك من الأعمال وجميعها ينبغي أن تكون على منهاج الله تعالى وعلى طريقة رسوله ﷺ فيرضى الله عنها إذا انعقد التوكل فيها على الله تعالى.

قال عبد الله بن المبارك : قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: "يابني، إنما تستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: لحسن توكله على الله فيما نابه، [ولحسن]

(١) سورة الأحزاب، آية ٥١ .

(٢) مسلم، (٩٧٨/٢)، (١٣٤٢) كتاب الحج .

رضاه فيما أتاه [ولحسن] زهده فيما فاته<sup>(١)</sup>.

فالرضا معنى من معاني التوكل على الله وموارد من موارده ومظانه فهو دليل ومظهر من مظاهر صلاح وكمال الإيمان.

#### ٤- اليقين :

إن اليقين قرين التوكل على الله لذلك قرن الله تعالى بينه وبين التوكل.  
وفسر التوكل بقوة اليقين، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأنوراً وامتلاً محبة الله وتوكلاً عليه<sup>(٢)</sup>.

واليقين يأمر دائماً بالاستمرار على ركوب الأخطار والصعاب<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

أي بلغ الإيمان بهم إلى أن وصل إلى درجة اليقين الداعي للعمل وكمال السعي<sup>(٦)</sup>.

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور عن ابن أبي الدنيا، (بيروت: دار الفكر، تط الأولى، ١٤٠٣هـ)، (٦٢/١).

(٢) انظر: لابن القيم بتصريف، مدارج السالكين، (٤١٤/٢).

(٣) الفيلوز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (بيروت: المكتبة العلمية) مصورة من طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٣هـ، (٤٠٠/٥)؛ ابن القيم، مدارج السالكين، (٤١٣/٢).

(٤) سورة النمل، آية ٣.

(٥) سورة لقمان، آية ٤.

(٦) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٤٦٤/٣).

وعن عبد الله بن عمر بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "القلوب أوعية وبعضاً منها أو عى من بعض فإذا سألكم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل" <sup>(١)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أخوان على عهد النبي - ﷺ - فكان أحدهما يأتي النبي - ﷺ - والآخر يختلف فشك المتردف أخيه إلى النبي - ﷺ - فقال "لعلك ترزق به" <sup>(٢)</sup>.

ففي الحديثين تظهر درجة من درجات اليقين وهي ("الدرجة الأولى": علم اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ماغاب للحق، والوقوف على مقام بالحق". فالصحابة رضوان الله عليهم تيقنوا خبر رسول الله ﷺ وانقادوا وأذعنوا له إيماناً وتصديقاً وإيقاناً، بحيث لا يخلج القلب فيه شبهة، فحدث الرسول لهم يلزمهم بصدقه وأن ذلك حاصل منه إجابة دعائهم - ورزق الآخر لأنهم سكنوا إلى خير الخبر وتوثقه به) <sup>(٣)</sup>.

فهذا اليقين يمثل لنا معنى التوكل وموارده في الكتاب والسنة فهو نواة الدين وبه كمال الإيمان والعزة، والمباعدة عن مواطن الذلة والضعف بمعرفة العبد ويقينه بالله تعالى .

## ٥- التفويض :

إن التفويض من معاني التوكل، فالتوكل شعبة منه ومعنى له، فالتوكل والتقويض كلاهما تبرءاً من الحول والقوة لصاحب الأمر سبحانه .

(١) أحمد، ١٧٧/٢ واللفظ له، ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ٤٩١/٢ وقال: رواه أحمد بإسناد حسن.

(٢) الترمذى (٢٣٤٥) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم، ٩٣/١، ٩٤ هذا حديث صحيح على شرط مسلم ورواته عن آخرهم ثقات: ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: لابن القيم بتصرف، مدارج السالكين، (٤١٦-٤١٨).

" والتقويض " هو روح التوكل ولبه وحقيقة<sup>(١)</sup>.

قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: «فَسَتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قوله: «وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ» (أي: ألجأ إليه وأعتصم، والقي أمر ي كلها لديه واتوكل عليه في مصالحي...).<sup>(٣)</sup>

وجاء في الحديث عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أنه قال: قال النبي ﷺ: "إذا أتيت مضعك فتوضاً وضوءك للصلاه، ثم اضطجع على شفتك الأيمن ثم قل: "اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجلات ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لأملأه ولا منجو منك إلا إليك، اللهم أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من لياتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ماتتكلم به" ... الحديث.<sup>(٤)</sup>

فقوله ﷺ (وفوضت أمري إليك) أي أتبرأ من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك وتسليم الأمر كله إلى مالك الأمر سبحانه.

(١) المصدر السابق، (١٢٧/٢).

(٢) سورة غافر، آية ٤٤.

(٣) انظر: للسعدي، المصدر السابق، (٣٤٦/٤).

(٤) صحيح البخاري، (٨٣/١)، (٢٤٧)، كتاب الوضوء واللفظ له، ومسلم، (٢٠٨١/٤)، (٢٧١٠)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

### **المطلب الثالث : الفرق بين التوكل والتواكل :**

إن التواكل صفة من الصفات الخلقية المذمومة، التي نهى عنها الشرع الحنيف، ويرفضه المؤمن للنبي.

فالأخذ بالأسباب مع التسليم، وتفويض أمر التوفيق لله والثقة واليقين بأنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا هو من التوكل المأمور به شرعا.

أما القعود عن العمل والأسباب وعدم البذل والجهد فليس من التوكل وإنما هو اتكال وتواكل حذرنا منه المصطفى ﷺ.

وقد يظن بعض الجهل الغافلين أن ترك الكسب من التوكل، وهذا فهم سقيم مريض لأن ارتباط المسببات بالأسباب من سنن الله في خلقه.

فلا يعقل أن يظهر النبات دون إلقاء الحب في الأرض والعمل على رعايته فينتج لنا الثمر والزهر.

فعن عمر بن الخطاب "أَنَّه لَقِيَ نَاساً مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ مِنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَقَالَ بَلْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ" <sup>(١)</sup>، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله.

وفي ذلك رد بلieve على من يتربكون الأسباب تقاعساً بدعة التوكل على الله، ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

كذلك من يمرض ويظن أنه يشفى بدون تداوي فهو تارك لأسباب الشفاء فقد حض الإسلام على التداوي وأمر به النبي - ﷺ -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شَفَاءً" <sup>(٢)</sup>.

"إن إثبات الدواء من الأسباب التي لاتنافي التوكل على الله لمن اعتقاد أنها بإذن الله وقدره، وأنها لاتتجزء بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها" <sup>(٣)</sup>.

(١) خرجه ابن أبي الدنيا، التوكل على الله، تحقيق: مجدي إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، بدون تط)، ص ٢٦.

(٢) البخاري، الفتح، كتاب الطب، ص ١٦٦، (٥٦٧٨).

(٣) ابن حجر، فتح الباري، (١٦٧/١٠) .

فإهمال الأخذ بالأسباب وترك العمل يسمى توأكلًا وليس ذلك من الإيمان والتوكل على الله هو الأخذ بالأسباب مع العمل؛ لأن العمل بما أمر الله وبذل الأسباب أمر لازم لصحة التوكل على الله ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مَنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> وَمَنْ يَعْمَلُ مِنَ الظَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد أمر تعالى عباده بالسعى والعمل وطلب الرزق، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، آية ١٢٣-١٢٤.

(٢) سورة الجمعة، آية ١٠.

(٣) سورة الأنفال، آية ٦٠.

## المطلب الرابع : فضل التوكل على الله :

إن التوكل على الله تعالى له مقام عظيم، وهو من أقوى الأسباب التي تدفع المرء المؤمن إلى تحمل أقدار الله .

ولاتظہر هذه المنزلة والمقام إلا عند شدة المصايب وھوله، وبهذا فإن المؤمن إذا أصابه أمر من الأمور فزع إلى الله، وتوكل عليه وأناب فالتوكل في كل خطوة من خطوات المؤمن هو حق واجب وعقيدة وخلق، فالتوكل من لوازم الإيمان .

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلٌ مِّنْ آلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيْهُمَا وَعَلَيْهِ اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والتوكل على الله هو أساس من أسس التوحيد وركن من أركانه؛ لأن أكثر العبادات تتفرع عنه .

والمرء يطمئن إلى تلك العقيدة وهذا الخلق؛ لأنّه يعرف أن ما وراءه هو لصاحب الأمر والتدبّير سبحانه .

" والتوكل جامع لمقام التقويض والاستعانة والرضا لا يتصرّر وجوده بدونها "<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة المائدة، آية ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٢٢ ، ١٦٠ .

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (١٣٦/١) .

وهو "الأصل الجامع الذي تتفرع عنه الأفعال والعبادات وهو خلاصة التقرير ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به ربا وإلها، والرضا بقضائه بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعده من النعماء" <sup>(١)</sup>.

ومن فضل التوكل أنه سبحانه سمي نفسه الوكيل .

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الَّنَّاسُ إِنَّ الَّنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَيْيَ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَالِثٌ إِنَّهُمْ إِلَّا رُسُلٌ مُّصَدَّقٌ بِآياتِ اللَّهِ وَالْأَوْحَادُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ <sup>(٥)</sup>.

ومن فضل التوكل أنه تعالى أمر به في أكثر من موطن في كتابه العزيز:

(١) سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد (المكتب الإسلامي، الطبعة ٤) ص ١١٠.

(٢) سورة النساء، آية ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٧٣.

(٤) سورة النساء، آية ١٧١.

(٥) سورة الإسراء، آية ٦٥.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَظَّ الْقَلْبَ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيْتَ طَائِفَةُ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من الآيات الكثيرة التي حثت وأمرت بالتوكل عليه سبحانه.

ومن فضل التوكل أنه من صفة الأنبياء والمؤمنين الصادقين :

قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) سورة النساء، آية ٨١.

(٣) سورة المائدة، آية ١١.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٢٢.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٦٠.

(٦) سورة الأنفال، آية ٢.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَتَتَّلَوَّا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن فضله كذلك أنه تعالى جعله في جميع الشرائع السابقة والخاتمة:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِيلُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيرَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٣﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَنْ عَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ أَذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبِّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَدْكِيرِي بِئَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوكُمْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ أَقْضُو أَلَيْ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الرعد، آية ٣٠.

(٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، آية ٨٨-٨٩.

(٤) سورة يونس، آية ٧١.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيَّةِ إِلَهِنَا  
عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ or إن نَقُولُ إِلَّا آعْتَرَنَّكَ بَعْضُ  
إِلَهِنَا بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أُشَهِّدُ اللَّهَ وَآشَهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشَرِّكُونَ  
وَ  
مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ وَ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ  
رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ يَأْخُذُ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ  
وَ  
مُسْتَقِيمٍ (١). ٥٦

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل على فضل هذا الخلق فهو عدة المؤمنين في المعرفة والنصرة والتأييد .

ومن فضل التوكل أنه سبحانه قرن بينه وبين العبادة في مواضع عده من كتابه:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ أَنَا بُرُءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ  
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا  
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَّبَّنَا  
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة هود، آية ٥٣-٥٤-٥٥-٥٦.

(٢) سورة هود، آية ١٢٣ .

### (٣) سورة الممتحنة، آية ٤.

(٤) سورة المزمل، آية ٩ .

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمُّ  
لَّتَتَّلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن فضل التوكل أنه سبحانه قرن بينه وبين الإيمان :

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ إِنَّمَا يَعْلَمُهُمْ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا  
أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا  
إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاءِدَ للْقَتَالِ  
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَآفَقَاتٍ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا  
وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

وكذلك من فضله أن قرن بينه وبين الإسلام :

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَأْتِيَنِي أَنْ كُنْتُمْ إِنْ أَمْنَثُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ  
تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن فضله أن قرن بينه وبين التقوى والهداية :

(١) سورة الرعد، آية ٣٠.

(٢) سورة الملك، آية ٢٩.

(٣) سورة المائدة، آية ٢٣.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٢١-١٢٢.

(٥) سورة يوونس، آية ٨٤.

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَقْ اللَّهُ وَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِلَغْ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَا نَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَ عَلَى مَا إِذَا يَتَمُّنُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فمن خلال الآيات القرآنية يتضح لنا أن التوكيل على الله فضله عظيم وهو زاد المتقين العابدين المؤمنين، والغاية القصوى لكل مؤمن هي: معرفة الله تعالى وعبادته ويدخل في ذلك التوكيل، فمن عرف الله تعالى توكل عليه. قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَرَبُّخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، آية ١ - ٣.

(٢) سورة الطلاق، آية ٣.

(٣) سورة إبراهيم، آية ١٢.

(٤) سورة الزمر، آية ٣٦.

## المطلب الخامس : التواكل وأثاره السلبية على الفرد والمجتمع :

إن الإسلام دين ينظم الحياة البشرية في مختلف ميادينها، كما يرسم الطريق للحياة على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق.

والإسلام يدعو إلى العمل ويبعث ويرغب في المكسب الحلال الذي لا استغلال فيه وبهذا فهو دين عمل وحياة يريد من المسلم أن يعيش حياة هنية في ظل الإسلام وبهذا فقد وهب الله الإنسان قوة التفكير والتدبر بواسطة العقل والعلم، وبواسطة العلم تعددت مصادر الرزق وأصبح للإنسان القوة للعمل.

ومن شرف العمل أن يكون وفق ماجاء به الإسلام، فالعمل بجد ونشاط إيمان بما ينوط بالإنسان من مسؤولية.

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُورُنَّ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبَّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيلُ كُلُّهُمْ مِنَ الظَّاهِرَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالعمل الصالح هو المعيار الحقيقي للجزاء الحسن، وهو يهيا المؤمن للدرجات العلى في الجنة.

فالعمل فريضة على كل مسلم ومسلمة بقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلْحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾

(١) سورة التوبه، آية ١٠٥.

(٢) سورة هود، آية ١٢٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية ٥١.

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَانًا ﴿١﴾ قَيْمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ ﴿٣﴾ .

فالمسلم هنا يطمح ويعمل دائمًا ليصل للأمل المنشود في الدنيا والآخرة، فبدون العمل يصبح الإنسان عاجزاً عن تحقيق أدنى مراداته.

لذلك أمرنا الإسلام بالعمل حسب شروطه حتى يكون العمل موفقاً متقدماً، ومن ضمن هذه الشروط هي أن يكون المؤمن متوكلاً على الله في عمله أياً كان صغيراً أو كبيراً يريد به الدنيا أم الآخرة.

"فالتوكل على الله في العمل موقف ينشأ عما يقوم بنفس المؤمن من أن الله حق وما خلاه باطل، وأن هدى الله هو الهدى ليس بعده إلا الضلال، فإذا استقر هذا العلم بالنفس وصار اعتقاداً جازماً ويقيناً حاسماً أورث المؤمن حالة من النقة المطلقة بصحة الطريق الذي يسلكه مقبلاً على ربه وعاملًا في سبيله، وذلك يدعوه للإقدام بثبات نحو الغاية المنصوبة أمامه على صراطها المستقيم" ﴿٤﴾ .

فالتوكل شعبة من شعب الإيمان تهيء المؤمن في واقع الدنيا لحياة عاملة بضروب العمل الصالحة مفعمة بوجوه الخير.

(١) سورة النحل، آية ٩٧ .

(٢) سورة الكهف، آية ١ - ٢ .

(٣) سورة الكهف، آية ٣٠ .

(٤) د. حسن الترابي، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، (بيروت: دار القلم، ط ط الأولى ١٣٩٤ھـ)، ص ٤٠ .

والتواكل على ذلك نقىضه تماماً فقد أخذ بعض الناس معتقدات، وتصورات واهية لمعنى التوكل، فقد أخذوا من التوكل معنى التعطل، ومن القضاء والقدر معنى الجبر المحتوم، فانتهوا إلى القعود والتواكل عن العمل في الحياة اعتذاراً بأن القدر محظوظ، ومكتوب مهما فعلوا، واتكالاً على أن الله سيديركم لهم الخير مهما تركوا.

وبهذا كان القعود عن العمل تواكلاً لأنهم تركوا الأسباب وعجزوا عنها فوهنت وضعفت عقيدتهم في العمل بذلك.

فالاتكال على الله لن يخرق العوائد، و يجعل السماء من فوق تمطر الذهب والفضة، والأرض من تحت تخرج الخبز والعسل، بلا جهد ولا سعي ولا تفكير ولا عمل.

**ولقد جاء الأعرابي إلى رسول الله - ﷺ - فقال يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ فقال رسول الله: "أعقلها وتوكل" <sup>(١)</sup>.**

فالأعرابي سأله رسول الله ﷺ هل يطلق ناقته ويتوكل أم يعقلها ويتوكل؟ فأجابه الرسول ﷺ بالمنهج السديد الرشيد الذي يجمع بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل على الله وذلك سمة من سمات المنهج النبوى في التربية والتوجيه للأمة، فقال النبي ﷺ قوله التي سرت مسرى الأمثال السائرة "أعقلها وتوكل".

**وحيث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروهم بطاناً" <sup>(٢)</sup>.**

(١) الترمذى (٢٥١٧)، وهذا لفظه وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس، والحاكم، ٦٢٣/٣، وقال الذهبي في التلخيص: إسناده جيد، البىهقي في الشعب، ١٤١٤/٣ من حديث عمرو بن أمية الضمرى، وقال الحافظ العراقي في تحرير الإحياء بعد أن عزاه للترمذى: رواه ابن خزيمة في التوكل والطبرانى من حديث عمرو العمرى وقال: إسناده جيد، وذكره الألبانى في صحيح الجامع (٤٨٠٩) وقال: حسن.

(٢) الترمذى (٢٣٢٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤) وهذا لفظه، وأحمد، ٣٠/١ وقال أحمد شاكر، ٣٤٣/١: إسناده صحيح، والبىهقي في شعب الإيمان، . ٣٧٨/٣

فهذا الحديث هو في الواقع حجة فإنه سبحانه لم يضمن لها الروح ملأى البطون، إلا بعد غدوها وسعيها لامع بقائهما في أوكيارها.

ولكن حين يصاب المؤمن بعلة في الاعتقاد والخلق يكون عرضه لأن تعتريه النوايب.

فالتوابل لا يقره الإسلام لأنّه يهدّم أحكام الإسلام وله من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع الكثير الكثير فمنها :

- ١ - البطالة ، فيصير الفرد والمجتمع إلى طريق الكسل والعجز والعيش بلا هدف.
- ٢ - تصاب عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، بالخلل ، فيقع الفرد مكتوف اليد ، وهذا ما لا يقبله الإسلام؛ لأنّه قد حدث على بذل الأسباب ، ثم بعد ذلك يرضي بما قضى الله له ، وما قدر عليه إيماناً بأنّ الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ، ولا يقضي أمراً يريد به عسراً للعباده .
- ٣ - لا يكون الفرد والمجتمع قانعاً بما وهب الله ، فما جاء هو في حدود ما قادر له من نشاط وطموح وعمل ، فيعيش الفرد والمجتمع متمنياً متطلعاً إلى ما وهب غيره .
- ٤ - يصبح الفرد والمجتمع نتيجة للقعود عن العمل والاتكال رمزاً للعجز والترزق بأفضال الناس وصدقائهم .
- ٥ - يصبح الفرد والمجتمع مخالفًا لسُنن الله الكونية ، ومخالفًا لتعاليم دين الإسلام الذي يرحب في العمل والكسب .
- ٦ - يصبح الفرد والمجتمع في ذلة ومهانة ومسكنة وهذا ماتأباه النفوس العزيزة .
- ٧ - يفتقد الفرد والمجتمع معنى العبادة لله ، لأن الشمول والتكامل هو في أن يسلم المؤمن سعيه وحياته كلها لرب العالمين فيلتزم صراطه المستقيم الذي دل عليه ، ولا يحيد عنه بشيء من عمله مجرداً وجوه سعيه جميعاً نحو القبلة الواحدة التي تنتهي إلى الله .

" إن العمل للدنيا والآخرة كفتى ميزان لا ترجح إحداهما إلا بمقدار ماتحمل الأخرى ."

فالمطلوب من المؤمن أن يعمل ويجهد ويكافح، ويبني ويعمر ويشيد ويتمس  
أسباب الرزق على أن تكون الآخرة نيته وغايته، وأمله.

فالمؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للأخرة التي تحتاج إلى عمل وسعى، ولكن  
الثمرة إنما تقطف كاملة في الآخرة، وإن أدرك بعضها في الدنيا.

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هَيَ لِلَّذِينَ ءامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ذلك هو المؤمن يسخر الدنيا لنفسه، ولايسخر نفسه للدنيا، والمؤمن لايتخذ  
الدنيا ربًا فتتخذه الدنيا عبدا<sup>(٢)</sup>.

٨- قلة الانتاج بقلة الأيدي العاملة، فيقل الدخل ويترب على ذلك قلة في  
الإدخار والاستثمار، ثم أخيراً يحصل التضخم الاقتصادي .

٩- انخفاض مستوى المعيشة، وإهمال الموارد الطبيعية لقلة العاملين.

١٠- استيراد عماله وبذلك يصبح المجتمع في نمو سالب لاهداف له .

(١) سورة الأعراف، آية ٣٢.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي بتصرف، الإيمان والحياة، (القاهرة: مكتبة وهبها، تط الخامسة ١٣٩٧هـ)، ص ٢٩٥؛ الأرقام (١٠ - ٩ - ٨)، مجلة الحرس الوطني، السنة الرابعة، العدد ١٢٢، ربيع الأول ١٤١٤هـ، "التوكل على الله ودعوى القعود عن الكسب" بقلم د.أحمد الجنيد.

## الفصل الأول

### التوكل على الله وعلاقته بالإيمان بالله

وفيما :

تمهيد.

**المبحث الأول : التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن .**

**المبحث الثاني : التوكل على الله من أعمال القلوب .**

**المبحث الثالث : أحوال المตوكفين .**

## الفصل الأول

### التوكل على الله وعلاقته بالإيمان

#### التمهيد :

إن التوكل على الله خصلة من خصال الإيمان وثمرة من ثمار المعرفة بالله وهو نتيجة صدق التوحيد، الذي هو اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية وإخلاص العبادة له، وإثبات ماله من الأسماء والصفات<sup>(١)</sup>؛ لذلك فإن التوحيد هو الغاية المحبوبة والمرضية لله سبحانه وتعالى فلابد من التصديق والتسليم والاستسلام والانقياد والإذعان .

والعقيدة هي من العقد، والتوثيق، والإحکام، والربط بقوّة<sup>(٢)</sup>؛ وعلى هذا فالتوكل على الله جازم الإيمان به ولا يتطرق إليه شك .

والعقيدة الصحيحة السليمة هي العقيدة التي بعث الله تعالى بها الرسل جميعاً، وارتضاهما الله تعالى لخلقـه جميعـاً، وهي عقيدة واحدة لا تتجزأ؛ لأنها منزلة من عند العـلـيـمـ الـخـبـيرـ، وهي في أصلـيـهـ - الكتابـ والسـنـةــ نـديـةـ طـرـيـةـ صـافـيـةـ تقـنـعـ العـقـلـ بالـحـجـةـ وـالـبـرـهـانـ، وـتـمـلـأـ القـلـبـ إـيمـانـاـ وـيـقـيـنـاـ وـحـيـاةـ.

ولقد خلقـ الخـلـقـ منـ أـجـلـ تـحـقـيقـ هـذـهـ عـقـيـدـةـ، وـهـذـاـ تـوـحـيدـ، وـلـايـكـونـ ذـلـكـ إـلاـ بـتـوجـيـهـ الـعـلـمـ وـالـنـيـةـ وـالـعـبـادـةـ لـمـنـ يـسـتـحـقـهـاـ، وـالـخـضـوـعـ لـهـ عـنـ رـضـاـ وـتـذـلـلـ وـمـحـبةـ وـإـلـاـصـ.

وـمـنـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ لـاـ يـنـبـغـيـ تـوـجـيـهـهـاـ إـلـاـ لـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ التـوـكـلـ عـلـيـهـ فـهـوـ مـنـ لـوـازـمـ إـيمـانـ بـهـ جـلـ شـأنـهـ، بـلـ هـوـ مـنـ صـمـيمـ إـيمـانـ، فـالـتـوـكـلـ عـلـيـهـ مـنـ الطـاعـاتـ الـوـاجـبـةـ فـمـنـ آـمـنـ عـمـلـ الطـاعـاتـ وـاجـتـبـ النـوـاهـيـ .

(١) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحديـنـهاـ مـحـمـدـ نـاصـرـ الدـيـنـ الـأـلبـانـيـ وـمـعـهـ التـوـضـيـحـ، بـقـلـمـ زـهـيرـ الشـاوـيـشـ، (بـيـرـوـتـ:ـ المـكـتـبـ الـإـسـلـامـيـ،ـ تـطـ ١٤٠٣ـ هــ ١٩٨٣ـ مـ)،ـ صـ ٧٤ـ ٧٦ـ .

(٢) انظر: لـابـنـ منـظـورـ ،ـ لـسانـ الـعـرـبـ:ـ عـقـدـ،ـ (٢٩٦ـ ٣ـ)ـ .

فـ "الـ تـوـكـلـ" نـصـفـ الـدـيـنـ، وـالـنـصـفـ الـثـانـيـ "الـإـنـابـةـ" فـإـنـ الـدـيـنـ  
استـعـانـةـ وـعـبـادـةـ، فـالـتـوـكـلـ هوـ الـاسـتـعـانـةـ، وـالـإـنـابـةـ هيـ الـعـبـادـةـ<sup>(١)</sup>.

لـذـلـكـ يـجـبـ صـرـفـ الـعـبـادـةـ وـالـاسـتـعـانـةـ لـهـ تـعـالـىـ حـتـىـ يـتـمـ إـيمـانـ الـعـبـدـ  
وـيـخـلـوـ مـنـ شـوـائـبـ الـشـرـكـ وـأـدـرـانـ الـجـاهـلـيـةـ إـذـ أـنـ صـرـفـهـ لـغـيرـ الـلـهـ شـرـكـ.

" وـالـإـيمـانـ وـرـاءـ ذـلـكـ كـلـهـ، وـهـوـ حـقـيقـةـ مـرـكـبـةـ مـنـ مـعـرـفـةـ مـاجـاءـ بـهـ  
الـرـسـوـلـ ﷺ عـلـمـاـ، وـالـتـصـدـيقـ بـهـ عـقـداـ، وـالـإـقـرـارـ بـهـ نـطـقاـ، وـالـانـقـيـادـ لـهـ  
مـحـبـةـ وـخـضـوـعـاـ، وـالـعـمـلـ بـهـ بـاطـنـاـ وـظـاهـرـاـ، وـتـنـفـيـذـهـ وـالـدـعـوـةـ إـلـيـهـ  
بـحـسـبـ إـلـمـكـانـ"<sup>(٢)</sup>.

إـذـ لـابـدـ فـيـ هـذـاـ التـوـكـلـ أـنـ يـتـرـجـمـ إـلـىـ وـاقـعـ عـمـلـ مـلـمـوـسـ؛ مـطـبـقـ بـالـقـوـلـ وـالـعـمـلـ،  
وـالـسـلـوكـ، وـالـمـظـهـرـ، وـالـقـيـمـ وـالـمـبـادـيـ؛ لـأـنـ عـقـيـدةـ لـابـدـ أـنـ تـعـبـرـ وـتـعـلـنـ عـنـهـ الـجـوـارـحـ  
وـيـتـرـجـمـهـاـ السـلـوكـ وـالـمـظـهـرـ.

فالـتـوـكـلـ لـيـسـ مـجـرـدـ عـمـلـ قـلـبـيـ بلـ هـوـ مـعـ ذـلـكـ قـوـلـ بـالـلـسـانـ، وـعـمـلـ بـالـجـوـارـحـ،  
إـذـ فـالـتـوـكـلـ عـمـلـ الـقـلـبـ، وـلـاـيـنـافـيـ حـرـكـةـ الـجـوـارـحـ، لـأـنـ الـقـلـبـ قـدـ سـكـنـ إـلـىـ مـنـ لـهـ  
الـأـمـرـ وـالـتـفـتـ إـلـيـهـ وـانـقـادـتـ لـذـلـكـ الـجـوـارـحـ فـالـتـوـكـلـ فـرـوـعـهـ مـنـشـرـةـ فـيـ كـلـ مـجـالـ.

وـبـمـاـ أـنـ التـوـكـلـ تـصـدـيقـ وـعـمـلـ فـقـدـ قـرـنـ اللـهـ تـعـالـىـ الـإـيمـانـ بـالـتـوـكـلـ فـيـ آـيـاتـ  
كـثـيرـةـ مـبـاشـرـةـ مـنـهـاـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ وـعـلـىـ اللـهـ فـلـيـتـوـكـلـ الـمـؤـمـنـوـنـ ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ قـلـ لـنـ يـصـيـبـنـاـ إـلـاـ مـاـ كـتـبـ اللـهـ لـنـاـ هـوـ مـوـلـنـاـ  
وـعـلـىـ اللـهـ فـلـيـتـوـكـلـ الـمـؤـمـنـوـنـ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (١١٨/٢).

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، تخریج وحواشی احمد راتب عرموش، (بيروت: دار النفائس، تطـ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٤٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ١١.

(٤) سورة التوبه ، آية: ٥١ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْنَّجُوِيَّ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْرُثَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيُّسَرِّ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقوله تعالى : ﴿ أَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿ اذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَأَللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالآية الكريمة التي في سورة آل عمران (١٢٢) نزلت في غزوة أحد<sup>(٥)</sup>  
ونحن نعلم مالهذه الغزوة في نفوس المؤمنين فقد كلفتهم الكثير الكثير من الجراحات  
والآلام، وكففهم أن يروا رسولهم الحبيب وقد وقع وحصل له ما حصل في تلك  
الغزوة إلا أن الله حكم عظيمة في مأواة المؤمنين منها أنه أراد أن يمحض ويختبر  
صدق النفوس في القول والعمل والطاعة لله ولرسوله، ومدى تحملها للتکاليف  
الإيمانية، والاستعداد للتزام الطاعة والاتباع ورد الأمر كله لله سبحانه.

لذلك جاءت الآية مناسبة ل الواقع، وهي تستجيش وتربي النفس المؤمنة على  
الاعتماد على الله وحده (فالتوكل هنا تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره  
فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلا إلا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم إلا إليه)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المجادلة، آية: ١٠ .

(٢) سورة التغابن، آية: ١٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢ .

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

(٥) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٩٨/١) .

(٦) علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي، ٤ ج، (بيروت: دار الفكر تط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)، (٤١٣/١).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِنْ شَاءُوا أَذْكُرُوهُمْ وَإِنْ نَعْمَلْتُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ أَذْهَبْهُمْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

الجزء من الآية يتضمن حادثة المجموعة التي همت يوم الحديبية أن تغدر برسول الله ﷺ وال المسلمين وتأخذهم على حين غفلة ولكن اطلع الله النبي ﷺ على ماتماثلوا عليه<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى " يحذر المؤمنين، أن يخالفوا أمره وميثاقه، فيستوجبوا بذلك العقاب، وعلى الله فلانق أزمة أمورنا ونسلم لقضائه، ونثق بنصرته وعونه المقربون بوحدانيته ورسالته رسوله فذلك هو كمال الدين وتمام الإيمان"<sup>(٣)</sup>.

وفي الآيتين السابقتين فائدة عظيمة حينما قرن التوكل بوحدانية الله سبحانه وتعالى في لفظ الجلالة (الله) المألوه المعبد، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين؛ وذلك لتحفيز المؤمنين على التوكل عليه سبحانه، وفي كلمة التوحيد والإيمان استجاشة وتقوية على النهو من بتکاليف الشريعة، والتکاليف العليا، وحتى يكون هناك صلة عظيمة مع الله متجردة من كل النوازع المعاوقة، وفي هذا الخطاب يظهر معنى التقوية للمؤمنين وطمأنينتهم، وأن الله راعيهم وكالنهم وناصرهم على عدوهم لامحال.

قال تعالى : ﴿قَالَ رَجُلٌ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوهُمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المائدة، آية: ١١ .

(٢) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥١/٢)، أحمد مصطفى المراغي، (٧٠/٢).

(٣) ابن جرير الطبرى، تفسير الطبرى من كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن، (٤٧/٣).

(٤) سورة المائدة ، آية: ٢٣ .



تتضمن الآية الكريمة المعنى التالي " وعلى الله تعالى خاصة "توكلا  
" بعد ترتيب الأسباب، ولا تعمدوا عليها فإنها لا تؤثر من دون إدراكه  
"إن كنتم مؤمنين" ، المراد بهذا الإلهاب والتهييج، وإنما فايقائهم  
محقق، وقد يراد بالإيمان التصديق بالله تعالى وما يتبعه من التصديق  
بوعده " إن كنتم مؤمنين" به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما  
يوجب التوكل عليه حتما" <sup>(١)</sup>.

" فإن في التوكل على الله - وخصوصاً في هذا الموطن - تيسيراً  
للأمر، ونصر على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه  
بحسب إيمان العبد؛ يكون توكله" <sup>(٢)</sup>.

كما أن هذه الآية الكريمة خبر من الله عز وجل وترغيب منه سبحانه وتعالى  
في المضي لأمره ثقة به وطاعة لأمره، فشرط الإيمان التوكل، ومن هنا تبرز قيمة  
الإيمان بالله والخوف منه، وهذه قاعدة عظيمة ومهمة في علم القلوب ومنطق  
الإيمان ومقتضاه هو التوكل عليه سبحانه وهو خاصية الإيمان وعلمه.

وفي قوله تعالى : ﴿أَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ  
وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ عَلَيْهِمْ إِعْيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> دليل إخلاص الاعتقاد والعبادة لله عز وجل فلا يمكن أن يجتمع  
في قلب واحد، توحيد الله، والتوكيل على أحد غيره سبحانه؛ فالمؤمن الحق  
هو من يرجف قلبه عند ذكر ربه والقلب المؤمن يجد في آيات القرآن ما يزيده  
إيمانًا وينتهي به إلى الاطمئنان، ثم إلى التوكيل على الله وحده فنجد هنا الإيمان في  
صورة مشاعر وحركات فتجد الوجل، والخوف يملآن القلب، ويظهر الإيمان

(١) العلامة الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، ج ٣٠  
(بيروت: دار إحياء التراث العربي نـ٤٠٥ هـ١٩٨٥ م) ح(٦٥-٦٧) (١٠٧).

(٢) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥١٥/١).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢.

والاتكال على الله وحده سبحانه وتعالى ذلك أن الإيمان تصديق القلب وعمل الجوارح بمعنى هو كل ما وقر في القلب وصدقه العمل، فالعمل هو الدلالة الظاهرة للإيمان الذي لابد من ظهوره في المشاعر والجوارح، والمراد من الآية:

"أن حصول الخوف من الله والفزع منه عند ذكره هو شأن المؤمنين الكاملي الإيمان، المخلصين لله فالحصر باعتبار كمال الإيمان لا باعتبار أصل الإيمان"<sup>(١)</sup>.

فالآية متضمنة التحرير والتلويح والإهاب على طاعة الله ورسوله وهذه مزية لمن كمل إيمانه، فالمعني أن المؤمنين الكاملين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تلقيت آياته زادتهم وجلا يفوضون أمورهم كلها إلى مالكهم ومدبرهم خاصة لا إلى أحد سواه.

فذلك الذكر بالقول والعمل يزيدهم علماً مالما يكونوا قبل ذلك علموه، وتزيدهم الآيات عملاً بذلك العلم، وتزيدهم تذكرة لما كانوا نسواه، وعملاً بتلك التذكرة. فهذه الصفات المذكورة في الآية القرآنية لا يجدها في نفسه وعمله إلا المؤمن الحق، فمن لم يجدها جملة لم يجد صفة الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْجَوَنَا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَسْ بِضَارٍّ لَّهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية: والدرآية: من علم التفسير، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ٤٠٣-١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥١.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٠.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ففي الآيات الكريمة السابقة أن التوحيد والتوكل على الله تعالى هو اختصاص المؤمنين الموحدين المتوكلين فهم يفعلون ما هو حقهم من اختصاصه جل شأنه بالتوكل الكامل، وما هذا إلا نتاج الإيمان المتغلغل في قلوب المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

"إن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية، وقطع التعلق بالمرة عما سواه من البرية، وذكر بعض الأجلة أن تخصيص المؤمنين بالأمر بالتوكل، لأن الإيمان بأن الكل منه تعالى يقتضي التوكل، ومن هنا قيل: ليس في الآيات لمن تأمل في الحث على التوكل أعظم من هذه الآية لإيمانها إلى أن من لا يتوكل على الله تعالى ليس بمؤمن وهي على مقال الطبيبي كالخاتمه، والفذكة لما تقدم، والمخلص إلى مشروع آخر"<sup>(٣)</sup>.

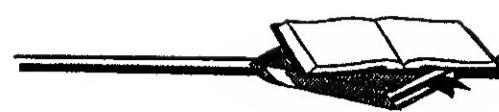
فتوحيده سبحانه وإخلاص العمل له والتوكل عليه إيماء إلى أن المؤمن لا يعتمد إلا عليه ولا يتقوى إلا به في جميع أموره، فلا قادر إلا هو عز وجل فمن خلال الآيات القرآنية علم أن التوكل مقام من مقام المؤمنين الذين يعملون لتحقيق معنى التوحيد لله، وإخلاصه له سبحانه؛ فعلم أن في ربط التوكل بالإيمان وقرنه به من المبالغة في الحث عليه؛ لأنه من توابعه ومقتضياته، فالتوكل على الله له منزلته، والتوكل على الله لابد أن يصفو به اليقين ويثبت بحقائق العمل، ويثبت في عقود الإيمان؛ لأن الإيمان الصادر من القلب لا يساويه في القوة والتاثير أي باعث آخر.

فالإيمان المتعمق في القلب هو في ظاهره يدل على سلامه إيمان المرء الذي يؤمن أن هناك ربا لابد من توحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ونعمل بهذا

(١) سورة التغابن، آية: ١٣

(٢) انظر: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (دار الجيل بدون تط) ص ٢٥٦.

(٣) الألوسي - روح المعاني، ج (٢٨-٢٧)، (١٢٥/٢٨-١٢٦).



التوحيد لننال سعادة الدنيا والآخرة، ولا يتحقق معنى التوكل الكامل إلا على وجه يوافق الشرع، وما جاء في الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ فهو القدوة والمثل الأعلى، وهو المبين والمفسر لما أجمل وخفي على أمته، ثم من أتى بعده واحتذى بسنته، فهم من رأوا وحضروا الواقع والأحداث ومن جاء بعدهم من السلف الصالح الذي كان يتحرى الأخبار الصحيحة فعرف وعرف ما علموه وأوضحوه لنا.

## المبحث الأول

### التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن

إن عقيدة المؤمن مليئة بقضايا الحق البدوية المسلمة بالعقل، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه.

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَنَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فقضية الخلق من القضايا المسلمة بالعقل، فهو رب العظيم الذي خلق وربى ودبر وهدانا إلى التقوى.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبهذه الآية الكريمة نستدل على أنه سبحانه وتعالى الخالق لهذا الكون الفسيح ومنه :

"تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنتات إلى واحد واجب الوجود"<sup>(٣)</sup>، وكذلك من قضايا الحق علم الله وقدرته وغناه وإفتقار العبد إليه سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَآسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقْلِبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَأَخْفَى﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأنعام، آية ١٠٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦١.

(٣) البيضاوي ، تفسيره، ص ٥٣٣.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) سورة طه، آية: ٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآيات القرآنية السابقة دالة على أن الله هو المعبود ذو العلم والقدرة المحيطة بكل شيء، والغني عن خلقه، وخلقه في حاجة إليه فبأنه وحده عليه توكله واعتماده وإنابته إليه.

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالتوكل قضية مهمة في عقيدة المؤمن فلا بد من عقد هذه القضية وتوثيقها وإحكامها وربطها بقوة في قلب المؤمن، فمنها يصلب ويشتد المؤمن ويقوى على امتحان أمر الله وسنته في الكون؛ لذا تقرر على الجماعة المسلمة في كل زمان ومكان أن تزن الأمور جميعها بميزان الإيمان والعقيدة، وأن تدرك الأمور ب بصيرة المؤمن وقلبه وترى بنور الله، ولا تستهين بذلك لأنه في :

"ظل العقيدة الإسلامية الصحيحة يتحقق الأمن والحياة الكريمة، ذلك أنها تقوم على الإيمان بالله، ووجوب إفراده بالعبادة القلبية والعملية دون سواه، وذلك بلا شك - سبب الأمن والخير والسعادة في الدارين."

قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. فهذا مصير أهل الإيمان<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٩ .

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥ .

(٣) سورة النمل، آية: ٧٩ .

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٢ .

(٥) انظر: لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، في ظل الشريعة الإسلامية يتحقق الأمن والحياة الكريمة للMuslimين ، (الرياض: دار إمام الدعوة تط الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م) ، ص ٦-٣٠ .

فمتى سلمت العقيدة يسلم معتقدها من الانحراف واتباع الهوى وينشرح صدره للنور المبين.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرَهَنٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذا النور يلمسه المؤمن ويشعر به، ويؤمن أن هناك قوة مدفونة في قلبه إلا وهي الثقة في الله والتوكل عليه في أموره كلها.

و قضية التوكل ثابتة بالكتاب والسنة المطهرة ولا بد من اليقين الجازم، والرضى، وإعلان هذه القضية العقدية الأخلاقية بالقول والعمل بمعنى أن يكون الظاهر مطابقاً للباطن.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والتوكل من لوازمه أن يصدر من أعماق قلب الشخص، وتكون قوة اليقين بحسب تغلقه في القلب، وبمقدار ما فيه من صدق حال من الشكوك، والعوارض المرضية فعمل المؤمن لا يخرج عن اثنين: أحدهما: أعمال قلبية، وثانيهما: أعمال مختصة بالجوارح بينهما من الارتباط ما هو معلوم، فالتوكل من الأعمال والعبادات

(١) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧٤.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

التي تظهر على الجوارح بعد ثبوته في قلب العبد المؤمن ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup> في معنى التوكل:

قال أبو تراب النخبي<sup>(٢)</sup>: (هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية. فإن أعطى شكر، وإن منع صبر)<sup>(٣)</sup>.

فإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالآية دليل على أن دخول الجنة منوط بما هو معقود من إيمان صحيح بالقلب يتبعه العمل الصالح معا، فالمؤمن برحمته ربه جدير بدخول الجنة جزاء وفاقا لإنباته، وإنابته، وتوكله، وإخلاصه لربه في السر والعلن، وفي هذا يكون (الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان، وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب، وانقياده، ومحبته فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف وهلاك). فتختلف العمل ظاهرا مع عدم المانع دليلا على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقشه دليلا نقصه، وقوته دليلا قوته، فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخله، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخله<sup>(٥)</sup>، وقد روي أن النبي ﷺ قال لسفيان بن

(١) هو شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعبي، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، من كتاب الفوائد ترجمة في المقدمة.

(٢) أبو تراب النخبي أحد أعلام المتكلمين؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبغاني، ماج (٤٥/١٠)، (١٠-٩).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (١٢١/٢).

(٤) سورة البقرة، آية: ٨٢.

(٥) ابن القيم، الفوائد، ص ١١٢.



عبدالله<sup>(١)</sup> الثقفي وقد قال له يارسول الله: " قل لِي فِي الْإِسْلَامِ  
قُوَّلَا لِأَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقَمْ "<sup>(٢)</sup>،  
(فَلَيْسَ الإِيمَانُ بِالْتَّحْلِي وَلَا بِالْتَّمْنِي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ  
وَصَدَقَتِهِ الْأَعْمَالُ)<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر في خطاب القرآن الكريم للمؤمنين أن معظم التكاليف والأخلاق  
والآداب الشرعية السلوكية مبنية على تحقق القاعدة الإيمانية لدى المخاطبين بها،  
فاكثر هذه التكاليف نجدها مصدرة بنداء الله عز وجل المحبب للمؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا  
الَّذِينَ إِيمَانُكُمْ حَقٌّ﴾ .

فمنها قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُكُمْ حَقٌّ إِنَّمَا  
مَنْ يَرِبَّوْا ...﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُكُمْ حَقٌّ إِنَّمَا  
دَعَاكُمْ لِمَا يُحِيقُّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> وغيرها كثير.

فالعقيدة كما اتضح لنا لها تأثير على السلوك بوجه عام فهي حافز في عمق  
كل مؤمن والرسول - ﷺ - هو المثل والقدوة في ذلك .

ومن وجهة نظري فإن الإيمان الحق هو الذي يشتمل على ركيزتين هامتين  
والله أعلم في ذلك :

(١) سفيان بن عبد الله الثقفي ولد سنة ٩٧، توفي سنة ١٦١؛ من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر، (٤٠٠ / ٣).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ)، وبيروت : دار الكتب العلمية ١٣٤٩هـ)، (٣٨).

(٣) انظر: الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق ناصر الدين الألباني، (الكويت) دار الأرقام بدون تط) ص ٤٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٨.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.



أولاً: العقيدة الثابتة التي لا يخالفها شك.  
وثانياً: العمل الذي يصدق العقيدة وهو ثمرتها.  
فالتوكل عمل قلبي إذا صدق ظهر على جوارح العبد المؤمن، وهذا مائراته في آيات كثيرة.

**قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(١)</sup>.  
فتدل الآية على أن مقوله الناس لهم زادتهم إيماناً بالله وثقة به "فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم .... يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله، ولو عده ووعد رسوله إلى تصديقهم .... قالوا ثقة بالله وتوكلا عليه .... "حسبنا الله ونعم الوكيل" يعني .... يكفينا و"نعم الوكيل" ونعم المولى لمن ولية وكفله"<sup>(٢)</sup>.

فالقلب المؤمن إذا انطوى على اليقين والوثوق به سبحانه وتعالى، تأكد من أن الله لن يضيعه، وما تلك المقوله إلا تعبير صادق عن إيمانهم. أي أن الله كافينا مايهمنا من أمر الذين جمعوا لنا فيما علينا إلا العمل بما أمر، والتوكل عليه، وتقويض جميع أمورنا إليه سبحانه عز وجل .

**وقال تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّنَ طَآفَةً مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٢) ابن جرير الطبرى، تفسيره، (٣٦٤/٢).

(٣) سورة النساء: آية: ٨١ .

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ففي الآيتين بيان أن مقام التوحيد لا يتحقق إلا بفعل الطاعات، وطاعتني لأمر رسول الله ﷺ هي من العبادات؛ لأنها مرسى من رب العباد، ومقام التوحيد العظيم هو طاعة الله الذي أمر بها وهو من طاعة رسوله المبلغ عنه.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هُوَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

طاعته قد تغلغلت في أعماق النفوس، وتجذرت في القلب، وبهذا يكون الإيمان والعقيدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنفس، وهذا ما دلت عليه الآياتان.

والقرآن العظيم كلها دعوة إلى التربية والأخلاق التي لا يمكن الاستغناء عنها بل هي من الأمور الأساسية التي لابد منها لاستقامة الإنسان في الحياة لينال سعادة الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحَسْنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالله تعالى يرحب بعباده في العمل الصالح المبني على الإيمان بالله الذي هو أساس في قبول الأعمال، ويترتب عليه سعادة الدارين، فالعمل إذا لم يكن مقوينا بالإيمان لا ينفع صاحبه.

ومن هذه الأعمال والأخلاق والعبادات ما تدعونا إلى صفاء النفس وتهذيبها أو إلى حسن السلوك مع الآخرين.

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٩ .

(٢) سورة الحشر، آية: ٧ .

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧ .

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴾ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لَبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ أَنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَتَحْنَ اللَّهَ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

"فهذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتجليل والإعظام...<sup>(٢)</sup>؛ فالسورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهما من أبناء جنسهم...<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآداب والأخلاق قواعد يتعامل بها المؤمنون مع أنفسهم أولاً، ثم مع الآخرين ولا سيما إذا كان من يتعاملون معه هو الرسول النبي الأمي ذو المكان والمقام الرفيع عند الله تعالى.

والآداب القرآنية كما ذكرنا كثيرة وفي اتجاهات عديدة، ولهذا نرى الإسلام يأمر بالأدب في المأكل والمشرب والمشي وفي التواضع، وعند الكلام، وعند المقابلة، وتحميم الباطن وتحسينه، والسعى إلى معالي الأمور مثل الأعمال العلمية، وعمل الخيرات ومكارم الأخلاق التي يمدح فيها الناس.

قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الحجرات، آية: (٣-١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣١٥/٤).

(٣) انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر، تط الثالثة ٤٠٥ هـ)، (مج ٤) (١١٨/٢٨).

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.



وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ وَأَقْصِدُ فِي مَشْيِكَ... ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الرسول الكريم لأبي سلمة "يا غلام سم الله وكل بيمنيك وكل مما يليك" <sup>(٢)</sup>.

وعن الكلام، قال تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وعند المقابلة والنهي عن تصوير الخد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾ <sup>(٤)</sup>.

فهذه الآداب إذا ركزت فهي قواعد، وإذا صلبت فلن تحيد ولن تضطرب وإذا لم يهتم الإنسان بتلك القواعد ولم يعرها اهتمامه فستتحكم حياته الفوضى ويعملها اللامبالاة وذلك لأن الحافز والمؤثر الأساسي مفقود.

فالأخلاق السابقة عظيمة تدعو إلى الإيمان مع ربطها بخلق إسلامي عظيم فإن أخلاق الإسلام منتشرة في رحاب كتاب الله الخالد إلى يوم القيمة تدعو إلى أنسى قصد وأسمى غاية، ونخص بالذكر هنا خلق التوكل، فالقرآن يدعو إليه بشتى الأسلوب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(١)</sup>.

(١) سورة لقمان، آية: ١٨-١٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، (٤٥١/١١)، كتاب الأطعمة.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٩.

(٤) سورة لقمان ، آية: ١٨.



ففي الآية المؤمن الحق هو المؤمن المتوكل على الله إذا هم أن ييأس تذكر أن الله ولهم فيفر اليأس منه، ويعلم أن الله له ملکوت كل شيء.

"**فَكِفَايَةُ اللَّهِ تَجَلتُ فِي الْهَدْوَءِ وَالْطَّمَانِينَةِ فَأَصْبَحَ ضَبْطُ النَّفْسِ وَسَمَاحَةُ الْقَلْبِ، وَإِقَامَةُ الْعَدْلِ مِيسُورَةً، وَيُسْتَحِيُّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا يَفْوَوْا بِمِيثَاقِهِمْ مَعَ اللَّهِ، وَهُوَ يَرْعَاهُمْ وَيَكْلُفُهُمْ، وَيَكْفُ الأَيْدِيُّ الْمَبْسوَطَةُ إِلَيْهِمْ"**<sup>(٢)</sup>.

وهناك أساليب دعت إلى التوكل على الله مستوحاة من التربية القرآنية نذكر منها هنا ما يفيد البحث على سبيل الإيجاز والقصر فمن أهمها:

١- الأمر الصريح بالتوكل على الله تعالى.

٢- ثناء الله على المتكفين.

٣- أنه من صفات الأنبياء والمرسلين.

٤- وعد الله بكفاية من توكل عليه.

٥- كونه شرطا في تحقيق الإيمان.

### **أولاً: الأمر الصريح بالتوكل على الله :**

التوكل من خلق رسولنا الكريم ﷺ فقد رسم عقيدة خلقا، فأمر تعالى رسوله بالتوكل عليه، فسأذكر آيات فيها أسلوب الأمر على سبيل الإيجاز لا الحصر.

(١) سورة المائدة، آية: ١١.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٨ مجل (جده: دار العلم للطباعة، نـ١٤٠٦-١٢٥١ـ).

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا  
الْقَلْبُ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ  
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: «وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيْتَ  
طَآفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ  
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى  
اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: «وَلَلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ  
كُلُّهُ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»<sup>(٤)</sup>.

والتوكل من خلق رسولنا الكريم ﷺ فقد رسم عقيدة وخلقها وربى الرعيل  
الأول رضوان الله عليهم على التوكل على الله فرسخ وتمكن من قلوبهم.

فالآيات الكريمة السابقة جميعها أمر من الله تعالى لنبيه بالتوكل عليه  
وللمؤمنين تبع له.

فالآية من سورة النساء أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بالإعراض  
عن المنافقين .

"فاعرض عنهم قلل المبالغة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في  
الأمور كلها لاسيما في شأنهم وكفى بالله وكيلًا يكفيك معرتهم وينقم  
لك منهم" <sup>(١)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) سورة النساء، آية ٨١.

(٣) سورة الأنفال، آية ٦١.

(٤) سورة هود، آية ١٢٣.

والآية من سورة هود أمر بالتوكل فالله تعالى كافي رسوله كل ما يكره ومعطيه كل ما يحب، والفاء لترتيب الأمر بالعبادة، والتوكل على أن مرجع الأمور كلها إلى الله سبحانه<sup>(٢)</sup>.

فها هو القرآن منهج تربية للنفس والمجتمع ولا سيما إذا كانت تلك النفس هي نفس محمد ﷺ ومجتمع كمجتمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فالآية تتضمن معنى "لاتهتك سترهم ولا تفضحهم ولا تذكرهم بأسمائهم، وإنما أمر الله ستر أمر المنافقين إلى أن يستقيم أمر الإسلام، ثم قال (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في شأنهم، فإن الله يكفيك شرهم وينتفع منهم (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) لمن توكل عليه"<sup>(٣)</sup>.

والرسول ﷺ من أكثر الناس توكلًا على ربه العلي القدير وهذا ما يدل عليه موقفه ﷺ يوم الخندق وما بلغهم من تأمر قريش وأحزابهم وحلفائهم، فوقف ﷺ موقف المتوكل على الله في اموره وأحواله.

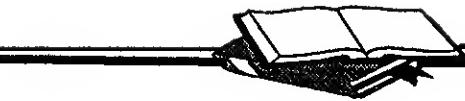
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَقْ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) البيضاوي، تفسيره، ص ١١٩.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، (٥٣٥/٢).

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، (٢٠١/١٠).

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣-١.



"واكتف بالله وكيلاً أي حافظاً موكولاً إليه كل أمر. أو المعنى: وكفى به وكيلاً لمن توكل عليه وأناب إليه"<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن عاشور، الأساس في التفسير، (دار السلام، تط الثانية، ١٤٠٩هـ)، (٤٣٨٦/٨).

## ثانياً: ثناء الله على المتكلين :

إن القرآن تنزيل من رب العالمين، وفيه ما يثير النفس ويدعو للتتبع والتأمل ففي ثناء الله ما يدعوا إلى الحث على فعل الشيء والقرآن حين يستخدم أسلوب الثناء فإنه يخبر بأن العاقبة حسنة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الله تعالى إذا أحب عبداً زقه طاعته فيمتلئ قلب العبد معرفة بالله وخوفاً ومهابة وإنابة وتوكلًا ولا يبقى في القلب إلا الله ولا تستطيع الجوارح إلا موافقة المحبوب.

فالله تعالى يحب الراضون بقضائه والمستسلمين لحكمه المتكلين عليه في أمورهم جميعها<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾<sup>(٣)</sup>.  
”يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ففوض أمرك إلى الله يا محمد، وثق به فيها، فإنه كافيك ”إنك على الحق المبين“ لمن تأمله، وفك ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق“<sup>(٤)</sup>.

فالآية فيها تعليل صريح للتوكيل عليه بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق المبين<sup>(٥)</sup>.

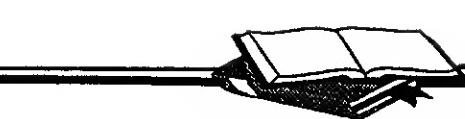
(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) ابن جرير الطبرى، جامع البيان، (٣٥٥/٢).

(٣) سورة النمل، آية ٧٩.

(٤) المصدر السابق، (٥٨١/٥).

(٥) أبي السعود، إرشاد العقل السليم، مزايا الكتاب الكريم، (٢١٥/٤).



وبهذا فالقرآن يغرس الإيمان والتوكل ويربى ويعلم كيف يكون حسن الإيمان والتوكل، والآيات والشواهد القرآنية كثيرة لا يسمح المجال لذكرها لذلك كان الاختصار على بعضها.

### ثالثاً : كونه من صفات الأنبياء والمرسلين :

أمر تعالى الأنبياء السابقون بالتوكل عليه وجعلوه نبراس حياتهم ليمضوا في طريق الدعوة.

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنْ كَانَ كَثُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِإِيمَانِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمِعُوهُ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ آتُهُمْ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى على لسان موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْوَأُ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الآية من قول نوح :

"خبره مع قومه إذ قال لقومه إن عظم عليكم وشق كوني إقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري إياكم بآيات الله (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) وثبتت به (فَاجْمِعُوهُ أَمْرَكُمْ) فاعزموه عليه وشركاءكم أي مع شركائكم فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعى في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم، ثم لا يكن أمركم في قصدي عليكم غمة ستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشفاً من غمة إذا ستره (ثُمَّ لَا

(١) سورة يونس، آية: ٧١.

(٢) سورة يونس، آية: ٨٤-٨٥.



يَكُنْ) حالكم عليكم غما إذا أهلكتموني وتخاصتم من ثقل مقامي  
وتذكري ثم (أَقْضُواْ) أدوا إلى ذلك الأمر الذي تريدون ثم انتهوا إلى  
بشركم أو ابرزوا إلى (وَلَا تُنْظِرُونَ) ولا تمهلوني فإن أعرضتم عن  
تذكري فما سألتكم من أجر يوجب توليكم إن أجري وثوابي على  
الدعوة والتذكير إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين  
لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره<sup>(١)</sup>.

وفي الآية الثانية من نفس السورة قول موسى: "يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ  
بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ فَتَقْتُلُواْ بَهْ وَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ مُسْتَسْلِمِينَ  
لِقَضَاءِ اللَّهِ مُخْلَصِينَ لَهُ، وَلَا هُمْ كَانُواْ مُؤْمِنِينَ مُخْلَصِينَ قَالُواْ تَوَكَّلْنَا  
عَلَى اللَّهِ، وَفِي تَقْدِيمِ التَّوْكِلِ عَلَى الدُّعَاءِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَ يَنْبَغِي  
أَنْ يَتَوَكَّلْ أَوْ لَا لِتَجَابِ دُعَوْتِهِ"<sup>(٢)</sup>.

وأمر هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ  
رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُهُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى  
صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأمر شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَأَقُومُ أَرَءَيْتُمْ  
إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا  
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا  
الْأَصْلَحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) البيضاوي ، تفسيره ، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦.

(٣) سورة هود ، آية ٥٦.

(٤) سورة هود ، آية ٨٨ .



وأمر إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُهُ اذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَا بُرْءَاءُونَا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

وأمر يعقوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَسْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَيَنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمر نبي الرحمة المهداة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لِتَتَلَوَّ أَعْلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالآيات جميعها دالة على أمر الله تعالى لأنبيائه بالتوكل والاعتماد عليه سبحانه في سبيل نشر دعوتهم دعوة الحق وبذل الجهد والسعى لأجل إعلائها.

(١) سورة الممتحنة، آية ٤.

(٢) سورة يوسف، آية ٦٧.

(٣) سورة الرعد، آية ٣٠.



#### رابعاً: وعد الله بكفاية من توكل عليه :

إن القرآن الكريم بهذا الأسلوب يدعوا إلى التمسك بالتوكل على الله، فمن أصاب التوكل في أعماله جاءته بعد ذلك كل الوعود التي وعد بها سبحانه عباده لمن تمسك بالتوكل وجعله صبغة أفعاله، فالمؤمن يتلقى أوامر ربه ويلقيها على جميع جوارحه، فإن أطاعته هذه الجوارح وخضعت نال مراده من رب العباد عاجلاً أم آجلاً.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عَنْدَكَ بَيَّنَتْ طَآفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

ف والله تعالى في هذه الآية يكفل لحبيبه ﷺ أمره تجاه مخالفيه وأعدائه من أهل الكتاب والمنافقين .

"(وتوكل) أنت يا محمد "على الله" يقول أو فوض أنت أمرك إلى الله، وثق به في أمرك، وولها إياه، "وكفى بالله وكيلا" يقول وكفاك بالله . أي: وحسبك بالله. "وكيلا" أي فيما يأمرك، ووليا لها، ودافعا عنك وناصر ا"<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمُسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَلَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنَوْا بِاللَّهِ وَرَسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَالثَةٌ

(١) سورة النساء، آية ٨١.

(٢) ابن جرير، جامع البيان، (٥١٢/٢).

(٣) سورة النساء، آية ١٣٢.

أَنْتَهُو أَخْيَرًا لَكُمْ إِنَّمَا أَلَّهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ  
لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا<sup>(١)</sup>.  
ففي الآيتين معنى اتخاذه سبحانه وكيلاً ولا تتوكل على غيره<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ  
وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي الآيتين معنى أنه سبحانه متصرف بكيفية كفايته تعالى للمؤمنين في  
سلب قدرة الأعداء من الإنس والجن على الإغواء<sup>(٥)</sup>.

"أن الوكيل": من يتوكلا عليه، فتقوض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع  
الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده جل وعلا، ولهذا حذر من اتخاذ وكيل دونه، لأنه  
لانافع ولا ضار، ولا كافي إلا هو وحده جل وعلا، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم  
الوكيل"<sup>(٦)</sup>.

فأقول وبالله التوفيق: إن التوكل على الله هو أن يعلم المؤمن أن الله قد ضمن  
وكفي له الرزق وغيره فيصدق الله فيما ضمنه وكفاه إياه ويثق بقلبه ويتحقق الاعتماد  
عليه سبحانه فيما ضمنه وكفاه.

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

(٢) انظر: ابن جرير، المصدر السابق، (١٧٠/٢).

(٣) سورة الإسراء، آية ٦٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣.

(٥) أبوالسعود، إرشاد العقل، (٣٤١/٣)؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (المكتب  
الإسلامي، تط الثالثة ١٤٠٣ هـ)، (٦٠/٥).

(٦) الشنقيطي، أصوات البيان في تفسير القرآن بالقرآن، (بيروت: عالم الكتب)، (٤٠٤/٣).

### خامساً: كونه شرطاً في تحقيق الإيمان وشعبه:

إن المتتبع لآيات القرآن الخاصة بالتوكل يلحظ أن الله تعالى كثيراً ماربط التوكيل بالإيمان وبالإسلام.

ففي قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوْا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَأَقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِإِيَّاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ﴾

(١) سورة آل عمران، آية: ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٩.

أَمْرُكُمْ وَشَرِكَاتُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةً ثُمَّ آتَقْضُوا إِلَى  
وَلَا تُنْظِرُونِ<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَأَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ إِمَانَتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ  
تَوَكِّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا لَا تَجْعَلْنَا  
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن خلال هذه الآيات التي استعرضناها نجد أن الله تعالى قد قرن بين التوكل  
ومراتب الدين: الإيمان، والإسلام، والإحسان، فعلى ذلك نقول إن التوكل هو جماع  
الإيمان، وما هذا إلا إشارة إلى علو منزلة التوكل على الله، والتوكل كما أشرنا عمل  
قلبي، والقلب موضع الإيمان الأصلي .

" فأصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال،  
 وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها؛ والدين القائم بالقلب من الإيمان  
علمًا وحالا هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال  
الإيمان، فالدين أول ما يبتديء بأصوله ويكمel بفروعه"<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الآيات دالة على أن المؤمن الحق هو من يتذكر أن الله تعالى وليه  
ووكيله، فینصره بما يستفيد من الإيمان والذكر والتقوى، ولا تحصل حقيقة التوكل إلا  
بالسير على سنن الله في نظام الأسباب والمسببات؛ لأن من يوكل الأمر إلى الله يجب  
أن يطاع، ومن تكب سنن الله سبحانه وتعالى في العالم خالف شرعه فيما أمر به من  
عمل نافع ونهى عنه من عمل ضار لا يصح أن يسمى متوكلا عليه واتقا به فكل من  
تابع وأطاع أمر الرسول ﷺ وافقه فسيكون الظفر والنصر وكلما دخل الكم الهائل  
من طاقة لطاعة الرسول في القلوب فسوف يصل إلى الكسب؛ لأن الأمر منه وإليه

(١) سورة يونس، آية: ٧١ .

(٢) سورة يونس، آية: ٨٤-٨٥.

(٣) أحمد بن تيمية شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه  
محمد (تط الأولى ١٣٩٨هـ)، (١٠/١٥).



سبحانه وتعالى، "فَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ يَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُ، وَهَذَا خَاصَّةُ الإِيمَانِ وَعَلَمَتْهُ، وَهَذَا مَنْطُوقُ الإِيمَانِ وَمَقْتَضاهُ" <sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ <sup>(٢)</sup>، إن خلق التوكل لا يكون إلا بعد بذل الوسع في مراعاة السنة وامتثال الأمر، والله تعالى هو الموكول إليه كل شيء ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والإذعان والاستسلام والاطمئنان، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ <sup>(٣)</sup>، والتوكل هنا بالتفويض وترك الاختيار.

كذلك ربط الله سبحانه وتعالى آيات الوحدانية والعبادة له وإخلاص الأمر والتقى بالتوكل.

قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ <sup>(٤)</sup>.  
والمعنى في جملة "إنني توكلت" تعلييل المضمون "فكيدوني" وهو التعجيز والاحتقار بمعنى أنه واثق بعجزهم عن كيده؛ لأنه متوكلاً على الله، فهذا معنى ديني قديم، وأجرى على اسم الجلالة صفة الربوبية استدلاً على صحة التوكل عليه في دفع ضرهم عنه، لأن مالكم جميعاً يدفع ظلم بعضهم بعضاً وجملة {من دآبَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا} في محل صفة لاسم الجلالة أو حال منه، والغرض منها مثل الغرض من صفة الربوبية ... وجملة {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} تعلييل لجملة {إنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ} أي توكلت عليه لأنَّه أهلً لتوكلي عليه، لأنَّه متصف بِإِجْرَاءِ أَفْعَالِهِ عَلَى طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالتَّأْيِيدِ لِرَسُولِهِ <sup>(٥)</sup>.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢/٨٧٠).

(٢) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٣) سورة هود، آية: ٨٨.

(٤) سورة هود، آية: ٥٦.

(٥) انظر لمحمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتوير، (١٢/١٠٠-١٠١).

فذكر التوكل أولا لأنه من أعلى مقامات التوحيد ومن لوازمه ومقتضياته.

قال تعالى: ﴿ وَلَلَّهِ غَيْبُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

في هذه الموضع جمعت العبادة والتوكيل والاستعانة، فالله تعالى لم يأمر بالتوكيل فقط، بل أمر بالتوكيل وبعبادته التي تتضمن فعل ما أمر وترك ما نهى فالعبد لله عبودية تامة متوكلا عليه فهذا هو من عرف الطريق ولزم الجادة<sup>(٥)</sup>، فالتوكل لن يكون صحيحا إلا إذا وجدت العبادة الحقة لله سبحانه، وقام العبد بخصائصها على أكمل وجه.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مُّثَلُّكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْنُعُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّاتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبْلَنَا وَلَنَصِيرَنَا عَلَىٰ مَا ءاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة هود، آية: ١٢٣.

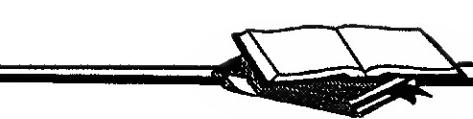
(٢) سورة الممتحنة ، آية: ٤.

(٣) سورة الرعد، آية: ٣٠.

(٤) سورة الشورى، آية: ١٠.

(٥) انظر : لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٥٢٧/٨).

(٦) سورة إبراهيم، آية: ١١-١٢.



ومفهوم الآية أن المؤمن لن يبلغ ماله من خلافة إلا بإذن ربه؛ لأن جماع الأمر كله بيده سبحانه. وقد قرن التوكيل بالمؤمنين تأكيداً على اقتران التوكيل بالإيمان وبه تخلص الأعمال من وساوس الشيطان.

وليس للشيطان سبيل على المؤمنين المتوكلين وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

"إنه لا تسلط للشيطان على الذين يصدقون بلقاء الله ويفوضون أمورهم إليه، وبه يعودون وإليه يتتجئون، فلا يقبلون ما يوسمون به ولا يطعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته"<sup>(٢)</sup>.

إن الاعتراف بالعبودية لله تعالى وتوحيده عز وجل له مخرج لكل إنسان من الابتلاء، ولا سيما إذا كان هذا العبد هو المؤمن، فما من سراء أو ضراء إلا ويعلم المؤمن أنها من الله وتحسبها على الله تعالى وهذا هو خلق المتوكلين، وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ بَلَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَافِلُونَ ضُرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُونَ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النحل، آية: ٩٩.

(٢) المراغي، تفسيره، (١٤٠/٥).

(٣) سورة الزمر، آية: ٣٨.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٦.

وفي رواية " عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا خوج الرجل من بيته فقال: بِسْمِ اللَّهِ، تُوَكِّلْنَا عَلَى اللَّهِ، وَلَا هُوَ لَنَا بِاللَّهِ، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت فتنحنح له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك بـرجل قد هدي وـكفي وـوقي؟" <sup>(١)</sup>.

فجميع الموضع التي ذكرت التوكل مقرتنا بالوحدانية والعبودية في القرآن فيها معنى عظيم؛ أنه بعد إقرار الوحدانية والعبودية له سبحانه وتعالى، لاتمنع التوكل عليه، بعد أن أرنا الهدى والطريق القويم وعلى ذلك فليس للشيطان ولاية ولاطاعة على العبد المؤمن لأنـه قد آمن وأقر بالـلوـهـيـةـ اللهـ سـبـانـهـ وـتـعـالـىـ وـأـخـلـصـ لـهـ الـجـنـابـ، وهذا كلـهـ منـ أحـوالـ القـلـبـ وـأـعـمـالـهـ وـمـاـيـكـونـ منـ لـوـازـمـ الإـيمـانـ الثـابـتـةـ فـيـهـ لـذـاكـ فإنـ التـوـكـلـ مـحـضـ الـعـقـيـدـةـ الصـحـيـحـةـ؛ لأنـهـ فـرـيـضـةـ عـلـىـ الـعـبـادـ.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وفي هذا أمر رسول ﷺ ولأمته من بعده إلى يوم القيمة.

" فالعبادة هي ما يراد به وجه الله من كل عمل لا يكمل إلا بالتوكل الذي يكمل به التوحيد" <sup>(٣)</sup>.

والناس تتفاصل في التوكل، وكذلك في الإيمان، ويكون ذلك على قدر اليقين الذي عندهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجْلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ وَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

(١) أبو داود (٥٠٩٥) واللفظ له؛ الترمذى (٢٤٢٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال محقق "جامع الأصول" ٤/٢٧٤: وهو حديث صحيح.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢١١ مج (بيروت: دار الفكر، تط الثانية بدون)، (١٩٧/٢).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.



فعلى قدر الإيمان واليقين يزيد التوكل رسوحاً وثباتاً في القلب "والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية"<sup>(١)</sup> وصيحة منه لعباده المؤمنين بالتوكل الذي هو ذروة الإيمان، ومن أعلى درجاته، فعلينا أن نقيم العهد على رسوخه والعمل به في أمورنا كلها دينية ودنيوية، فهو يهدي صاحبه للفوز بصحبة الأخيار في الفردوس الأعلى "فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، عليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك"<sup>(٢)</sup>.

فالتوكل عقيدة لابد من الحرص على سلامتها ونبذ كل شبهة؛ لأن العقيدة لاتسلم إلا بإخلاص العبودية لله تعالى ويكون المرء بعد ذلك محققاً مضمون تلك العبودية إرادةً ومحبةً وتوكلًا، وإنابةً وإخباراً وخشيةً ورجاءً، كما حققتها سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم علماً وعملاً.

(١) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، مجلد (الرياض: المطابع الإسلامية العربية، تط ١٤١٣هـ)، ص ٢٥٥.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١٣/١).



## المبحث الثاني التوكل على الله من أعمال القلوب

لما كان القلب للأعضاء كالملاك المتصرف في الجنود، كانت جميع الأعمال صادرة منه يستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعتقد من العزم<sup>(١)</sup>، "وسمى القلب قلباً لتكلبه في الأمور، أو لأنه خالص مافي البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوباً وفي الحديث " عن النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ..... إلا وإن في الجسد مضفة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب"<sup>(٢)</sup>.

"فالقلب خص في الحديث لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والتحث على إصلاحه"<sup>(٣)</sup>.

فالاصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب، لأنه عماد ذروة البدن؛ قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَئْرَابُ إِمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْنَ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلْتَكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: لابن رجب الحنبلي، وابن القيم، أبي حامد الغزالى، تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، جمع أحمد فريد، تحقيق ماجد بن أبي الليل (بيروت: دار القلم تط الأولى، ١٤٠٥هـ)، ص ٢٤.

(٢) انظر: لصحيح البخاري مع فتح الباري، (١٦٨/١) كتاب الإيمان ، ومسلم في المساقاة من حديث النعمان بن بشير.

(٣) انظر: لابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٧١/١).

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٤ .



فالآية: دليل على أن الإيمان من عمل القلب والإسلام من عمل اللسان، وإذا كان عمل القلب لم يدخل ويستقر فليس ذلك إيمان لأنَّه سبحانه وتعالى قد عبر بكلمة "في" وهي دالة على أن الإيمان لابد أن يغشى القلوب ويأسرها<sup>(١)</sup>.

فالقلب ملك، منفذ يأمر النفس، وهو المسئول عنها؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته ويستدل من قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(٣)</sup>، "على أن العقل في القلب، وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه"<sup>(٤)</sup>؛ لأن القلب يوصف بالحياة وضدها، وهو بذلك ثلاثة أقسام:

(الأول: القلب الصحيح السليم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وهو القلب الذي خلص الله في عبوديته إرادة، ومحبة، وإنابة، وإخباتاً، واستعاناً، وتويلاً.

الثاني: القلب الميت وهو القلب الذي لا يعرف ربَّه، ولا يأتمر بأمر الله، لا يستجيب إلا لشيطانه وهو اه.

الثالث: القلب المريض وهو القلب الذي به حياة وبه علة تمده هذه مرة وهذه أخرى. وهو لما غالب عليه منهما وفيه ما هو مادة حياته من محبة الله، والإيمان به، والأخلاص له والتوكيل عليه، وفيه ما هو مادة هلاكه وفساده من محبة الشهوات، وإيثارها، والحرص على تحصيلها<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: للإمام الرازى، مفاتيح الغيب، مج ١٤، ٢٨/١٤٢.

(٢) سورة الحج ، آية: ٤٦ .

(٣) سورة ق ، آية: ٣٧ .

(٤) انظر: لابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٧٢/١).

(٥) سورة الشعراء، آية: ٨٨-٨٩.

(٦) انظر: لجماعة من العلماء، تزكية النفوس، ص ٢٥ .

فالقلب الأول : حي مختب ، لين واع ، والثاني : يابس ميت ، والثالث : مريض ؛ فاما الى الفلاح أدنى ، وإما الى الهالك أدنى فمن أراد صفاء قلبه وإخباره وسلامته فليؤثر الله على شهوته وشيطانه فالقلوب آنية الله في بدن المؤمن فإذا غذى ونصح هذا الإناء بالذكر ، وسقي بالتفكير ونقى من الفساد ، رأى العجائب وألمهم الحكمة<sup>(١)</sup> .

فالقلب يمرض ويهالك من الغفلة ، وي عمر ويحيا من الخشية والذكر فالقلوب تمرض وشفاؤها في الرجوع إلى الله ، وتعرى ولباسها التقوى وتتجوّع وطعامها المحبة والإنابة والتوكّل على الله ، وتکسل ونشاطها في العمل ، وعمل القلب المقصود منه هو النية ، والإخلاص والانقياد ، والإذعان ، والإقبال ، والإنابة ، والاعتصام والتوكّل على الله سبحانه ولو الزم ذلك وتوابعه .

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الْأَدِينُ الْخَالِصُ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرْوًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ أَدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾<sup>(٤)</sup> .

وما هذا الإخلاص إلا القصد بالعبادة إلى أن يعبد الله وحده دون سواه ، ويكون هذا الإخلاص والقصد بالقلب ، والعمل ، والتبري عن كل مادون الله تعالى ، فإذا اجتمع في المرء المؤمن قول القلب ، وعمله ، وقول اللسان ، وعمل الجوارح تكون النتيجة الحتمية التصديق المطلق .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر: ابن القيم في الفوائد، ص ١٢٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣ .

(٣) سورة البينة، آية: ٥ .

(٤) سورة الزمر، آية: ١٤ .

(٥) سورة الزمر، آية: ٣٣ .

هذا كله نابع من محبة العبد المؤمن لربه عز وجل فمكنت المحبة  
القلب فهي لاتنبع إلا على طاعة الرب سبحانه " إن أعمال الجوارح  
لاتستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتئا  
من محبة الله تعالى، ومحبة طاعته وكراهة معصيته ... فحركات  
الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته، وإرادته لله  
وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله لحركة القلب وإذا كانت  
حركته، وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد  
القلب" <sup>(١)</sup>.

وهذا مايدل عليه الحديث " عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:  
"إن الله قال: من عادى لي ولیا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء  
أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه، فإذا  
أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،  
ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطيته، ولأن استعاذه بي لأعيذه،  
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره  
مساعته" <sup>(٢)</sup>.

فالتوكل على الله عمل قلبي يستقر أولاً في القلب حتى يستولي على جوارح  
العبد المؤمن وهذا ثانياً.

فسر التوكل على الله هو اعتماد القلب على الله وحده، ولا ينفع قول العبد  
"توكلت على الله" مع اعتماده على غيره سبحانه وتعالى وركونه إليه وثقته به،  
فتوكيل اللسان شيء، وتوكيل القلب شيء، وهذا كمن تاب عن المعصية ويصر عليها،

(١) انظر: لابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم (المدينة المنورة: مكتبة طيبة، تط الأولى، ١٤٠٨هـ)، ص ٧٤.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦٥٠٢/١١).

ويرتكبها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>.

والتوكل على الله عمل قلبي مستور، عن أعين العباد، لأن العبد يتوكى على الله قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، وهذا لا يكون إلا لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فهم أهل إنكار الإعلان عن أعمالهم الذين عبدوا الله عبادة لم تظهر منهم.

فالله تعالى أمر بالعمل الصالح النافع لأن الترجمة العملية للإيمان بالله، وصورة من أفضل صور عبادته ودائرته تتسع لتشمل الحياة كلها، ولا يكفي أن يؤدي المؤمن عمله، بل عليه أن يتقنـه، ويحسـنه، ويتفـوقـ فيهـ، ويـتـوكـلـ بـهـ عـلـىـ اللهـ؛ فاللهـ مـطـلـعـ عـلـيـهـ وـيـحـاسـبـهـ وـيـجـازـيـهـ؛ وـعـلـىـ ذـلـكـ فـإـنـ الـمـسـلـمـيـنـ إـنـ أـهـمـلـوـاـ الـعـلـمـ،ـ وـتـجـوـيـدـهـ،ـ وـتـحـسـيـنـهـ،ـ وـإـتـقـانـهـ فـقـدـ خـالـفـواـ أـمـرـ دـيـنـهـمـ،ـ وـتـخـلـفـواـ عـنـ غـيرـهـمـ فـيـتـسـلـطـ عـلـيـهـمـ مـنـ لـايـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـلـاـ بـدـيـنـهـ فـتـضـيـعـ دـنـيـاهـمـ وـآخـرـاهـمـ،ـ وـالـعـلـمـ الـوـاجـبـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ يـخـلـفـ مـنـ شـخـصـ لـآخـرـ تـبـعـ لـقـدـرـتـهـ،ـ وـمـاـيـقـنـهـ فـلـنـعـزـمـ عـلـىـ الـعـلـمـ الـمـأـمـورـ بـهـ مـنـ اللهـ تـعـالـىـ بـشـرـوـطـهـ،ـ وـأـرـكـانـهـ،ـ وـوـاجـبـاتـهـ؛ـ حـتـىـ نـصـلـ إـلـىـ سـعـادـةـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ.

والتوكل على الله تعالى يجمع في ذاته أصلين هما: "علم القلب)، وعمله، أما علم القلب: فيقينه بكفاية: وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمل القلب، فسكنونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه، وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهم جماعه"<sup>(٢)</sup>.

فكـلـمـاـ كـانـ الـقـلـبـ عـلـىـ الـحـقـ،ـ وـعـلـىـ طـرـيقـهـ كـانـ وـاثـقاـ بـالـلـهـ مـنـيـباـ إـلـيـهـ متـوكـلاـ عـلـيـهـ،ـ سـاـكـنـاـ إـلـيـهـ سـبـحـانـهـ وـإـذـاـ كـانـ عـلـىـ الـبـاطـلـ لـمـ يـكـنـ مـطـمـنـناـ وـلـاـ مـتـوكـلاـ وـلـاـ سـاـكـنـاـ إـلـيـهـ.

(١) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٢) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين (الرياض: المطبع الإسلامي العربي، بدون تط)، ص ٢٥٧.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآياتان دليل على استسلام القلب والخضوع والإخلاص لله تعالى، والاخبارات إليه، والتوكيل عليه، واليقين بما عنده.

فالعبد كلما كان أكثر معرفة واستحضار المعاني أسماء الله وصفاته كان أشد استسلاما، وإنابة له عز وجل – وقد أفردت مبحثا بهذا الشأن في معرفة أسماء الله وصفاته سيأتي ذكرها بإذن الله – " قال بعض الحكماء صفة أولياء الله تعالى : ثلاثة خصال " الثقة بالله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والرجوع إلى الله في كل شيء"<sup>(٣)</sup>، فهذه الخصال ليست حصر الخصال أولياء الله تعالى، ولكن سبقت هنا هذه الثلاث بحسب المقام المذكور .

فالثقة بالله في كل شيء هو الإيمان؛ قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٤)</sup>.

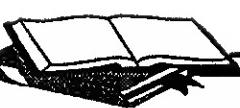
فالآية: دلالة واضحة على الثقة بالله " أي فزادهم قول الناس لهم إيمانا بالله وثقة به من حيث خشوه ولم يخشوا الناس الذين خوفوا منهم بأنهم جمعوا لهم الجموع واعتمدوا على نصره ومعونته، وإن قل عددهم، وضعف جلدهم فإنه هو العزيز القوي وذلك من شأن المؤمنين.... وكان من قوة إيمانهم وزيادته أن أقدموا وهم عدد

(١) سورة الملك ، آية: ٢٩ .

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٠ .

(٣) انظر: للشيخ نصر بن محمد السمرقندى، تنبیه الغافلين وبهامشه بستان العارفين (بيروت: دار المعرفة للطباعة بدون تط)، ص ١٦٩ .

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٣ .



قليل قد أثخنوا بالجراح على محاربة الجيش الكبير، فالزيادة كانت في الإذعان النفسي، والشعور القلبي، وتبعتها الزيادة في العمل، بعد ذلك القول الدال على مانطوت عليه النفس من اليقين بوعد الله ووعده، والشعور بعزته وسلطانه<sup>(١)</sup>.

والله العلي القدير لا يضيع من وثق، وحسن ظنه به، ففقر العبد المؤمن إلى ربه ، أمر نابع من عجز الإنسان، وضعفه الفطري فلا حول ولا قوة إلا بالله .  
قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

"فالله سبحانه يخبر بعنانه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه .... فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات .... فهو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره، ويشرعه"<sup>(٣)</sup>.

أما الرجوع إلى الله في كل شيء فما من عبد إلا ويعلم أنه إلى ربه راجع محتاج إليه في كل لحظة كيف لا؟! وجودهم به، وبقاوهم به.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإلى الله مصير أمر جميع خلقه، الصالح منهم والطالح، والمحسن، والمسيء، فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه لأحد، فهو

(١) انظر: لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٤٠/٤).

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٨٧٧).

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٩.



الما لا يك للعباد المتصرف في شؤونهم فالحكمة كل الحكمة أن ترجع الأمور جميعها إليه، فهذه من سننه التي لها غاية: تنتهي إليها لاتبديل لها ولا تحويل<sup>(١)</sup>.  
إن أولياء الله تعالى لهم من الخصال التي لا يسع المجال لذكرها وما ذكر كان في معرض التمثيل.

فنعود ونقول إن العبد المؤمن يستوجب الثواب إذا كان عمله خالصاً، ويكون ذلك في المقصود والنية؛ ولذا يأتي العمل على قدر النية: إما مخلصاً، وغير مخلص، فمن كان قصده من عمله الرياء أو شابتة شائبة دنيوية خرج العمل عن الإخلاص، ومن قصد التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص عابد.

فكل عمل استراحة إلى حظ الدنيا زال بذلك إخلاص عمل المرء ومن انتهز لحظة من عمره خالصة لوجه الله، نجا؛ لأن تنقية القلب أمر عسير إلا لمن يسره الله تعالى له.

فالآيات التي وردت في قضية موضوع التوكل تدل دلالة أكيدة على أن التوكل على الله لابد أن يكون صادراً من القلب.

"فالتوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه من قول القلب وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغض الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن **بالضرورة**، ولا يمكن أن يتخلف البدن عما يريد القلب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح - السابق الذكر - "إن الله قال لي من عاد لي ولها فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء

(١) انظر: ابن جرير، جامع البيان، (٣٠٣/٢)؛ ولمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٤/٥٥).

أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى  
أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر  
به...<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوَفِّيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبهذا فإن التوكل على الله إيمان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقلب، والإيمان قول  
و عمل لا ينفكان عن بعضهما ، فالإيمان بالله وسيلة لطلب معرفته، ولحبه، وتعظيمه،  
وطاعته، وخشيته، والإذابة إليه والتوكل عليه بعزم وإرادة قوية متينة.

(١) انظر: للإمام أبي حامد الغزالي سلسلة إحياء علوم الدين، (٤/٣٦٨).

(٢) سورة هود، آية: ٨٨ .

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٣ .

## المبحث الثالث

### أحوال المتكالين

قال الغزالى: أن التوكل هو اعتماد القلب على الموكىل<sup>(١)</sup>.

فالتوكل عند المؤمن تتفاوت أحواله في قوة الطمأنينة والثقة بالله تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى الأمر والعلم اليقيني.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكلا إلا على من يستحق العبادة لأن غيره ليس بيده الأمر<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا فإن النفس تسكن إلى الله عز وجل وتطمئن بذكره وتتنيب إليه وتشتاق إلى لقائه وتأنس بقربه فتطمئن.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٤)</sup>.

والمؤمن يطمئن إلى قدر الله فيسلم له ويرضى، فلا يخطئ، ولا يشکو، ولا يضطرب إيمانه، وتلك الطمأنينة هي طمأنينة كذلك إلى امتناع أمره إخلاصاً ونصحاً، فإذا اطمأن المؤمن من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلم، كانت نفسه مطمئنة.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَوَفِّيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الغزالى، كتاب التوحيد والتوكل، ص ٤٢.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٣) انظر: محمد الأمين الجكى الشنقيطى، أصوات البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: عالم الكتب بدون نط) (٣٥/١).

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٥) سورة هود، آية: ٨٨.

ولايأتي التوكل الحق والإخلاص فيه والعمل بمضامينه إلا بعد المحبة التامة التي تستلزم الإرادة والقوة في حصول الأوامر.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالرسول ﷺ لا يأمر إلا بما يحب الله ولا ينهى إلا عما يبغضه الله ولا يفعل إلا ما يحبه، ولا يخبر إلا بما يحب الله التصديق به؛ لذلك فإن القلب المؤمن لا يطمئن إلا بعلاقة ربه وحبه وتوكله وإنابة لربه عز وجل، ولو حصل له كل ما يلتذ به أو لم يحصل لم يطمئن ولم يكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من جهة العبادة، ومن جهة التوكل والاستعانة .

فالآية أحوالهم في التوكل مختلفة:

١ - منهم من لا يتوكل إلا على الله وحده. وهؤلاء هم المؤمنون الخلق.  
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجَلَّ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومنهم من لا يتوكل على الله البته وهم الملحدون الخلق .

٣ - منهم من يتوكى على الله وعلى غيره فهو لاء هم المخلصون فمنهم المشرك ومنهم دون ذلك.

في هذه الأقسام نرى أن الحالة الأولى هي لمن لزم الحق والصواب ولم يبق في القلب تشويش أو إضطراب.

قال تعالى: ﴿أَذْهَمَ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١ .

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢ .

وقال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الَّنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(١)</sup>.  
 فموافقة المؤمنين وامتثالهم لأمر الله ورسوله واستجابتهم لله ولرسوله ﷺ  
 جعلهم في حالة يقينية بحثة إلى درجة أن جعلوا الله حسبهم وكفiliهم وكانوا على كلمة التوحيد، والإخلاص، والتوكيل "حسبنا الله ونعم الوكيل" والمؤمن الحق من يخشى الله ويتقىه حق التقوى والخشية فيكون تبعاً لذلك الأثر في سكون، وقوة الاعتماد، وحسن الظن بالله تعالى، أنه ناصرهم لامحالة إن عاجلاً أو آجلاً، وهذا مجمل معنى الآية الكريمة التي يرد في نصها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوهُمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلَبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلُّوا فَقُلْ حَسْبِنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 فحال المؤمن أن يأوي ويلجا إلى ربه لأنه عالم بقوته وخزانه ملأى فسبحان الله العلي العظيم .

فلا يدفع الشر ولا ينصر إلا الله ومن أظهر العجز لله وقام بما عليه ضمن الله له ما وعده إياه<sup>(٤)</sup>.

فالمؤمن إذا اعتقد أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله اعتمد قلبه واتكل عليه، فإذا لم يكن به ذلك فهذا سبب لضعف اليقين الذي يمازج القلب، ويشوب النفس؛ وما هذا إلا لجهل العبد، وعدم معرفته لله سبحانه؛ ومن هنا يأتي الاضطراب والفووض والتخبط في العبادة، وفي الاستعانة والإئابة، والتوكيل، فلا بد من معرفة وعلم بالله نابعة من الطريق الصحيح حيث تنزل المعرفة والعلم في سويداء القلب فيوقن بصدقها العبد؛

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٣ .

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٩ .

(٤) انظر للإمام أبي الفرج جمال الدين الجوزي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، (٤٥٠/٤، ٤٧/٤).

لذلك فكلما ارتقى علم الإنسان ومعرفته بالله ازداد بصيرة ويقيناً يغزيه عن غير الله وينزع من قلبه الإنابة والتوكيل على من سواه .

قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

" فأول ما أراد الله تعالى من العباد أن يعرفوه عن الوجه التي تعرف إليهم منها، فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق، وتدبره في الخلق، ومن قدرته على الخلق، وتكلفه بأرزاق الخلق، وإماتته الخلق، وإحيائه للخلق ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين "<sup>(٢)</sup>.

لذلك فإن المعرفة هي أساس وأصل كل شيء، ويأتي بعدها الإرادة وهي لازمة لاتتفاوت عن المعرفة. والإرادة: هي تحقيق العمل والأخذ والعطاء، والحب، والكره في الأعمال كلها، ولنعلم أنه سبحانه جعل نجاة العبد أولًا في المعرفة، ثم في الإرادة.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعْلَمُ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءاً عَلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

" فالمراد أنه سبحانه دل على وحدانيته وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره "<sup>(٥)</sup>،

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٢) عبدالله الحارث المحاسبي، أداب النفوس، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا، (بيروت: دار الجيل نط، ١٩٨٤م)، ص ١٦٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٥) الألوسي، روح المعاني، (٢/٤٠).

(٦) سورة الأعراف، آية: ٥٤.



فإله سبحانه وتعالى تفرد بالوحدانية والآلوهية وتعظم بتفرده الربوبية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسًا تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

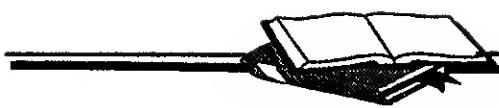
"فالاختلاف في تفسير هذه الآية كله محتمل، فقيل: المعنى ما عرفوا الله تعالى حق معرفته؛ وقيل: ما عظموا الله تعالى حق تعظيمه، وقيل: ما وصفوه حق صفتة"<sup>(٢)</sup>.

فالعباد جميعهم مختلفون ومتناقضون في الإيمان والاعتقادات والأخلاق والمعاملات؛ لذلك هم يختلفون كذلك في التوكل، وتتفاوت أحوالهم فيه من ناحية قوة الطمأنينة والثقة وتتفاوت في القوة والضعف .

والتوكل في ذلك ثلاثة محطات: التوكل، ثم التسليم، ثم التقويض، فالموكل يسكن إلى وعده سبحانه، والمسلم يكتفي بعلمه، وصاحب التقويض يرضى بحكمه، وهذا إشارة إلى تفاوت درجاته ومحطاته، فإن العلم هو الأصل، والوعد يتبعه، الحكم يتبع الوعود، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتكفل ملاحظة شيء من ذلك .

(١) سورة الأنعام، آية: ٩١ .

(٢) المصدر السابق، (١٠٤/٢).



## الفصل الثاني

### التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي

وفي هذه :

تمهيد .

**المبحث الأول: التوكل على الله من أخلاق الأنبياء.**

**المبحث الثاني: التوكل على الله من أخلاق المؤمنين.**

## الفصل الثاني

### التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي

التمهيد :

إن التوكل على الله خلق من أعظم أخلاق الإيمان وهو خلق رباني، فقد أمر الله به سبحانه وتعالى وحث عليه.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوْكَلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالخلق : السجية والطبع، والمرءة والدين، والخلق الطبيعة وجمعها أخلاق وحقيقة أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها، ومعاناتها، ولهمما أوصاف حسنة وقبيحة<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مفهوم الأخلاق بأنه: " عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسراً من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً"<sup>(٣)</sup>، فالقرآن يوضح تكاليف الإيمان ويدعونا للقيام بتلك التكاليف والتزام الطاعة في كل خطوة من الخطوات، وفي كل أمر، وفي كل اتجاه حتى تكون هناك نتيجة عظيمة تستقر في قلوب الجماعة المسلمة من خلال تلك التوجيهات القرآنية، وقد كانت لنا عبر دروس مستفادة من قصص الأنبياء، وما كانوا يتحلون به من أخلاق عظيمة بها اختيروا ليكونوا قدوة لجماعتهم، وأقوامهم، وأممهم، فكان رسولنا ﷺ من أعظم الناس خلقاً، كان قرأنا يمشي على الأرض.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٢) انظر: للفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، تط ٤١٣ هـ)، ص ١١٣٧؛ انظر لابن منظور، لسان العرب، كلمة الخلق فيه.

(٣) الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، حققه إبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، تط الرابعة ٤١٨ هـ)، ص ١٣٦ مادة رقم ٦٦٧.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِر﴾<sup>(١)</sup>.

"عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن سعد بن هشام سألهما فقال: يا أم المؤمنين: أتبئني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: أليس تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: "فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن"<sup>(٢)</sup>، فمنه ﷺ نأخذ ونتعلم وندرس.

ومن أخلاق المؤمنين الاتباع والاقتداء بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في سلوكهم، وعاداتهم فعلم أن التوكل عمل قلبي متعلق ومرتبط بالجوارح، فاستقامة هذه الجوارح مرهون بسلامة القلب واستقامتها؛ وعلى هذا فإن هناك تلازمًا عميقاً بين أعمال القلوب؛ وأعمال الجوارح؛ فالجوارح ترجمان لما في قلب العبد المؤمن.

"فما من عمل أو خلق إلا وارتبط بالإيمان لأنه الأصل، ثم يذكر العمل الصالح، فإنه أيضاً من تمام الدين فلابد منه، فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح"<sup>(٣)</sup>.

والجانب الأخلاقي من قضية التوكل أمر بالغ الأهمية، وقد أخذ حقه من العناية: في القرآن الكريم، ومن هنا تكمن عظمة الإسلام وشرعيته في تكامل كل التعاليم والأخلاق الإنسانية الشاملة التي تسمو بالمؤمن إلى آفاق العلا، وقد تجسدت هذه الأخلاق في شخص رسولنا الكريم الحبيب ﷺ، ومن سبقه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعموم القول أن القرآن الكريم يأمر

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أبو داود (٤٨٠٠) واللفظ له، قال النووي (٢٣٣) حديث صحيح بإسناد صحيح، وقال محقق رياض الصالحين (٢٣٣): سنه قوي وله شاهد من حديث معاذ بن جبل عند الطبراني في الصغير (١٦).

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية، الإيمان، تحقيق محمد الزبيدي، (بيروت: دار الكتاب العربي تط الأولى، ١٤١٤هـ)، ص ١٨٦.

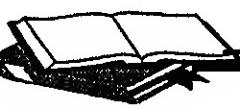
بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق ذميم، وخلق التوكل الذي نحن بصدده الكلام عنه هو خلق إسلامي أمر الله به رسالته الكرام، وأمر به المؤمنين عامة، وجعله من الأوصاف الأساسية للمؤمنين الصادقين، فهو الركن والحسن الذي يلوذ به المؤمن في مواجهة الصعاب وتذليلها.

فالتوكل هو سجية العبد المؤمن وسلوك ينغرس في قلبه ويتعمق بقدر إيمانه فهو عقيدة عظيمة، والتوكل على الله من الأخلاق العقدية التعبدية؛ التي تربط العبد المؤمن بربيه فهو يتصرف بذلك الخلق لأنه تعالى قد أمر بالتوكل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ ۝ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبَّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وحدث عليه رسولنا ﷺ في مارواه (عمرو بن الخطاب -رضيه-) قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خاماً وتروم بطاناً"<sup>(٢)</sup>.

فلزم علينا الطاعة، والحرص، والاستمرار على العمل وتعظيم هذا الخلق العقدي التعبدية، والتسليم، والرضا بالقدر، ونوطن أنفسنا عليه قدر المستطاع حتى نظفر بما وعدنا به الله عز وجل من ثواب وجزاء .

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٨ .

(٢) سبق تخریجه، ص ٣٢ .



## المبحث الأول

### التوكل على الله من أخلاق الأنبياء

إن التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يتحقق إلا بالفعل، والعمل، والسعى والحركة حتى يعتاد المؤمن على ذلك الخلق الرباني، ويمارسه باستمرار في جميع جوانب حياته حتى يكون خلقاً، وعقيدة دائمة لاتتفاوت عنه، وسمة واضحة عليه، ولا سيما إذا كان هذا العبد المؤمن هو من صفة خلقه نبي أو رسول، ولقد ذكر القرآن الكريم صفات، وأخلاق الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وضمن هذه الأخلاق خلق التوكل عليه سبحانه وتعالى، فقد حثوا عليه أقوامهم تبعاً لأمر خالقهم جل وعلا، من نوح أول المرسلين إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

يقول تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِي إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِإِيمَانِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمِعُوهُ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالمعنى "إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم، "تذكيري بآيات الله" يقول: ووعظي إياكم بحجج الله، وتنبيهي إياكم على ذلك. "فعلى الله توكلت" يقول: إن كان شق عليكم مقامي بين أظهركم، وتذكيري بآيات الله فعزتم على قتلى أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندى، وظاهري "فاجمعوا أمركم" ، يقول: فأعدوا أمركم، واعزموا على ما تنوون عليه في أمري"<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة يونس، آية: ٧١.

(٢) ابن جرير الطبرى، تفسيره، (٤/٢٢٨).



فنوح عليه السلام كان يقابل بغضهم وتجمعهم عليه بالتوكل على الله تعالى، يقول صاحب كتاب مفاتيح الغيب في قوله: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾:-

"يعني إن شدة بغضكم لي تحملكم على الإقدام على إيدائي، وأنا لا أقابل ذلك الشر إلا بالتوكل على الله، واعلم أنه عليه السلام كان أبداً متوكلاً على الله تعالى، وهذا اللفظ يوهم أنه توكل على الله في هذه الساعة، لكن المعنى أنه إنما توكل على الله في دفع هذا الشر في هذه الساعة" <sup>(١)</sup>.

فالحلقة التي تعرض هنا من قصة نوح هي الحلقة الأخيرة حلقة التحدي الأخير، بعد الإنذار الطويل، والتذكير الطويل، والتذكير الطويل ولا يذكر في هذه الحلقة موضوع السفينـة، ولا من ركب فيها، ولا الطوفان ولا التفصـيلات في تلك الحلقة؛ لأن الهدف هو إبراز هذا التحدي، والاستعانة بالله وحده فعليه وحده هو حـسبة دون النصراء والأوليـاء، فنجـى الله نـوحـاً وـمن معـهـ من جـمـيعـ الـأـخـطـارـ، وـالـلـهـ مـوـفـ وـعـدـهـ لـرـسـولـهـ وـلـلـمـؤـمـنـينـ <sup>(٢)</sup>.

فنوح صـلوـاتـ اللهـ وـسـلامـهـ عـلـيـهـ قدـ بلـغـ الغـاـيـةـ فـيـ التـوـكـلـ، قـاطـعاـ بـأـنـهـ لاـ يـصـلـ إـلـيـهـ مـكـرـهـ شـيـءـ، وـلـنـ يـنـفـذـ بـإـذـنـ اللهـ فـكـانـ مـسـتـسـلـمـاـ لـكـلـ مـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ مـنـ اللهـ استـسـلـمـ المـؤـمـنـ اللـهـ لـأـجـلـ الدـعـوـةـ مـعـ أـنـهـ فـيـ قـلـةـ، وـضـعـفـ، وـقـوـمـهـ فـيـ كـثـرـةـ وـمـنـعـةـ، وـكـانـ بـيـنـهـمـ وـحـيدـاـ فـرـيدـاـ، وـلـكـنـ وـحدـتـهـ مـاـكـانـ يـوـهـنـهاـ، وـيـكـسـرـهـاـ إـلـاـ تـوـكـلـهـ عـلـىـ العـزـيزـ الـمـقـتـدرـ، وـمـنـ هـنـاـ أـخـذـ نـوـحـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ خـلـقـ التـوـكـلـ وـمـارـسـهـ فـيـ دـعـوـتـهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ إـلـىـ أـنـ وـافـاهـ الـأـجـلـ وـلـقـيـ رـبـهـ .

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام محمد الرازـيـ ، مجـ ٩ـ ، (١٤٣/٧ـ).

(٢) انظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، (٣/١٨١٠-١٨١٢ـ).

(٣) المـمـتـنـهـ، آـيـةـ ٤ـ .

"فَاللَّهُ تَعَالَى يَخْبُرُنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ فَارْقَوْا قَوْمَهُمْ وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، فَلَجَأُوا إِلَى اللَّهِ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أَيْ تَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ الْأَمْوَارِ وَسَلَمْنَا أَمْوَارَنَا إِلَيْكَ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ أَيْ الْمَعْادُ فِي الْآخِرَةِ" <sup>(١)</sup>.

وَهُنَاكَ مَعْنَى آخَرٍ تَضَمَّنَتِهِ الْآيَةُ: الْكَرِيمَةُ: "يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَخْبِرًا عَنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنْبِيائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا﴾ يَعْنِي: وَإِلَيْكَ رَجَعْنَا بِالتَّوْبَةِ مَا تَكْرَهُ إِلَى مَاتَحْبُّ وَتَرْضَى ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، يَقُولُ: إِلَيْكَ مَصِيرُنَا، وَمَرْجِعُنَا يَوْمَ تَبَعَّثُنَا مِنْ قُبُورِنَا، وَتَحْشِرُنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ" <sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى نَفْهُمُ، وَنَسْتَدِلُ عَلَى اسْتِسْلَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخَالِقِهِ، وَمِنْجِيهِ سُبْحَانَهُ.

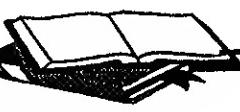
"فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ لَنَا الْأَسْوَةُ وَالْقُدوَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَعْلَهُ، قَوْلُهُ، خَلْقُهُ... وَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ {رَبِّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} وَفِي هَذَا الْقَوْلِ تَعْلِيمٌ لِلأَجِيَالِ الْمُؤْمِنَةِ وَتَتمِيمٌ لِمَا وَصَاهَمَ بِهِ، وَاتِّسَاعٌ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ" <sup>(٣)</sup>.

"فَهَا هُوَ الْمَاضِي الطَّوِيلُ الَّذِي لَنَا فِيهِ أَسْوَةٌ مُمَتَّدَةٌ عَلَى آمَادِ الزَّمَانِ رَاجِعٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي عَقِيدَتِهِ، وَتَجَارِبِهِ فَهِيَ إِذَا قَافْلَةٌ مُمَتَّدَةٌ فِي شَعَابِ الزَّمَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينِ اللَّهِ الْوَاقِعِينَ تَحْتَ رَأْيَةِ اللَّهِ، وَمَا لَهُمْ غَيْرُ التَّسْلِيمِ الْمُطْلَقِ لِلَّهِ، وَهُنَّا يُثْبَتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ فَوَضَّعَ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْتَّوْكِلِ وَالْإِنْتَابَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ عَلَى

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٥٤٣).

(٢) ابن جرير الطبراني، تفسيره، (٧/٢٧٥).

(٣) الإمام الرازى، تفسيره، مجلد ١٥، ص ٢٩-٣٠٢.



كل حال، وهي السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا؛ ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين كحلقة من حلقات التربية الخلقية، والتوجيه بالقصص والتعليق عليه بابراز ما في ثناياه من ملامح، وسمات، وتوجيهات على طريقة القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

فما علينا إلا الاقتداء بهذه الأسوة ليتحقق لنا وعد الله، فالتوكل من المقومات الكبرى في العقيدة والأخلاق.

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمعنى أنه سبحانه بيده الملك والصرف قاهر حاكم، عادل قيم على جميع خلقه سبحانه، فمن كانت هذه صفاته فعليه توكلت<sup>(٣)</sup>.

فقد دعا هود عليه الصلاة والسلام قومه أولاً إلى التوحيد، ودعاهم إلى الاستغفار في هذا المقام، ولكن اشتغلوا بغير ذلك من تكذيب، وكيد له فقد بين سبحانه وتعالى أن تصريف الأمور كلها بيده فما من أحد إلا وهو تحت قدرته ومنقاد له، فهنا ترغيب في التوكل على الله على لسان نبي الله هود عليه السلام، وقد ظهر من خطابه لقومه مدى ثبات إيمانه، وتوحيده فهو لا يقول ذلك: "فَكِيدُونِي جمِيعاً ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ" إلا إذا كان واثقاً بأن الله يحفظه ويصونه من كيد الأعداء<sup>(٤)</sup>.

"إن الثقة بالله والاعتصام به هو ما واجه به هود عليه السلام قومه فعقب التوكل عليهما تقريراً لهما، والمعنى أنكم وإن بذلتكم غاية: وسعكم لم تضروني فإني متوكلاً على الله واثق بكلاته"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٥٤/٦).

(٢) سورة هود، آية: ٥٦.

(٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٩٦/٢)؛ ولابن جرير، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، (٢٨٦/٤).

(٤) انظر الإمام الرازى، مفاتيح الغيب، مج ٩، (١٤/١٨).

(٥) الإمام البيضاوى، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص ٢٩٩.

هذا المقام نستشعر منه قوة إيمان هود عليه السلام، وعزته، واستعلائه مع ثقة الإيمان، واطمئنانه "وحقيقة ربوبية الله، وصورة القدرة، والقدرة، وسر الاستعلاء، وسر التحدي؛ فهو رب الخالق قوي قاهر"<sup>(١)</sup>، وفي هذا بيان أنه قادر على كل شيء، ولا يعامل إلا بالإحسان، والعدل فمن اعتمد عليه فقد اعتمد على الصراط المستقيم، ومن سلكه سيكون له السطوة، والغلبة، فكل من اعتمد وتوكل على الله الخالق القاهر سينال ما وعد به من الله تعالى.

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام آمن وصدق ولا عجب من ذلك فهو ابن أبي الأنبياء، إن دعوة جميع الرسل هي الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وكذلك الإيمان بأقدار الله خيره وشره؛ لأن ذلك من أصول الإيمان، فمن آمن بقدر الله لا يأسى صاحبه ولا يصيبه الحزن؛ لأنه يلجا إلى خالقه لمعرفته بعجزه، و حاجته لخالقه، وتراه صادقا في توكله على ربه يطلب العون من ربه على ما عجز من تنفيذه، يردد في يقين قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا ما كان من النبي الله يعقوب عليه السلام، مع علمه أن الحكم، والاعتماد كله لله، وعلى الله، وهو على علم أن إرادة الله نافذة، فقد أوصى أبناءه بقوله: ﴿ وَقَالَ يَأْبَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةً وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

"صرح يعقوب عليه السلام بأنه لا حكم إلا لله سبحانه لغيره ولا يشاركه فيه مشارك في ذلك فعليه التوكل في كل إيراد وإصدار لا على غيره فعليه الاعتماد والوثوق لا على غيره"<sup>(٤)</sup>.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٨٩٩/٤).

(٢) سورة التوبة، آية: ٥١.

(٣) سورة يوسف، آية: ٦٧.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القيدر الجامع بين فني الرواية والدرایة في علم التفسير، (٤١/٣).

"إن هذا التدبير إنما هو تثبت بالأسباب العادلة التي لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى، وأن ذلك ليس بداع للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه ... (عليه توكلت) أي عليه دون غيره، ودون حولي وقوتي اعتمدت في كل مأاتي وأذر وفي هذا إيماء إلى أن الأخذ بالأسباب ومراعاة اتباعها لainافي التوكل"<sup>(١)</sup>.

لقد تضمنت الآية: معاني جمة، فجميع الممكناًت معتمدة على قضاء الله، وقدره ومشيئته، وحكمه إما بواسطة أو بغير واسطة، فثبتت من الآية: أن الإصابة بالعين كلام حق لا يمكن ردّه<sup>(٢)</sup>.

وعلى ذلك نقول إن بالتوكل، يحصل المطلوب، ويندفع المكرور كما حصل لنبي الله يعقوب عليه السلام الذي خفي عليه، - وهو أهل علم -، من الحكمة فقد أبناءه، فجمع الفرقة بعد سنين، وما أتمه الله ليوسف من تمكين، فحصل المطلوب، واندفع المكرور.

وقال تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوَفِّيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن قصة شعيب عليه السلام تضمنت الدعوة إلى الله، ومناقشة قومه، وردّه عليهم، وإنذاره بالعذاب، ووقعه، ونجاة المؤمنين، فشعيب عليه السلام طلب من الله تعالى التوفيق لِإصابة الحق، والاستعانة، والإقبال عليه سبحانه، فها هو يقول لقومه: أرأيت يا قوم {إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّي} أي على بصيرة فيما أدعوا

(١) المراغي، تفسيره، مج ٥، (١٣/١٧).

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٤٩)؛ وانظر: للإمام الرازى، مفاتيح الغيب، (١٨/١٧٨-١٧٩)؛ وانظر: لعبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢/٤٣٨).

(٣) سورة هود، آية: ٨٨.

إِلَيْهِ "وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا" قيل أراد النبوة، وقيل أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمران، {مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} أي لأنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فافعله خفيه عنكم، {إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ} أي فيما أمركم وأنهاكم إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتني {وَمَا تَوْفِيقِي} في إصابة الحق فيما أريده {إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} في جميع أموري {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أي أرجع<sup>(١)</sup>.

فهذا بيان أن إصابة الحق والإصلاح هو بتوفيق الله، فهو المعين على ذلك فعليه وبه ثق، ونفوض، ونعتمد عليه في أمورنا كلها صغيرها، وكبيرها.

إن شعيبا عليه السلام "بين بهذا أن توكله، واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته، واعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام "توكلت" إشارة إلى محض التوحيد، لأن قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر، وهو أنه لا ينبغي للإنسان أن يتوكل على أحد إلا على الله تعالى، وكيف وكل ماسوى الحق سبحانه ممكن لذاته، فان بذاته، ولا يحصل إلا بایجاده وتكوينه، وإذا كان كذلك لم يجز التوكيل إلا على الله تعالى"<sup>(٢)</sup>.

فقد تضمنت الآية: معاني عظيمة، وهي أن كل مآتاه الله تعالى لنبيه شعيب عليه الصلاة والسلام من العلم والهدایة، والدين والنبوة، والمال من الله القادر المعطي لامن غيره فلايسع شعيبا عليه السلام وغيره من البشر إلا أن يطيع الله عز وجل في أمره لتبلیغ الرسالة لقومه، وقد أقر قومه له بالحل و الرشد، وقد كان مشهورا به في قومه فكان من اللازم لهم أن يتبعوه فهو لن يترك الرسالة، والدعوة العظيمة، وهذا ما أفاده قوله {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}، لأنه سياوطن، ويداوم على دعوته غير تارك لها في شيء من الأحوال، وبين أن

(١) انظر: ابن جرير الطبرى، جامع البيان، (٤/٣٠٣)؛ وانظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٧٠).

(٢) الإمام الرازى، مفاتيح الغيب، مج ٩، (١٨/٤٨).

عمله كله هو بتوفيق الله عز وجل، وفي الآية: نوع من تزكية النفس، وهذا في قوله {وَمَا تَوْفِيقٍ إِلَّا بِاللَّهِ} أي ما يحصل من التوفيق لفعل الخير بحول الله وقوته لا بحولي ولا قوتي.

كذلك التوكل والإنابة من أنواع العبادة التي بها تستقيم أحوال العباد.

لقد كان شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى المعاملة العادلة، والأمانة، وشرف البيع والشراء، والأخلاق العظيمة الاجتماعية، وحين اختاره الله تعالى لتبلیغ رسالته زاده ذلك إلى أن يسند تلك المعاملات والأخلاق إلى أصل ثابت يحكم بها تلك المعاملات والأخلاق، فصار عليه الصلاة والسلام يتلطف مع قومه ويشعرهم أنه على حق ولا ينهاهم عن شيء، ثم يفعله إنما هي دعوة للإصلاح.

"فالإصلاح العام للحياة، والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه، وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي، ويضيع بعض الفرص القيمة، متعاوناً ويعوض عنها كسباً طيباً، ورزقاً حلالاً، ومجتمعًا متضامناً، متعاوناً لا حقد فيه، ولا غدر، ولا خصام، وما توفيقي إلا بالله، فهو قادر على نجاح مسعاي في الإصلاح بما يعلم من نيتها، وبما يجزي على جهدي "عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ" عليه وحده لا أعتمد على غيره "وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" إليه وحده أرجع فيما يجزيني من الأمور، وإليه وحده أتوجه بنيتها، وعملي، ومسعاي" <sup>(١)</sup>.

ومضى عليه السلام في دعوته ومارس جميع أساليبها، وأخيراً تصل من الإعتزاز برهنه، وقومه لسوء خلقهم، وعدم أدبهم مع الله تعالى فأنذرهم بالعذاب الذي ينتظر أمثالهم وطويت صفحتهم بصاعقة من الله تعالى، نعم! لقد قام عليه الصلاة والسلام بكل مافي طاقاته من الأعمال الكسبية مع التوكل على الله فقال

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٩٢١/٤).

أَخِيرًا... وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿١﴾.

"فِإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَكُلُّنَا أَمْوَانَا مَعَ قِيامِنَا بِكُلِّ مَا أُوجِبَهُ عَلَيْنَا مِنْ  
الْحَفَاظِ عَلَى شَرِيعَهُ وَدِينِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَكْفِيْنَا تَهْدِيْكُمْ، وَمَا لِيْسَ فِي  
اسْتِطاعَتِنَا مِنْ جَهَادِكُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾،  
إِذْ مِنْ شُرُوطِ التَّوْكِيلِ الصَّحِيحِ الْقِيَامُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَمِرَاعَاةِ  
السُّنُنِ الْكُوْنِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، فَمَنْ يَتَرَكُ الْعَمَلَ بِالْأَسْبَابِ فَهُوَ الْجَاهِلُ  
الْمَغْرُورُ لَا التَّوْكِيلُ الْمَأْجُورُ" ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى حَكَایَةً: عَنْ مُوسَى وَقَوْمِهِ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَأَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ  
أَمْنَتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ۚ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ  
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ۚ﴾ ﴿٣﴾.

إِنْ وَعْدُ اللَّهِ ماضٌ لِرَسُلِهِ وَأَقْوَامِهِ، وَهُذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمُهُ  
يُخْبِرُ اللَّهَ تَعَالَى عَنْهُمْ وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ قَوْمُوا بِوَظِيفَةِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ  
وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، وَالْجَاؤُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنْصَرُوهُ فَقَالُوا مُمْتَثِلُونَ لِذَكَرِ {عَلَى  
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} فَاللَّهُ تَعَالَى كَافِ كُلَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ﴿٤﴾.

وَهَذِهِ الْأَمْوَارُ مُوقَفَةٌ عَلَى امْتِشَالِ أَمْرِ اللَّهِ، وَالنِّقَةِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ  
تَعَالَى، وَلَنْ يَخْلُفَ اللَّهُ وَعْدَهُ أَبَدًا "إِنْ كُنْتُمْ آمِنَّتُمْ بِاللَّهِ حَقَّ الإِيمَانِ فَعَلَيْهِ  
تَوَكَّلُوا وَبِوَعْدِهِ فَتَّقُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ مَذْعُونِينَ؛ إِذْ لَا يَكُونُ الإِيمَانُ  
يُقِيَّنَا إِلَّا إِذَا صَدَقَهُ الْعَمَلُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، ... ذَاكَ أَنَّ التَّوَكِيلَ عَلَى اللَّهِ  
وَهُوَ أَعْظَمُ عِلَامَاتِ الإِيمَانِ لَا يَكُملُ إِلَّا بِالصَّبَرِ عَلَى الشَّدَادِ، وَالدُّعَاءِ

(١) سورة الأعراف، آية: ٨٩.

(٢) المراغي، تفسيره، مج ٣، (٦/٩).

(٣) سورة يونس، آية: ٨٤-٨٥.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٦٣، ٢)؛ وانظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣٥٤/٢).

لأيستجاب إلا إذا كان مقررنا باتخاذ الأسباب بأن تعلم ما تستطيع عمله، وتطلب إلى الله أن يسخر لك ما لا تستطيع<sup>(١)</sup>، ويصرف الشيطان حتى لا يكون له حظ لأن التوكل لا يكون مع التخلط<sup>(٢)</sup>.

فموسى عليه السلام يعلم قومه ويريد من قومه التحمل والصدق بالله وترك الأمور بيد الله تعالى، وبذل الجهد على التحمل والصبر، والرضا بقضائه وقدره، وحثهم على التوكل، وكرر الشرط تأكيداً لينالوا المقصود.

فهؤلاء الأنبياء جميعهم من أولهم إلى آخرهم اتفقوا على عقيدة التوكل لأنها لازمة ويستشعر بها العارف ربه المقرب إليه يعلم علم اليقين أن التوكل بعد الإيمان به، فإنه يتتحقق بكل ما يحدث لهم، فوجوب التوكل لأنه يعد أمراً يقينياً له مسوغاته الواقعة وقد فعلوا عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فهؤلاء هم صفوة الخلق، وها هي أخلاقهم، وها هو توكلهم على ربهم العلي العزيز، التي ترى من خلال تلك الآيات التي وصفت خلق التوكل في أنبياء الله السابقين، وربطه بالعقيدة، وما هذا إلا من منطق ومقتضى الإيمان أن يكون المؤمن متوكلاً على ربه لا على غيره فالمؤمن دائمًا يسعى إلى التحلية بالأخلاق القرآنية، ومحاسن السجايا حتى يكتمل إيمانه.

"فكانه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل.....، لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو إشارة إلى الانقياد للتکاليف الصادرة عن الله تعالى، وإظهار الخضوع وترك التمرد، وأما الإيمان عبارة عن صيرورة القلب عارفاً بأن واجب الوجود لذاته واحد.....، وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله.....، والتوكل على الله عبارة عن تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى، والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى.

(١) المراغي، تفسير المراغي، (٤/٤-١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر للشوكاني، فتح القدير، (٢/٤٦٦).

واعلم أن من توكل على الله في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات لقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup> ... إن هذا الذي أمر موسى قومه به، وهو التوكل على الله هو الذي حفاه الله تعالى عن نوح عليه السلام حيث قال {فَعَلَى اللَّهِ تَوْكِيدُكَ} وعند هذا يظهر التفاوت ... بين التوكل عند نوح عليه السلام أنه قال {فَعَلَى اللَّهِ تَوْكِيدُكَ} وعند موسى فنوح عليه السلام كان تاماً، وموسى عليه السلام فوق التمام<sup>(٢)</sup>، وهذه من لطائف القرآن الكريم في معان التوكل عند الرسل الكرام.

وقد عشنا مع أنبياء الله من خلال بعض الآيات القرآنية نهانا من تجربتهم وتعلمنا من أخلاقهم، فهم القدوة، وتاريخهم حافل بالعظمة، وحياتهم مليئة بالكافح، وفي شخصهم سمو النفس، وكمال الخلق، وفي عقيدتهم رسالة الهدى والخير فكانوا بحق مفخرة الأزمان، وأهلاً لقيادة الأمم.

فمن خلال قصصهم نستلهم الصبر والعظات، ونستضيء ونسير على منهجم خاصية في مقام الدعوة إلى الله ، وفي الدعوة إلى الأخلاق ، قال تعالى : ﴿فَأَقْصُصْ أَلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قصصهم ذكر عاطر يصفهم به الله تعالى بأسمى الصفات، والمواهب العقلية، والخلقية كل ذلك ليدل على أنهم الصفة المختارة من خلق الله، والمثل الأعلى الكامل للبشرية فالقرآن الكريم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام ينعتهم بأكمل الأوصاف فيصفهم تارة بالطاعة، وتارة بالإثابة، وتارة بالتوكل، فكل ذلك يشير إلى علو شأنهم، ورفعه مكانتهم، فكانوا هداة العالم، وقادة البشرية.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَينَ الْأَخْيَارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الطلاق، آية: ٣ .

(٢) الإمام الرازى، مفاتيح الغيب، مج ٩، (١٥٢/١٨).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٦ .

(٤) سورة ص، آية: ٤٧ .

هذا هو توكل الأنبياء والرسل حكاهم عنهم القرآن الكريم، فتحدو أقوامهم وملوكهم، فواجهوهم بقوة التوكيل، ثابتين وانتقين.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبْلَنَا وَلَنَصِيرَ عَلَى مَا إِذَا يُتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إن موقفهم عليهم السلام من عدم التراجع، وعدم اليأس من روح الله جعلهم يمضون في طريقهم موقنين أن الله ولهم المؤمنين كافيهم ما يهمهم، فرسول الله صلوات الله وسلامه عليهم قدوتنا في الحياة فما بنا خاتمهم نبي الرحمة نموذج الكمال البشري، عنوان الفضل، حامل مشعل النور والضياء، قائد سفينة البشرية المؤمنة على مدى الدهر، أفضل الرسل وخاتمهم محمد ﷺ، ختم الله به النبوة والرسالة، فكان خاتماً مسكوناً، إذ هو آخر المرسلين، وأولهم رتبة، سيد ولد آدم.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون أكمل البشر خلقاً وخلقها، أفضلهم علم، أشرفهم نسباً، فكان القدوة، والأثر الحسن، فكان المربى، والموجه والمرشد لكل خلق جميل "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إِنَّمَا بَعَثْتَ لِأَنْتُمْ طَالِمُ الْأَخْلَاقِ"<sup>(٣)</sup>".

(١) سورة إبراهيم، آية: ١٢ .

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠ .

(٣) رواه أحمد (٣٨١/٢)، واللفظ له، والحاكم (٦١٣/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي؛ وقال محقق جامع الأصول (٤/٤): قال الزرقاني: رواه أحمد وقاسم بن أصبغ والحاكم والخرائطي برجال الصحيح عن محمد بن عجلان... عن أبي هريرة، وقال ابن عبد البر: هو حديث مدنى متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة.

فقد حرص عليه الصلاة والسلام على توكيد وترسيخ الأخلاق، خاصة الأخلاق التعبدية في قلب أمته، فهو عليه الصلاة والسلام من خير المتكلمين وأفضلهم، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل في آيات كثيرة منها :

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّا غَلِيلَهُ  
الْقَلْبُ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي  
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّنَ طَائِفَةً  
مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ  
عَلَىَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى لخليله محمد - ﷺ : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ  
وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٨١.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦١.

(٤) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٨.



وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذه تسع آيات بينات أمر الله تعالى فيها حبيبه، وخليله، وصفيه رسول الله ﷺ بالتوكل في كتابه العزيز؛ ذلك أنه ﷺ أكتر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربياً، وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطبق عليه فقد أحسن سبحانه وتعالى تأديبه وتربيته فكان المثل الأعلى في الكمال البشري، وفي كل خلق وسلوك فقد كان قرآناً يمشي على الأرض وكان تطبيقاً حياً، ومشاهداً، فالآيات الكريمة هي حسب رسولنا الكريم ويكفيه ولآلية:، ونصر، وإعانة الله تعالى له بعد توكله، وإنابته له سبحانه وتعالى<sup>(٥)</sup>.

فكان ﷺ في كل أمر قصده، وأمضاه توكل على الله، ورسولنا الكريم يعلم أنه لاناصر له إلا الله، وأن من نصره الله فلا غالب له، ومن خذله لاناصر له، لذلك فوض أمره إليه وتوكل عليه، ولم يشتغل بغيره<sup>(٦)</sup>.

فالآيات المشيرة إلى التوكل ماهي إلا توجيه وتطمين، وعزّم، وحسم في التوكل على الله، وفي كلاعنة الله وحفظه، فقد كان ﷺ يأخذ توجيهاته من لدن حكيم عليم، وخلق التوكل استمدّه ﷺ من تلك

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٧.

(٢) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٨.

(٥) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١ / ٨٠١).

(٦) انظر للشوكاني، فتح القدير، (١ / ٣٩٤).



التوجيهات والأوامر الربانية، فالتوكل على الله هو الأصل في استشعار القلب لجلال الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره فإن رد الأمر إلى الله في النهاية؛ والتوكل عليه وحده هو القاعدة الثابتة المطمئنة التي يفيء إليها القلب، فيعرف عندها حدوده، وينتهي إليها ويدع موارعها لصاحب الأمر والتدبير، في ثقة، وفي طمأنينة وفي يقين<sup>(١)</sup>.

رسولنا الكريم وقدوتنا ومعلمنا وأسوتنا من خلال سلوكه ﷺ يتعلم الحاكم أن في المشاوره خير يليه العزم فالتوكل على الله .

ويتعلم الداعي إلى الله أن في التوكل على الله الكفاية: والنصر. ويتعلم المحارب والمقاتل أن في التوكل على الله النصرة والغلبة، ويتعلم العبد المؤمن أن في التوكل على الله الخير الكثير لأنه عبادة لرب العالمين، وفي التوكل يجد المؤمن الركن الركين، والحسن الحسين يلوذ به في مواجهة الصعاب وتذليلها، وعلى هذا فإن الرسول ﷺ يعلم أصحابه وأمته من بعده، وهو إمامنا ونبينا مثلاً أعلى للخلق الذي يدعو إليه فیغرس الخلق السامي من خلال سيرته العطرة، عطراه بحكمه، وعظاته، ونصائحه.

وقد أمر الله تعالى رسوله - ﷺ - بالتوكل في أسلوب الإعلان ، والدعاء، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَتَتَلَوَّ أَعْلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن الله تعالى هنا أمر نبيه ورسوله محمد - ﷺ - بعد أن مضى في رسالته ولقي الصد والإعراض والكفر من قومه أن يتوكّل عليه لما لقيه منهم من المواقف، والحوادث، والقوارع فصمد لها النبي الأمة لاعتماده وارتکازه على ربّه مطمئناً إلى حماه معتمداً على الله وحده، والمعنى :

(١) انظر : لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٤٩٦/١)، (٧٤٠/٢)، (٢٨٣٢/٥).

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٠ .



فهو خالقي، وأنا مؤمن به معترف له مقر له بالربوبية والألوهية عليه لا على غيره، توكلت في جميع أموري وإليه أرجع، وأنبأ، وأتوب فإنه لا يستحق العبادة والإيمان سواه وهو متولى أمري ومبلغي مراتب الكمال<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَشَفَاتُ ضُرَّةٍ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فداء الحبلة دعاء رسولنا الكريم ﷺ، وداعء كل عبد مؤمن استقرت في قلبهحقيقة حقيقة لاكافر للضر، ولامانع للرحمة إلا هو العلي القدير، فداء رسولنا هذا جاء بعد ذكر السموات والأرض وخلقهن، فالله تعالى خلق السموات والأرض وهي أعظم وأكبر من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، إن الإنسان لضعف أن يلجأ إلى الله تعالى ويكل أمره، ويصرفها الله العلي بلى! إن الإنسان مأمور بتصريف أمره كلها لخالقه، ورازقه فهذا رسولنا الكريم - ﷺ - يدعوربه، ولابد أن يكون هذا حال العبد المؤمن يدعو الله، ويلجأ إليه متى استقر في قلبه الإيمان وحقيقة، فهو سبحانه الحامي وكافر للضر، ومنزل رحمته على عباده، والمعتمد عليه والمعتصم به هو الله، والمتوكل عليه هو الله ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧٩٦/٢)؛ وللشوكاني، فتح القدير، (٨٢/٣)؛ وللمراغي، تفسيره، (١٠٤/٥).

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٨.

(٣) سورة غافر، آية: ٥٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٣٨.

"إنه متى استقرت هذه الحقيقة في قلب مؤمن، فقد انتهى الأمر بالنسبة إليه، وقد انقطع الجدل، وانقطع الخوف، وانقطع الأمل، إلا في جناب الله سبحانه، فهو كاف عبده، وعليه يتوكل وحده، ثم إنها الطمأنينة بعد هذا والثقة، واليقين، والطمأنينة التي لاتخاف، والثقة التي لاتقلق، واليقين الذي لا يتزعزع، والمضى في الطريق على ثقة بـنهاية: الطريق"<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذِلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾<sup>(٢)</sup>.

وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم فإن الله هو الذي يقضي بينكم، ويفصل فيه الحكم قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفات ربي لا آله لكم التي تدعون من دونه، التي لاتقدر على شيء "عليه توكلت" في أموري، وإليهفوضت أسبابي، وبه وثقت "إليه أنيب" وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنبي<sup>(٣)</sup>.

"فالقرآن يحيي قول الرسول ﷺ، مسلماً أمره كله لله منيما إلى ربه بكليته فتجيء هذه الإنابة، وذاك التوكل، وذلك الإقرار بلسان رسول الله ﷺ في موضعها النفسي المناسب، للتعقيب على تلك الحقيقة في أن المرجع إلى كل اختلاف هو الحكم الإلهي، فها هو رسول الله، ونبيه يشهد أن الله هو رب، وأنه يتوكل عليه وحده، وأنه ينير إليه دون سواه"<sup>(٤)</sup>.

فالمؤمن يجب أن تستقر هذه الحقيقة في قلبه حتى يضاء الطريق أمامه وتتحدد معالمه فرسانا الكرام من أولهم إلى آخرهم هم القدوة والمثل والأسوة الحسنة الصالحة للبشرية؛ أمرنا الله عز وجل بالاقتداء والسير على منهاجهم، وجعلهم نماذج

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٥٠٤/٥).

(٢) سورة الشورى، آية: ١٠.

(٣) انظر لابن حجر، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، (٦/٤٨٢-٤٨٣).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٥/٤٦٣).

للكمال، وعنواناً للفضل؛ لأنهم أكمل الناس عقلاً وخلقًا، وأظهرهم سلوكاً، وأشرفهم رتبة ومنزلة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن رسولنا الكريم مأمور بالاقتداء بمن سبقة من رسل؛ قد هداهم الله هداية كاملة في الأخلاق والصفات، فكان ﷺ مهدياً بهداهم كلهم، فكانت مناقبه، وفضائله الكسبية أعلى من مناقبهم، وفضائلهم؛ لأنه اقتدى بها كلها فاجتمع له من الكمال مكان متفرقًا فيهم، وشهد ربه بذلك فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذا رسولنا الكريم يقتدي، ويهدى بمن سبقة، فما بآنا نحن، فلزم علينا الاقتداء والامتثال لأمر الله تعالى، والسير على نهج الأنبياء، والعلماء من الكتب، والعمل، والأخلاق لنكون على طريق الحق، والاستقامة ونمسي ونسير عليه<sup>(٤)</sup>.

فالمؤمن تزيد قيمته عند ربه بقدر عمله بالعبادات ومدى إخلاصه فيها؛ لأن العبادات من أهم ما يميز المؤمن عن غيره.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿ ١ ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ ﴿ ٢ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ ٣ ﴾<sup>(٥)</sup>.

فكل من احترم إنسانيته وكرامته وأعطها حقها من اتباع الأمر واجتناب النهي، وأعطى الله حقه، ويتبعون طريق الخير فإن الله بهذا يرفع كل ذي فضل على قدر فضله ويؤتي أجراه بقدر ما يفعل من الأعمال والعبادات.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) انظر للمراغي ، تفسيره ، (١٨٤-١٨٥/٣).

(٥) سورة التين، آية: ٤ - ٦.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ يَعْغِلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا التوكل من الأعمال والعبادات التي يأخذ المؤمن أجره فيه من الله تعالى في الآخرة وفي الدنيا فإن للتوكيل قيمة عملية، فهو يدعو الإنسان أن يكون نشيطاً مجدًا يكسب رزقه بشرف، ويدعو إلى الجد، والصبر، والثقة بالنفس وقوية الإرادة، والسعى لمزيد من الإنتاج لمزيد من الإنفاق والخير، وكل ذلك يؤدي إلى الصبر والشجاعة دون تبرم أو ضجر.

فما سبق أشرنا إلى هدي الرسل الكرام في توكيلهم على الله تعالى، فكتاب الله تعالى يطالعنا بصور ونماذج لم يخلق الله أجمل منها في هذا الكون... ونرى أسلوب القرآن في الحديث عن الرسل الكرام، الصفوـة المختارـة من البشر يتدفق بالحياة، ويفيض بالبشر، وينم عن الحب والإيثار فيذكر بالثناء العاطـر، ويصفـهم بأسمـى الصـفات، والـموـاهـب العـقـلـيـة والـخـلـقـيـة، والتـعـبـدـيـة؛ كل ذلك ليـدلـ على أنـهـمـ الصـفوـةـ، منـ خـلـقـ اللهـ ... ولـنـقـرـأـ ماـقـالـ تعـالـىـ فـيـ حـقـهـمـ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الْزَّكُورِ وَكَانُوا لَنَا عِبَادٍ يَنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

هـكـذـاـ نـجـدـ القرآنـ العـظـيمـ حينـ يـتـحدـثـ عنـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـرـسـلـ الكرـامـ، يـصـفـهـمـ بأـسـمـىـ الصـفـاتـ الـعـالـيـةـ، وـتـظـهـرـ منـ خـلـالـ سـطـورـهـ معـالـمـ الـحـبـ وـالـتـكـرـيمـ وـالـاصـطـفـاءـ وـالـاجـتـبـاءـ، فـيـصـفـهـمـ تـارـةـ بـالـطـاعـةـ وـالـإـنـابـةـ، وـأـخـرـىـ بـالـتـوـكـلـ وـالـإـيمـانـ، وـيـذـكـرـهـمـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاـطـنـ بـالـصـدـقـ وـالـنـزاـهـةـ وـالـصـبـرـ وـالـتـحـمـلـ؛ فـكـلـ ذـلـكـ لـيـشـيرـ إـلـىـ عـلـوـ شـانـهـمـ، وـرـفـعـةـ مـكـانـهـمـ، وـسـمـوـ الرـسـالـةـ الـتـيـ بـعـثـواـ مـنـ أـجـلـهـاـ، فـكـانـواـ هـدـاـةـ وـقـادـةـ الـبـشـرـيـةـ؛ لـأـنـهـمـ كـمـاـ أـسـلـفـنـاـ الذـكـرـ هـمـ أـكـمـلـ الـبـشـرـ خـلـقـاـ، وـأـفـضـلـهـمـ عـلـمـاـ، وـاقـتـضـتـ حـكـمـتـهـ أـنـ يـحـفـظـهـمـ بـعـنـايـتـهـ، وـيـكـلـأـهـمـ بـرـعـاـيـتـهـ، وـيـرـبـيـهـمـ عـلـىـ عـيـنـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ، كـمـاـ قـالـ جـلـ

(١) سورة الأنعام، آية: ١٣٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

ثناوه مخاطبها سيد الرسل الكرام ﷺ وأصبر لحكم ربك فانك بأعيننا<sup>(١)</sup>، وكما قال لموسى عليه السلام ﷺ ولتصنع على عيني<sup>(٢)</sup>، هؤلاء هم الرسل الكرام سادة البشر، استحقوا أن يحملوا اللواء في سبيل عزة الإنسانية، وانتشالها من براثن الشرك، والضلال، إلى نور التوحيد والإيمان.

(١) سورة الطور، آية: ٤٨.  
 (٢) سورة طه، آية: ٣٩.



## المبحث الثاني

### التوكل على الله من أخلاق المؤمنين

إن مقتضى الإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق، ولقد وجدنا أن الإسلام ربط بين الإيمان والأخلاق والسلوك بوجه عام، والسلوك والأخلاق بوجه خاص ربطا لا انفصام فيه، ونجد ذلك في نصوص كثيرة يصعب حصرها.

فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر، وبلفظ التقوى، وبلفظ الدين، فكل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وأصل الإيمان هو تصديق بالقلب وعمل القلب، وإذا كان هذا حال القلب تصدق وعمل سرى ذلك إلى البدن بالضرورة؛ لأن الظاهر تابع للباطن لازم له فمتى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد<sup>(١)</sup>.

والإيمان شعب كثيرة، فلفظ الإيمان يطلق على سلوك، وأخلاق ... الخ.

(فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان")<sup>(٢)</sup>.

(ومن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : "لَا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه")<sup>(٣)</sup>. وغيرها من الأحاديث كثير.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ وَأَرْكَعُوا مَعَ الْرِّكَعَيْنَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَلُوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٧٩/٧ - ١٨٦).

(٢) البخاري مع فتح الباري لابن حجر، ح(٩)؛ مسلم (٣٥) (٦٣/١) كتاب الإيمان، وعند مسلم بلفظ آخر هو (الإيمان بضع وسبعين شعبة).

(٣) البخاري مع فتح الباري لابن حجر، ح(١٣) (١٣/١) (١٣/١) (١٣/١)؛ ومسلم (٤٥)، (٦٧/١) كتاب الإيمان.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣ - ٤٤.

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبَرُّ أَن تُوَلُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابَ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكُوَةَ وَالْمُؤْفُورَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا بنزول أمر أو واجب سارعوا إليه وإذا نزل تحريم أمر انتهوا عنه فمن هنا نستطيع أن نعرف مدى إيمان المرء بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق، فعندما يطالب القرآن أتباعه بالتوكل، بذكر وصف الإيمان؛ فهو إشارة إلى أن الإيمان يقتضي التوكل، إلى أن من يؤمن هو من يتوكلا على الله لا على غيره.

والإيمان في القرآن الكريم يقترن كذلك بالعمل الصالح لفظاً أو معنى ويراد به الإذعان والتصديق.

قال تعالى : ﴿ وَيَسِّرْ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥ .

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٧ .

(٤) سورة المائدة، آية: ٩ .

فإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين؛ لإيجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني؛ للإيدان بأن ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الإيمان داع إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى والخير وازع عن الإخلال بهما<sup>(١)</sup>.

فالتوكل على الله خلق تعبدني يصل بين المرء وربه ف بهذه العبادة الخلقية هدفها  
وغايتها السمو الخلقي بالمؤمن، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما أشرنا إليه في المبحث الأول نرى أن الله تعالى قد ربى في أنبيائه جميعهم بخاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الخلق الحسن، والعبادة الحقة له سبحانه، وأعطاهم على ذلك الجزاء وأوفاهم بالمتوبة وأخبرهم بها، وهذا كان على المؤمن أن يتخلّى ويقتدي بأفعالهم حتى ينال الثواب، فقد حث سبحانه وتعالى في كثير من آياته الكريمة إلى التوكل بأسلوب المتوبة المادية، والمعنوية لتحقيق منهاج لغرس هذا الخلق العظيم، فالتوكل على الله يسطع شعاعه على جوارح العبد المؤمن، وقلبه أشد ما يكون تألفاً في الشدائـد المحرجة، فـالإنسـان عندـها ينـسلـخ من أهوائـه، ويـتـبرـأ مـن أـخـطـائـه، ويـقـف فـي سـاحـة الله أوـابـا، يـرـجو رـحـمـته وـنـصـرـتـه.

قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى  
اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ ۝﴾. ﴿١٢٣﴾

إن الأمر بالتوكل جعل شرطاً لكمال الإيمان، وجعله سبحانه وتعالى من السمات الأساسية للمؤمنين الصادقين لذلك فإن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته<sup>(٤)</sup>:

(١) انظر لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٥/٢).

(٢) سورة المائدة، آية: ١١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٢-١٢٣.

(٤) انظر: للألوسي، روح المعاني، مج (٤٣/٤) (٤-٣)؛ انظر لأبي السعود، المصدر السابق،

$\cdot (\varepsilon \cdot \lambda / 1)$

قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن التوكل على الله تعالى متعلقه واسع جداً، وشامل لكل ما يتطلبه الخلق من أمور دينية، ودنيوية، فالتوكل على الله تعالى داخل في أمور الحرب والقتال، وهذا مادلت عليه آيتا آل عمران فعلى كل محارب ومقاتل أن يلزم نفسه بالتوكل على الله والرضى بقدر ما يتحقق له من خيراً فخير، وإن شرًا فشر، ويطمئن بوعد الله تعالى ويثق به، فالمؤمن يتوكلا على ربها أن ينصره على ظالمه وعدوه وهذا من مكارم أخلاق المؤمنين؛ لأن مواطن التوكل كثيرة؛ والتوكلا مطلوب في كل شؤون الحياة، فطلب النصر والفرج من الله والتوكلا عليه هذا موطن، وموطن آخر في الإعراض عن الأعداء، ول يكن التوكلا رفيقاً وصاحب درب، وإذا تکالب الأعداء ونصبوا شباكهم فالتوكل له هنا مكان، فليكن التوكلا لها المؤمن لك، وعليك ليكون الله لك في شؤونك كلها صغيرها وكبيرها.

وفي آية المائدة يأتي التوكلا بعد ذكر التقوى، فهي آية الإيمان الصحيح والعقل السليم الذي يدفع إلى كل خلق كريم؛ لأن التقوى "عند أهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهي صيانة للنفس عمما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"<sup>(٣)</sup>.

فمن هنا فالتقى هو من يتوكلا على ربها، ويعرف المؤمن من ذلك أن من كان تقىاً متوكلاً هو الأقوى إيماناً وحباً لله، وهو الأحرى بمزيد فضله، وعظيم أجره

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

(٢) سورة المائدة، آية: ١١ .

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٩٠ .

سبحانه وتعالى، وبهذا كان التقى ملزما للأدب والأخلاق الشرعية وبجانب كل ما يبعده عن الله تعالى.

ومن المهم هنا أن نشير إلى ارتباط التوكل مرة بالإيمان، ومرة بالقوى فلا يعتقد أحد أن الإيمان غير القوى، فالإيمان فعل وعمل وإقرار<sup>(١)</sup>، والقوى هي الإخلاص في العمل<sup>(٢)</sup>، فكل مؤمن على هذا تقى وكل تقى مؤمن.

فالمتوكل مؤمن تقى، لأن في عمله يقر ويصدق ويخلص في توكله على ربه سبحانه وتعالى.

إن إقبال الأنبياء والرسل الكرام والمؤمنين على التوكل ديدنهم، وكذلك الدعاء الذي هو من مضامين التوكل سماتهم فالفتح والنصر كله بيد الله تعالى، فالدعاء منهجهم عليهم الصلاة والسلام بعد أن شعرووا من أقوامهم الكبر والعصيان لعبودية الله وحده والخضوع لرب العالمين.

فبدون التوكل على الله لا تستطيع أمة ولا جماعة ولا فرد أن تحقق هدفه يفرضه الإسلام أو تخلص من أوضاع ظالمة<sup>(٣)</sup> مثل الإغترار بالرضا، والاستهزاء بالإذار واستعمال العذاب، والطغيان والتهديد، وإيذاء المؤمنين.

فإن جميع رسل الله يعرفون مصدر قوتهم، وملجاً الأمان ويعلمون أن الله سبحانه وتعالى - هو الذي يفصل بالحق بين الإيمان والكفر، ويتوكلون على ربهم وحده في خوض معركة لهم لامفر منها مع أقوامهم إلا بدعاهم وفتح من الله، وكل مؤمن داعيا إلى الله تعالى في حاجة ماسة إلى التوكل واللجوء لله سبحانه وتعالى، فقد أطلق كل الدعاء المؤمنين الحقيقة الدائمة، وهي على الله وحده دون سواه يكون التوكل ولا لجوء، ولا عون، ولا إنبابة إلا له العزيز الحكيم، فعلى كل داعية أن يواجه

(١) انظر للكفوبي، الكليات، معجم في المصطلحات والفرق الفردية، قابلة على نسخة خطية عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤١٢هـ)، ٥ مج، ٢١٣-٢١٧.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص ٩٠.

(٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ١٢ مج (القاهرة: دار السلام ط١٤٠٩هـ)، ٥ مج، ٢٤٩٩.

الكرياء بالإيمان، والأذى بالإعراض فالتوكل هي كلمة المؤمنين الذين ملئوا قلوبهم بالثقة من نصر الله تعالى وتاييده، والمؤمنون هم الذين يشعرون ويحسون أن يد الله تعالى تقودهم وتهديهم إلى الصراط المستقيم.

" وهذه الحقيقة - حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية: الله وبين بديهيّة التوكل عليه لا تستشعرها إلا القلوب التي تزأول الحركة فعلاً في مواجهة طاغوت الجاهلية، التي تستشعر في أعماقها يد الله سبحانه وتعالى وهي تفتح كوى النور فتبصر الآفاق مشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحس الآنس والقربى و حينئذ لا تحفل بما يتوعدها به طواغيت الأرض، ولا تملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد، وهي تحقر طواغيت الأرض، وما في أيديهم من وسائل البطش والتوكيل، وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو؟ وماذا يخيفه من أولئك العبيد؟!"<sup>(١)</sup>.

هذا ما دلت عليه الآية الكريمة في سورة إبراهيم :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْنُعُ عَلَيْنَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾١١٠ ﴿ وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبُّلَنَا وَلَنَصْبِرَنَا عَلَى مَا إِذَا يَتَمُّمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾١١١﴾<sup>(٢)</sup>.

إن نبوة ورسالة جميع الرسل وأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت منة من الله، أذن لهم بها وأيدهم بالحجّة وتكلوا على الله وقصدوه فإنه سبحانه لم يضرّهم وهو أعلم بما ينفع أولياءه، وكل شيء متعلق بأمر ومشيئة الله وإذنه، فالطاعات أذن بها الله تعالى وأمرنا بالسعى والتوكل عليه فيها حتى تكون على أكمل وجه لنرضي بها خالقنا.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٤/٢٩٢).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ١١-١٢.

فرسل وأنبياء الله توكلوا في جميع أمورهم على الله تعالى، فكيف بنا إذن؟!  
فالأولى والأحرى أن نكون نحن أيضاً من المتوكلين على الله؛ ليهدينا إلى أقوم  
الطرق وأوضحها وأبينها<sup>(١)</sup> وقد أمر الرسل المؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به  
أنفسهم قصداً أولياً.

هكذا كان الإسلام وسيظل بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله يحث على كل  
ما هو نافع مزك للقلوب مطهر للأخلاق والسلوك نافع للدين والدنيا، والقرآن الكريم  
يربى في النفوس ويعدها لأدوار عظيمة ضخمة لبناء مجتمع إسلامي ذي أخلاق  
وعادات ترفع من لواء المؤمنين جميراً، فهو يخاطب المؤمنين بنداء حبيب إلى  
نفوسهم {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} لينهاهم أو ليأمرهم بأمر ما، فما على  
المؤمن إلا اتباع تعاليم ومنهجية الشارع سبحانه وتعالى فيما أمر ونهى، وتقرير  
موقفه من ربه وثقته به وتوكله عليه.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ إِنَّا مَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

عليه لا على غيره أصلًا لعلمنا بأن ماعداه كائنا ما كان بمعزل من  
النفع والضر وعليه توكلنا في جميع أمورنا<sup>(٣)</sup>.

والتوكل على الله أساساً أمر مبني على أسس أخلاقية، وهذا ما كان في قول  
حاتم الأصم<sup>(٤)</sup> "عندما سأله رجل علام بنية أمرك في التوكل على الله؟ قال:  
على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غبوري فاطمأنت به نفسك، وعلمت أن

(١) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨١٣/٢).

(٢) سورة الملك، آية: ٢٩.

(٣) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٢٤/٤)؛ ولأبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٧٥١/٥).

(٤) حاتم الأصم، أبو عبد الرحمن، التقى بالإمام أحمد، وقال عنه الإمام أحمد بعد أن سمع  
كلامه "وما أعقله من رجل"؛ وفيات الأعيان، (٢٧/٢)؛ حلية الأولياء، مجلد (٨-٧)،  
رقم ٣٦٩ (٧٣/٨).

**عَمَلَيْ لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي فَأَنَا مُشْخُولُ بِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِيَنِي بِغُصْنَةٍ فَأَنَا أَبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللَّهِ حِيثُ كُنْتُ فَأَنَا مُسْتَحْيِي مِنْهُ<sup>(١)</sup>.**

فَالأساس الأول : الرزق ، فالمؤمن لا بد أن يوقن أن الله تعالى قد كتب لكل مخلوق رزقه ، ولا تموت نفس حتى تستوفي رزقها الذي كتبه الله عليها ، ولا يمكن لمخلوق أن يأخذ رزقا قد كتبه الله لمخلوق آخر ، والإنسان يعيش ويمارس هذه الحقائق الكبرى فتطمئن بذلك نفسه ، ولا يقلق بكثرة الانشغال والخوف على رزقه.

الأساس الثاني : العمل ، فالتوكل على الله في الأعمال الصالحة من أشرف أنواع التوكل إذ أن القائم فيها لا يبتغي عرضا من أغراض الدنيا بل يريد وجه الله ، قال تعالى: «**وَأَنَّ لَيْسَ لِإِنْسَنٍ إِلَّا مَا سَعَى**»<sup>(٢)</sup>.

الأساس الثالث: الموت ، فهذا الأساس له صلة بالأساس السابق ، من حيث المؤمن حينما يستيقن ويستحضر دائماً أن الموت يأتي من غير ميعاد ، فإنه دوماً سيكون مستعداً ويسابق الموت بالأعمال الصالحة ، فإذا ماجأه الموت ، كان المؤمن قد أعد الزاد ليوم الرحيل .

الأساس الرابع: المراقبة ، لا يمكن للمؤمن أن يتوكلاً على الله حق توكله حتى يشعر برقة الله عليه ، مما يجعله يستحي أن يفوض أمره لغيره وهو يؤمن بقدرته على قضاء حوائجه ، لهذا كان هذا الأساس من أهم الأساس الذي يبني عليه أمر التوكل ، القرآن مليء بالأيات التي توصل مراقبة الله في نفس المؤمن ، حتى لا يتوجه إلى غير الله تعالى .

قال تعالى: «**مَا يَكُونُ مِنْ نَجَوَىٰ ثَلَاثَةُ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَمَّنْ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ**»<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو الفرج بن الجوزي ، صفة الصفوة ، (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية ، تط ١٣٩٢ھـ / ٤٦١)، (٤/١٣٩٢).

(٢) سورة النجم ، آية: ٣٩.

(٣) سورة المجادلة ، آية: ٧ .

فالتوكل على الله من أخلاق المعاملة، معاملة المؤمن لربه عز وجل، فلا بد أن ترتقي هذه المعاملة، ورقها نابع من طاعة الماء لربه، ولرسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَغُ الْمُبِين﴾ ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فأمر الله بطاعته ورسوله فيما شرع وفعل مابه أمر وترك ما عنه نهى وزجر ... فسبحانه يخبر أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال " الله لا إله، فال الأول خبر عن التوحيد و معناه معنى الطلب أي وحدوا الإلهية له وأخلصوها لدنه و توكلوا عليه وحده فهذا هو أثر التصور الإيماني في القلوب، وفي هذا (إيماء) إلى أن المؤمن لا يعتمد إلا عليه، ولا يتقوى إلا به؛ لأنه يعتقد أنه لا قادر في الحقيقة إلا هو وفي الآية: دليل على أن من لا يتوكل عليه ليس بمؤمن<sup>(٢)</sup>.

إن من يرزق وينعم بطاعة الله والتوفيق لما يحبه ويرضيه سبحانه فهو دائم التقوى والخوف من العزيز الحكيم، وتبرز من هنا قيمة الإيمان، والطاعة؛ لأن بعد هذا لاخوف ولامهابة إلا منه عز وجل، فالله لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته جل جلاله، ومخافة الناس، فيرسخ بذلك الإيمان، ولايسع المؤمن إلا أن يتوكل على الله وحده؛ لأن ذلك منطق الإيمان، ومقتضاه وهذا مادلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة التغابن، آية: ١٢-١٣.

(٢) انظر: لابن كثير بتصرف، تفسير القرآن العظيم، (٤/٥٨٧)؛ ولسيد قطب بتصرف، في ظلال القرآن، (٦/٣٥٨٩)؛ ولمراغي بتصرف، في تفسيره، (١٠/١٢٧-١٢٨).

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.

فالعبد يجد الإيمان في قلبه بعد طاعة ربها، ويزيد إيمانه بقدر فعله للطاعات، وقد عرض القرآن الكثير من الطاعات التي تزيد إيمان المرأة بربها منها على سبيل الذكر لا الحصر، مخافته سبحانه والإنابة إليه، ذكره سبحانه، التوكل عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالمؤمن هو الذي لا يخالف الله ورسوله ولا يترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدود وفريض، وهو الذي إذا ذكر الله وجّل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفاً منه، وهرباً من عقابه، وإذا قرئت عليه آياته أيقن بها وازداد تصديقاً لها، تصديق فضل عن تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، وذلك هو زيادة ماتلي عليه من آيات الله إياته إيماناً "وعلى ربهم يتوكلون" أي يوقنون، في أن قضاءه فيهم ماض، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فالإيمان يزيد في قلب وحياة صاحبه، يزيد ويزيد حتى يملأ قلب وجود صاحبه، ويكون نوراً يضيء له حياته، ويكون هو قد تمثل الإيمان عملياً في حياته، وتجسد الإيمان به وحل في كيانه، كلامه إيمان، ونظره إيمان، وسمعه إيمان، وذهنه

(١) سورة الأنفال، آية: ٢ .

(٢) انظر: ابن جرير الطبرى، تفسيره، (٤/٩-١٠).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٣ .

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢٢ .

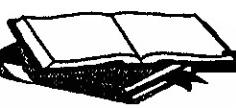
إيمان، قيامه قعوده إيمان، نومه ويقظته إيمان، حركته سكونه إيمان، أنفاسه ودقائق قلبه إيمان، أو لنقل: إنه هو الإيمان.

فسمة التوكل على الله من صفات من هم في إيمان. " لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنبه سبحانه ولا يطلبون الحاجة إلا منه، ولا يرثبون إلا إليه، ويعلمون أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب" <sup>(١)</sup>.

فالتوكل على الله مقتضى الإيمان والإسلام، وهذه حقيقة لا يرتاب أحد فيها، فيتضح لنا أن القرآن الكريم قد عرض في آياته الكريمة من صفات أهل الإيمان أهمها وأشهرها، ودعت المؤمنين أن يتصرفوا بها حتى يعيشوا حياة إيمانية، وينالوا جنة الله وثوابه، ونعمته والمؤمن حريص على أن يكون مع ربه، وهذه الصفات تتفاوت قلة وكثرة قصراً وطولاً، والتوكل على الله من أهم هذه الصفات؛ لأنها صفة متصلة برب العباد مباشرة، وقد أكد عليها القرآن في آياته، واستمرار عرضها في سور مكية ومدنية يدل على أهمية اتصف المؤمنين بها وتحققتها فيهم، وأهمية التذكير المستمر بالتوكل على الله حتى لا ينسى ولا يهمل.

فهذا خلق التوكل جلي أمامنا بما علينا إلا أن نقبل عليه، ونتحلى به لنكون من أهل الإيمان.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٥٢/٢).



## الفصل الثالث

### التوكل على الله وعلاقته بالأسباب

وفيه :

تمهيد .

**المبحث الأول: أركان التوكل على الله .**

**المبحث الثاني: التوكل على الله من أسباب النصر.**

**المبحث الثالث: القدرة والمشيئة والأسباب .**

**المبحث الرابع : الأعمال التي يعملها العباد في تحقيق التوكل.**

**المبحث الخامس: مجال التوكل على الله .**

## الفصل الثالث

### التوكل على الله وعلاقته بالأسباب

**التمهيد :**

إن التوكل على الله تعالى من أقوى الأسباب في حصول المراد، وهو كجعل الإسلام والإيمان، والإحسان أسباباً مقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، وهو كجعل سائر أعمال القلوب والجوارح أسباباً مؤدية، ومقتضية لما رتب عليها من الجراء، والكمال كل الكمال في القيام بهذه الأسباب .

فتحقيق التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالي المقدرات بها، وجرت سنته في خلقه، فالله سبحانه أمر بالأخذ بالأسباب، والتوكل عليه، فمن سعى بجوارحه كانت له طاعة مع إيمان القلب.

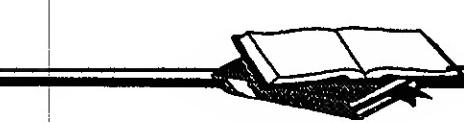
**الأسباب :** هي الطريق للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه، وقيل ما يكون طریقاً إلى شيء غير أن يضاف إليه وجود، وسمى سبباً مهيناً نحو ما يكون طریقاً للوصول إلى الحكم من غير أن يضاف إليه وجوب الحكم أو وجوده؛ أي لا يكون ثبوته به ولا وجوده عنده، بل يتخلل بينه وبين الحكم علة لاتصاف وجودها إلى ذلك الطريق، فهو بذلك كالحبل بين شيئاً لنناشد به المطلوب<sup>(١)</sup>.

فالتوكل على الله قوة وطاقة روحية تدفع المؤمن إلى العمل والإنتاج، غير أنه يجب أن يكون في الاعتبار أن الاعتماد على الأسباب ليس معناه الثقة الكاملة المطلقة في أنها تؤدي إلى الخير، بل يجب الإيمان بأنها وما يراد منها مردهما إلى الله أولاً وأخيراً، فهو خالق الأسباب والمسببات .

"فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بـالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنشيء النتائج فيتكل عليها، إن الذي ينشيء النتائج كما ينشيء الأسباب هو قدر الله<sup>(٢)</sup>، ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن فاتخاذ السبب عبادة."

(١) انظر: للفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٢٣؛ ولابن منظور، لسان العرب؛ ولأبي البقاء الكفووي، الكليات، (٣/٢٠).

(٢) سيد قطب "حديث الشهيد سيد قطب وعلى ربهم يتوكلون"، مجلة المختار الإسلامي، القاهرة، ٦٠٧.



فالتوكل على الله والمتوكلون يتذمرون الأسباب ويستعدون كأكمل ما يكون الاستعداد والأهبة، فقد أمر تعالى بالسعى في جميع الأمور صغيرها وكبيرها، فينبغي على الناس كلهم أن يتوكلا على الله ويعودوا أنفسهم على ذلك.

ولابد من ربط الأسباب بالأسباب والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، ونرضى بعدها بأقدار الله تعالى المنزلة علينا، فلا يحدث شيء إلا بقدرة الله ومشيئته.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَائِئِ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ <sup>٢٣</sup> إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... <sup>٢٤</sup> ، <sup>(١)</sup> فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

فالمؤمن يؤمن ويصدق قدر الله في نتائج أعماله، مما عليه إلا أن يردد في يقين قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنَّ يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الكهف، آية: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥١.



## المبحث الأول

### أركان التوكل على الله

إن لكل أمر و شأن أركاناً و دعائيم يقوم عليها بناؤه، فالإسلام له أركانه الخمسة، فلا يقوم بناء إلا على هذه الدعائم حتى يسلم هذا البناء من الخلل.

والتوكل على الله له أركانه و ركائزه التي يقوم عليها ليكون توكلًا حقيقياً لا تشوبه شائبة.

فجميع الأمور التي تصدق بها النفوس و تطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً فهي متمكنة من القلوب راسخة لاتزلزل، وعلى هذا ربى رسول الله ﷺ ، الراعيل الأول، فاليقين الثابت هو محظ الإيمان.

**قال تعالى:** ﴿لَيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

فأركان التوكل و دعائمه هي الأشياء التي يتقوى، ويتوقف الإيمان، والعمل عليها، ولا يقوم ذلك العمل، والإيمان إلا بها، وإذا فقد ركن أو لم يتحقق انهدم الإيمان والعمل معاً.

فلزم من ذلك تقوية هذه الأركان قدر المستطاع وبشتى الأساليب، وهذا قائم على اليقين والإيمان بالله تعالى، فالمؤمن يزيده إيماناً طاعته لربه، فما من عمل إلا وله ركائز يعمل بها، ويكون بها صائبها، ومنها ما هو قلبي، ومنها ما هو عملي، وترك أي منها يوجب الهدم أو النقصان، والتوكل له أركان خمسة هذا ما استخلصته. والله أعلم.

فالركن الأول : اليقين والثقة بما عند الله تعالى، إن اليقين والثقة هما الركن الأول في التوكل وهما بمثابة القاعدة الأساسية؛ لأن اليقين والثقة تزيد المرء المؤمن من ربه قرباً وحبها، ومعرفة، ورضي، وخضوعاً، واستكانة، وكلما ازداد اليقين

(١) سورة المدثر، آية: ٣١

والثقة في قلب المرء المؤمن سلك بهما طريق السلامة إلى دار السلام، وبهما يكون التوكل على الله صحيحاً سليماً.

"فَالْيَقِينُ مَلَكُ الْقَلْبِ، وَبِهِ كَمَالُ الإِيمَانِ، وَبِالْيَقِينِ عُرِفَ اللَّهُ، وَبِالْعُقْلِ عَقْلُ عَنِ اللَّهِ" <sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ بَلَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَشَفَتُ ضُرَرَهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

فمن خلال هذه الآيات نستشعر يقين المؤمن بالله تعالى وثقته بالله، فالمؤمن واثق أن الله تعالى وحده الكافي فلا يحتاج معه إلى أحد، فعلى الله التوكل فهو المعين

(١) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٣٩٨/٥).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

(٥) سورة الزمر، آية: ٣٨.

والمانع من العدو ولن يغلب المؤمن بعد عون الله - فخشيتها، ويقينه بالله زاده تصديقاً، ويقيناً في دينه وإقامة على نصرة عدوه<sup>(١)</sup>.

فمتى نزل اليقين والثقة في نفس المؤمن كان من أكثر الناس توحيداً بربه من أصدق الناس طلباً وقوة في الإرادة، وكمال الانقياد، فيعکف القلب على محبة الله، وذكره بالإجلال والتعظيم، وتكون جوارحه على الطاعة، والإخلاص، فعلى قدر نزول اليقين واستقراره في النفس يظهر اللطف عند النوازل، فإن كمل العبد القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن، فلنقو اليقين والثقة بذكره ومعرفته والاتصال به، والتعلق به وحده سبحانه<sup>(٢)</sup>.

**الركن الثاني:** فهو قطع كل مؤمل دون الله تعالى :

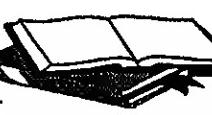
قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

المؤمن لا يكمل إيمانه إلا بتوكله، فالآلية دليل على ذلك، فليس بعد الله أحد فهو الناصر والمؤمل، والملاذ والملجأ. فالله تعالى شملت رحمته الوجود كله، ويعجز الإنسان عن إحصائها في ذات نفسه، وتكوينه، وما سخر له من حوله، ومن فوقه، وتحته، وما أنعم به عليه، مما يعلمه، وما لا يعلمه، فرحمته سبحانه شملت البر والফاجر، فكيف بمن هذه صفاته سبحانه لأنقطع المؤمل دونه، فقد قطع إبراهيم عليه السلام الأمل في غير الله، ووجد الأمل في الله تعالى وسط النار، ووجدها يوسف عليه السلام في غياب الجب، وفي غياب السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ووجتها أم موسى في قلبها حين قذفته في اليم، وهي لا تملك له حولاً، ولا طولاً، ووجدها موسى في قصر عدوه المتربيص به فرعون كما وجدها أهل

(١) انظر لأبي عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (دار النشر بدون تط)، مج ٢، ٤/٢٥٤.

(٢) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٢٦٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.



الكهف في كهفهم، وأخيراً وجدها محمد رسول الله ﷺ وصاحبها في الغار، ووجدها كل أمل في الله، لاجيء إلى الله وحده يائس من سواه سبحانه.

فالمرء المؤمن يأمل في الله، ويحسن الأمل، والرجاء في قبول طاعته، ولكن الإنسان أو المرء المؤمن العاقل البصير الذي يحب النجاة لنفسه لا يسرف في الأمل، كما أن عليه أن لا ييأس من روح الله؛ ذلك أن الياس من روح الله كبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْيُسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن قطع كل مؤمل دون الله تعالى يورث في النفس اليقين في الله تعالى وزيادة في الإيمان، وبهذا يحصل الفرج والتفيس؛ لأن من أمل في الله هو المؤمن الذي يرجو دائماً فرج الله تعالى، فسبحان من كان قيماً على خلقه مدبراً لهم.

**الركن الثالث: القيام بالأحكام الشرعية، ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية:**

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مَلَكُومْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

"فإلى الله وحده وكلنا أمرنا مع قيامنا بكل ما أوجبه علينا من الحفاظ على شرعه ودينه، فهو الذي يكفينا تهديكم ومالبس في استطاعتنا من جهادكم "ومن يتوكل على الله فهو حسنه" إذ من شروط التوكل الصحيح القيام بالأحكام الشرعية ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يوسف، آية: ٨٧ .

(٢) سورة الأعراف، آية: ٨٩ .

(٣) انظر: للمراغي، تفسيره، مج ٣، ٦/٩ .

ولقد علم المرء المؤمن من خلال القرآن والسنّة أن البشرية في أجيالها المتعاقبة لها أحكام، وشرائع سماوية تضمن حق الإنسان. والمسلم الحق يؤمن بالشريعة الإسلامية منهج حكم، ونظام حياة.

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى المؤمن أن يأخذ من دنياه لآخرته، فهي الباقيه الدائمه، يأخذ منها على حسب شرع الله، مراعيا بذلك السنن الكونية والاجتماعية الشرعية.

فالدنيا وما فيها من ثروات هي متاع، لكنه متاع لأيام قليلة معدودة، وما عند الله من الشواب خير للذين صدقوا بالله ووحده وتوكلوا على ربهم وفوضوا إليهم أمورهم<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن يسارع في الخيرات، ويتسابق إليها، ويقدم الله تعالى عبادته وطاعته، وحسناته، ويخشى أن لا يتقبلها الله منه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِئَاتِ رَبِّهِم يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتَوْنَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِم رَّاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَيِّقُونَ ﴿٦١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

فالمؤمن جاد في طلب مرضاته ربه مخلص في عبادته لا يجعل فيها لغير الله شركاً لوthen ، ولا لاصنم ولا يرائي بها أحداً من الخلق ويجعل أعماله لوجه الله خالصة وإياه يقصد بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه، ويبادر في الأعمال الصالحة، ويطلب الزلفة عند الله بطاعته، فهذا هو من سبقت له من الله السعادة<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الشورى، آية: ٣٦ .

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٧٧/٤) .

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١-٥٧ .

(٤) انظر: ابن حجر الطبراني، جامع البيان، (٣٧٠/٥) .

كذلك المؤمن يأخذ الأحكام ويتحرك ويعمل ويسعى بها لمواجهة الناس، ويتفاعل مع الأحداث ويتأثر ويؤثر، ولكن بالإيمان الذي رسخ ونمى فيه ومارسه، والمؤمن الحق لاينظر، ولاينطق، ولايبطش، ولاينهض حتى يرى على طاعة قدم أم على معصية فإن كانت الأولى تقدم وإن كانت الثانية تأخر، ولن تكون الطاعة إلا لقلب المؤمن الطاهر<sup>(١)</sup>.

**الركن الرابع: العمل والعزيمة مع الأخذ بالأسباب :**

قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلُّوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فأمر الله نبيه - ﷺ - على المضي في الأمر والعمل عليه والمعنى "أي عزمت لك ووفتك وأرشدتك .... للتوكيل على الله - .... فقد امتنل رسول الله لأمر ربه فقال "لاينبغى لنبي يلبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله" أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأن الله نقض للتوكيل الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة"<sup>(٤)</sup>.

فهذا رسول الأمة وسيد ولد آدم أمره الله تعالى بالتوكيل عليه وشرع له الأخذ في الأسباب بجوانب الحياة كلها، إن الأمر بالتوكل من صميم العقيدة، وخالف التوحيد، وجوهر العبودية لله؛ لأنه يعني إظهار العجز لجلاله، وعدم الركون إلى الأسباب من كل وجه، وإن لم ينقطع عنها.

(١) انظر: ابن رجب الحنبلي، كتاب التوحيد، تحقيق صبري شاهين (الرياض: دار القاسم تط الأولى ٤١٥هـ)، ص ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

(٤) انظر: للقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ٢، (٤/٢٥٢).

وكما أن التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها العبد على مطلوبه، وحيث يكون قلبه معلقاً بالله لا بالأسباب، وسنة الله في دنيا الناس وأخر اهم تؤكّد مشروعية الأخذ بالأسباب، وعدم الإخلال بها؛ لأن كثيراً من يعتقد أن التوكل على الله يقتضي ترك العمل والعزم عليه وعدم السعي والأخذ بالأسباب لطلب أمر ما، وإن فعل شيء من ذلك قدّح في التوكل، وهذا فهم خاطيء، فالله تعالى أمر "عباده" بالسعي.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِيلًا فَامْشُوا فِي مَنَابِكُهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْنُّشُورُ ﴾<sup>(١)</sup>.

وأمر حتى المجاهدين إذا صلوا صلاة الخوف أن يأخذوا حذتهم وأسلحتهم فقال تعالى: ﴿ وَلَيَأْخُذُوا حِذَرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالسعي في السبب لا ينافي التوكل على الله في جميع الأقطار والأقاليم والأرجاء لأخذ المكاسب والتجارات<sup>(٣)</sup>.

فالعمل والعزمية والسبب أمور دعى الخالق بالأخذ بها مع الاعتماد عليه سبحانه، وهي أمور مطلوبة في الحياة، فالمؤمن الواعي اليقظ هو من يفطن لهذه الأمور، ويضعها أمام عينيه، ويستغل صحته، وماله، وقوته في العمل الصالح، الذي يحقق به الخير، والحياة الطيبة في الدنيا، "فَهُنَّ أَبْيَهُ هُرْبَوْةٌ" - قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ خَيْرَ الْكَسْبِ كَسْبُ بَيْدِي عَامِلٍ إِذَا نَصَمْ" <sup>(٤)</sup>، وقد كان ﷺ يؤثر أن يقوم بنصيبه من العمل بنفسه كأي واحد من أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - مع مكانته العظيمة الكريمة.

(١) سورة الملك، آية: ١٥ .

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٢ .

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٢١/٤).

(٤) مسند أحمد (٢/٣٥٧، ٣٥٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقد أورده السيوطي في الجامع الصغير (٤٥٢٧) وحسنـهـ الشـيخـ الـلبـانـيـ (٣٢٧٨).

الركن الخامس: سكون القلب إلى مقسم وقدر الله :

قال تعالى: «إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»<sup>(٢)</sup>.

إن مشيئة الله وقدره ماضية لامحال "له المشيئة والحكمة فيما يشاوه ويختاره لايسأل عما يفعل وهم يسألون"<sup>(٣)</sup>; فهذا الركن بحسب اجتهادي والله أعلم أنه هو نهاية التوكل؛ لأن من سكن قلبه ورضي وسلم الله تعالى بتدبيره له كان حقا على الله تعالى أن يرضي عبده.

فسكون النفس إلى مقسم وقدر الله سواء كان هذا القدر على مراد العبد أو على خلافه لازم مأمور به العبد؛ لأن السكون والرضى من الإيمان، فالمؤمن ساكن راض متلق أقدار ربه بالانسراح والتسليم وطيب النفس، كذلك فإن الرضى والسكون روح التوكل، وروح اليقين، والرضى والسكون يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق البدن؛ لأن السكون يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، وكل من سكن قلبه إلى مقسم وقدر الله فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير.

وقوله تعالى: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٠٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦٢/٢).

(٤) سورة التوبة، آية: ٥١.

" فالجميع تحت مشيئته وقدره فهو سيدنا وملجؤنا ونحن متوكلون عليه وهو حسينا ونعم الوكيل "<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولنَّ لِشَاءَ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

إن الله تعالى أوجد كل شيء على كيفية خاصة وفي وقت، وترتيب خاص بحسب علمه، وإرادته، وهذا هو قدر الله وقضاءه، والله تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصريفه وتدبيره، وأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن فعلى المسلم أن يسكن ويرضى قلبه بما قسم الله، وقدر من خير أو شر حلو أو مر، فهو في سكينة، وطمأنينة، ورضى، وقد أمرنا تعالى بالسعى في الأرض بجد واجتهد، والأخذ بجميع الأسباب، وحسن التوكل على الله، فإن سكون القلب والاستسلام، والرضى بقدر الله من خير أو شر من جملة ثمرات المعرفة " فسبحان من ناط الأمور بالأسباب، ليحصل ذل العارف بالحاجة إلى التسبب "<sup>(٣)</sup>، فالإيمان بالقضاء والقدر شرط من شروط الإيمان وركن من أركان التوكل على الله، فهذه الدعائم الخمس لها أهمية عظمى في حياة المؤمن كفرد وفي حياة المؤمنين كمجتمع، وبها يكتمل التوكل وتحصل مرادات العبد النفسية، والاجتماعية والدينية، والدنيوية، فكل ما يجرى على المرء من أقدار الله تعالى لا يعلق عليها سواء بفوات محبوب أو حصول مكرور .

أخيراً فإن هذه الأركان والركائز متداخلة متلازمة عند أدائها، فينبغي الالتزام بها، وأخذها بقوة وفقاً للأدلة النقلية، والعقلية، والواقعية .

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٦٤/٢).

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٣ .

(٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، راجعه وحققه علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، (سوريا: دار الفكر، تط١٤٠٧ هـ)، ص١٦٢، باب ١١٦ الرضى بالقدر.

## المبحث الثاني

### التوكل على الله من أسباب النصر

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، الآية الكريمة وعد من الله للمؤمنين بالنصر، وهو وعد لا يختلف.

كان هذا الوعد مع ضعفهم وقوة أعدائهم، وفقرهم، وثروة أعدائهم، وقتلهم وكثرة أعدائهم بحيث يستحيل العادة نصرهم، فالتوكل على الله من أسباب النصر، وقد ربط تعالى التوكل بالنصر في آيات عدة من كتابه العزيز.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبُوئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَادِعَ لِلْقَتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآلية نزلت في وقعة أحد، وقد أرصد كفار قريش أموالهم وجمعوا الجموع والأحابيش وأقبلوا اقريبا من أحد تلقاء المدينة فعلم بهم رسول الله وخرج في نحو ألف ورجع عبدالله بن أبي بثلث الجيش واستمر رسول الله سائرًا حتى نزل الشعب من أحد عدوة الوادي<sup>(٣)</sup>، وقد كان لهذه الغزوة عوامل وأسبابا ظاهرة بعد أن ظفر المسلمون بالنصر على أعدائهم في غزوة بدر الكبرى أرادت قريش الثأر لصناديدها الذين القوا في القليب قليبا بدر، وسبب آخر هو أن الذين تخلفوا عن بدر من المهاجرين والأنصار كانوا يسألون الله أن تتيح لهم فرصة لقتال المشركين، والفتاك بهم ليغوضوا مافاتهم من الأجر، والغنيمة يوم بدر، وقد بدأت المعركة وانتهت بدروس قاسية لل المسلمين في نهاية المعركة بعد أن كان في أولها نصر مؤزر.

"ولكن ما أصيب به المسلمين فيه من الدروس والفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية

(١) سورة الروم، آية: ٤٧ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢١-١٢٢ .

(٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٩٨/١).

وشُؤم ارتكاب النهي؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة...، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو أنكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة (غزوة أحد)، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلویح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضمًا للنفس وكسرًا لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون، ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لاتبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابلاء والمحن ليصلوا إليها، ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم، ومنها أنه أراد إهلاك الأعداء فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحض بذلك ذنب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين<sup>(١)</sup>.

فمنها نرى أن السبب الأول والرئيس في الهزيمة هو الرغبة في الدنيا وطلبها، بمعصية الله ورسوله فهذا سبب كل بلاء وهزيمة ومحنة تصيب المسلمين في كل زمان ومكان.

فالآية تتحدث عن اضطراب المؤمنين ومن معهم فكاد الفشل أن يكون حليفاً لهم، ولكن الله تعالى ثبthem، ومكثهم بالنصر على أنفسهم .

( "وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا" ) أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهم بال توفيق والعصمة، فإن قلت: "الهم" العزم على فعل الشيء، والآية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤٤٠/٧).

فكيف مدحهما الله تعالى بقوله: "وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا" - بنو سلمة ، وبنو حارثة - قلت "الهم" قد يراد به العزم، وقد يراد به حديث النفس، وإذا كان كذلك فحمل "الهم" على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤخذ بحديث النفس، ويعضده قول ابن عباس (أنهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد ثبتوها مع رسول الله ﷺ فمدحهم الله تعالى بقوله: {وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا}.... وقوله تعالى: { وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ } التوكيل: تفعل من وكل أمره إلى غيره إذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به، وقيل التوكيل: هو العجز والاعتماد على الغير، وقيل: هو تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلا إلا عليه، وأن لا يفوضوا أمرهم إلا إلى الله<sup>(١)</sup>.

فالله سبحانه نصر المؤمنين، وصدق وعده للمؤمنين بالنصر إذ ظهر ذلك في أول النهار.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِاذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشَلَّتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْتَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآية دليل على أن وعد الله للمؤمنين بالنصر مشروط بقيام المؤمنين بأوامر الله في كل شؤونهم فمتى حققوا اللجوء الخالص لله تعالى - ومن مقتضياته التوكيل عليه سبحانه وتعالى وحده دون سواه - تحقق لهم ما وعدهم الله تعالى من النصر<sup>(٣)</sup>، فالمعنى لقد حقق الله وعده لكم بالنصر، حتى إذا جبنتم، واختلفتم في تنفيذ الأمر، وعصيتم أمر رسولكم، بسبب خلل نيات بعضكم بيان لم تتحممض للأخرة منعكم الله نصره<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي، ٤ مج (بيروت: دار الفكر تط ١٣٩٩هـ)، (٤١٢-٤١٣).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٢.

(٣) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٩٠٠/٢).

(٤) المصدر نفسه، (٩٠١/٢).

إن إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عليها من ترك لطاعة الله ورسوله ﷺ، وما عاقبه من آلام وجراحات، وقتل، وهزائم وفوات خير كبير، ومع ذلك فالله تعالى أراد حكمة عظيمة خفية في تلك الهزيمة التي ظاهرها النقمـة وباطنـها النـعمـة، والـعـبـرـةـ أنـ قـوـانـينـ الـنـصـرـ الـمـادـيـةـ مـنـ تـقـوـقـ بـالـعـدـةـ وـالـعـدـ، وـفـنـ الـقـتـالـ، لـاتـعـلـ عملـهاـ إـلاـ إـذـاـ بـذـلـ الـجـهـدـ وـالـدـخـولـ إـلـىـ الـمـعـرـكـةـ بـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ صـحـيـحـ لـيـظـهـ اللـهـ سـنـتـهـ مـنـ الـنـصـرـ، فـمـنـ هـذـهـ الـوـقـعـةـ عـلـمـ الـمـؤـمـنـونـ أـنـ الـنـصـرـ وـالـهـزـيمـةـ يـتـمـانـ بـحـسـبـ سـنـنـ إـلـهـيـةـ فـمـاـ أـصـبـحـواـ بـعـدـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ الـمـؤـلـمـةـ يـغـلـوـنـ تـلـكـ السـنـنـ أـوـ يـهـمـلـوـنـهاـ وـإـنـ فـعـلـوـاـ تـرـاجـعـاـ سـرـيـعاـ عـنـ ذـلـكـ .

قال تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةِ مِنْ أَلَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا  
الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي  
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥١  
يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ  
بَعْدِهِ وَعَلَىَ اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » <sup>(١)</sup> .

والمعنى : " إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر » <sup>(٢)</sup> فَلَا غَالِبَ لَكُمْ يعني من الناس؛ لأن الله تعالى هو المتولى نصركم " وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ " كما فعل يوم أحد فلم ينصركم، ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله ﷺ <sup>(٣)</sup> « فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » ، أي من بعد خذلانه " وَعَلَىَ اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » <sup>(٤)</sup> لا على غيره لأن الأمر كلـهـ للـهـ ولا رادـ لـقضـائـهـ، ولا دافـعـ لـحـكـمـهـ فـيـجـبـ أـنـ يـتـوـكـلـ العـبـدـ فـيـ كـلـ الـأـمـورـ عـلـىـ اللـهـ تعالىـ، لا علىـ غـيرـهـ وـقـيلـ التـوـكـلـ أـنـ لـاتـعـصـىـ اللـهـ مـنـ أـجـلـ رـزـقـكـ، وـلـاتـطـلـبـ لـنـفـسـكـ نـاصـراـ، وـلـاـ لـعـملـكـ شـاهـداـ سـواـهـ » <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩-١٦٠.

(٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٤٣٩/١) .

فالآياتان من سورة آل عمران تضمنت حقيقة كبيرة يجبر العمل بها دائمًا والإيمان بها أولاً، أن النصر بيد الله، والخذلان كذلك فلا يطلب نصر إلا منه تعالى، ولا يرهب خذلان إلا منه عز وجل، وطلب نصره هو بإنفاذ أمره، وطاعته، وتقواه، والاستعانة به، والتوكيل عليه، لأن من شأن المؤمنين التوكيل والتقويض لله سبحانه؛ لعلهم أنه لناصر سواء، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك.

قال تعالى : ﴿ آلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الَّنَّاسُ إِنَّ الَّنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾<sup>(١)</sup> فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَلَ لَمْ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ معبرين عن إيمانهم، "حَسْبُنَا اللَّهُ" أي: هو كافينا ما يهمنا من أمر الذين جمعوا لنا، "حَسْبُنَا" بمعنى محسبنا فهو من أحسبه إذا كفاه كما قالوا ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ الذي توكل إليه الأمور فإنه لا يعجزه أن ينصرنا عليهم، على قلتنا، وكثرتهم، أو يلقي الرعب في قلوبهم، ويكتفي شر بغيرهم، وكيدهم، وقد كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى ألقى الرعب في قلب أبي سفيان وجيشه على كثرتهم فولوا مدربين وأعز الله بذلك رسوله والمؤمنين<sup>(٣)</sup>.

نعم! اد لهمت الأمور على المؤمنين فازدادوا توكلًا على الله، وإيماناً به والله عند حسن ظن عباده به، فكفاهم الله شر المشركين، وسجل لهم النعمة من السلمة، وفرار الكافرين، وعودة الهيبة للمؤمنين، ورجوع الروح المعنوية العالية للMuslimين<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٤/٢٤٣).

(٣) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٢/٩٣٩).

فالله تعالى يكفي المؤمنين شر المشركين والأعداء، ويكتفي بهم ما يهمهم بعد التوكل عليه فهو حسبهم ونعم الوكيل.

قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدَكَ بَيْتَ طَآفَةً مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup>.

فالآلية الكريمة " إخبار من الله تعالى بشأن المنافقين الذين يظهرون الموافقة والطاعة، والله تعالى عالم بما يضمرون ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا، من مخالفة الرسول ﷺ فاصفح عنهم واحذر عليهم ولا تؤاخذهم ولا تكشف أمرهم ولا تخاف منهم فكفى بالله ولها وناصرا ومعينا لمن توكل وأناب إليه" <sup>(٢)</sup>.

فجاء الأمر بالتوكل هنا مقررونا بالصفح والحلم والاعتراض عن الأعداء، وعدم الاهتمام بهم، لأن في ذلك نصراً متيناً على الأعداء، خاصة أن الله سبحانه قد تكفل بالمؤمنين، فأرشد الله تعالى رسوله الكريم وصحابه أن لا يبالوا بشرذمة المنافقين؛ لأنه حسبهم وكافيهم لما يبيتونه من الشر .

وقال تعالى ممتا على رسوله الكريم - ﷺ - والمؤمنين تبعاً <sup>﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.</sup>

فالآلية وإن اختلفت الأقوال في سبب نزولها فمنهم من قال أن قوماً من اليهود وضعوا طعاماً لرسول الله ﷺ وأصحابه فأوحى الله بشأنهم لرسوله ﷺ .

(١) سورة النساء، آية: ٨١.

(٢) انظر: لابن كثير بتصرف، تفسير القرآن العظيم، (٨٠١/١).

(٣) سورة المائدة، آية: ١١.

ومنهم من قال أنها نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه حين أرادوا أن يغدوا بالرسول وأصحابه.

ومنهم من قال أنها نزلت في شأن بنى النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس الرسول الرحى، لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك، فأطلاع الله النبي ﷺ على ماتأمروا عليه<sup>(١)</sup>.

فهي مشعره بأن التوكل من أسباب الكف والنصر على الأعداء، ودفعهم عن الرسول والمؤمنين وبين ما أرادوا من كيد.

"**فَعِنْ جَابِرِ أَنَّ النَّبِيَّ نَزَلَ مِنْزَلًا، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعُضَادِ**  
**بِسَتْنَالُونَ تَحْتَهَا، وَعَلَقَ النَّبِيُّ سَلَاحَهُ بِشَجَرَةٍ، فَجَاءَ أَعْرَابٍ**  
**إِلَى سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْذَهُ، فَسَلَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ**  
**فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللَّهُ" قَالَ الْأَعْرَابِيُّ مَرْتَبَنْ أَوْ**  
**ثَلَاثًا مِنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ وَالنَّبِيُّ يَقُولُ: "اللَّهُ" قَالَ: فَشَامَ**  
**الْأَعْرَابِيُّ السَّيْفَ، فَدَعَا النَّبِيَّ أَصْحَابَهُ، فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَ الْأَعْرَابِيِّ،**  
**وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى جَنْبِهِ وَلَمْ يَعْاقِبْهُ**<sup>(٢)</sup>.

فالرسول الكريم توكل على الله، فكفاء الله ما أهله، وحفظه من شر الأعداء، وعصمه؛ لأنَّه ﷺ القائل: (**اللَّهُمَّ أَسْلِمْتَ وَجْهِي إِلَيْكَ**  
**وَفَوَضْتَ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتَ ظَهْرِي إِلَيْكَ رُغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لِأَمْلَأَ**  
**وَلَا مَنْجَدٌ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَهْنَتَ بِكَتَابَكَ الْذِي أُنْزِلَتْ،**  
**وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**<sup>(٣)</sup>.

ففي الآية قصر حقيقى، وهو أن التوكل لا يكون إلا على الله إذ لا كافى إلا هو سبحانه وتعالى.

(١) انظر: المصدر السابق، (٥١/٢).

(٢) رواه البخاري في الجهاد، باب: من علق سيفه بالشجر، ح: ٢٩١٠، والفتح (١٣٣/٦).

(٣) البخاري في الفتح (٢٤٧/١)، ومسلم (٢٧١٠).

وقال سبحانه في حق الرجلين اللذين أنعم الله عليهما من بنى إسرائيل ﴿قَالَ رَجُلًا مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد أنعم الله تعالى عليهم بتوسيع بصائرهم بمعرفة الله عز وجل ومآلاته من حقوق واجبة، قاموا بها وحثوا قومهم عليها من هنا الحث على التوكل على الله واتباع أمره، وموافقة رسوله، وأرشدهم إلى الفعل الذي سيكون به النصر حليفهم والظفر والتأييد، ودخول البلاد التي كتبها الله لهم؛ وهو الإيمان الذي يقتضي التوكل على الله وقطع العلائق القلبية مع غير الله وترك التملق بالباطل للخلافة<sup>(٢)</sup>، مما كان هذا الحث والإرشاد إلا من الإيمان بالله والوثوق بوعده وبنصره وتأييده<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى في معرض الحديث عن غزوة بدر ﴿اذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالمؤمن المتوكل على الله الذي يعلم أنه مامن حول ولا قوة ولا نصر إلا من الله وبالله، والمنافقون لا يدركون القوة الكامنة في نفوس المؤمنين.

فكل من أسلم أمره إلى بارئه وخالقه، ووثق بفضله، وإحسانه فالله هو الحافظ والناصر عزيز لا يغلبه شيء حكيم يوصل إلى أحبابه وأوليائه الرحمة والثواب وإلى أعدائه العذاب<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾

(١) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٢) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (١٣٥٥/٣).

(٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٢/٢)؛ وللمراغي، في تفسيره، (٩٢/٢).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٩.

(٥) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مجلد، (١٨٣/١٥).



**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.**

فالله تعالى يرشد أولياءه لأساليب الحرب، ومنها إن كان في السلم والمهادنة خير فيجب الإقبال عليه وهذا ما كان من رسول الله ﷺ يوم الحديبية فبأمر من الله تعالى صالحهم وتوكل في ذلك على الله؛ لأن الله كافي وناصر أحبائه حتى إن كان المشركون يريدون بهذا الصلح الخديعة ليتقوا ويستعدوا فالله تعالى حسب نبيه وكالله وناصره عليهم <sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى وعد المؤمنين ورسولهم من قبل بالنصر والظفر مطلقاً على جميع التقديرات وهذا بعد أن يعملوا ما في طاقتهم من طاعة ربهم، وهو سبحانه قادر على الوفاء، فلا يضام من التجا إليه، ويعتمد على جنابه، فهو عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان في أفعاله، وأحكامه، فینصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٢-٦١.

(٢) انظر: لابن كثير، المصدر السابق، (٥٠٦/٢).

## المبحث الثالث

### القدرة والمشيئة والأسباب

شاء الله تعالى أن يخلق الخائق، وقضى سبحانه أن تكون بأقدار معلومة فهو العليم بما هو كائن إلى يوم القيمة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

والمؤمن يعرف لربه الكمال فتراه مؤمناً بأن كل ما يحدث له قدر بحكمة، والله سبحانه يعلم ولا نعلم ويقدر ولا نقدر ولابد أن نؤمن بأن ماصابنا لم يكن ليخطئنا وما خطأنا لم يكن ليصيبنا؛ لذلك فإن جميع المحصلات بمشيئة سبحانه وقدره.

قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لأنه سبحانه هو الذي يعين ويمعن، ويخذل، ويغلب<sup>(٣)</sup>، فالنصر والخذلان بقدر الله، ومشيئته، وفي كل له حكمة يرتضيها.

ف والله وحده هو صاحب الخلق والأمر، والملك والتدبير، فهو رب العالمين خالق كل شيء، ومالك كل شيء، ومدير كل شيء؛ فهو رب جميع العوالم من مختلف الأجناس والألوان؛ فهو واحد لا شريك له لا يظهر في الوجود شيء إلا

(١) سورة الحج، آية: ٧٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠

(٣) انظر: لأبي محمد الحسين البغوي، معالم التزيل في التفسير والتأويل، ٥٥٧ (١٤٠٥ هـ) (١).

بإرادته، وقدرته وخلقه، وعلمه، هو الأول، والآخر فعال لما يريد؛ هو الذي يرزق جميع خلقه فتقدير أرزاق خلقه، وأجالهم بيده وحده.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فكل ما هو كائن، وما ي يكون مسطر في ذلك الكتاب المبين، وبهذا فالمؤمن يندفع للعمل في سبيل مرضاه ربها، مجتها في ذلك، وهذا الإيمان بقدر الله ومشيئته دافعة إلى العمل المثمر في نشر الدين، والعمل بأحكامه وتشريعاته، والأخذ بسلوكيه وأخلاقه.

فالآلية دلالة إلى الإشارة بإحاطة علمه سبحانه بكل ما هو موجود صغير أو كبير، ولا يتأمل ذلك إلا عالم مؤمن واسع العلم، ومن كان ممتناً قلبه بعظمته الله تعالى، ويدرك أن جميع أعماله محصية عليه، سواء كانت صغيرة حقيرة أو كبيرة جليلة<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالله تعالى جعل له سننا لا تتبدل والإنسان علمه سبحانه بعض السنن، وأدركه بعضها وجعله يتعامل معها في حدود طاقاته ومالم يكشفه له يعلم الإنسان أنها في طلاقة مشيئة الله وحدوث كل شيء بقدر الله وماذاك إلا اختيار من الله تعالى للمتكلمين ليعلموا أن من الإيمان ومن مقوماته الأساسية وقواعد الرئستة "علم الغيب" الذي اختص به الله تعالى.

(١) سورة يونس، آية: ٦١.

(٢) انظر: للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص ٢٨٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٩.



والمعنى: أن الله عنده "علم ماغاب عنكم، أيها الناس، مما لا تعلمناه، ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء؛ لأنه لاشيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم، فأخبر تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون، وما هو كائن مما لم يكن بعد"<sup>(١)</sup>.

فينبغي للمؤمن أن يعرف أن القوة الفاعلة للأمور هي قوة الله، بعد اتخاذ جميع السبل والقيام ببذل الجهد، والتكاليف، ونفاذ الأيدي من العواقب، وتعليقها بقدر الله، ون قبل ونرضى، ونسلم بما يأتي به قدر ومشيئة الله تعالى.

قال تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فما من شيء إلا ومثبت في علم الله تعالى فكل من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر، فيجب الرضى والتسليم لله تعالى فيه فإنه على وفق رضى الله تعالى، وبناء على مشيئته، وحكمته وواقع على أساس تدبيره لملكه وخلقه<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فالله تعالى خلق العبد، وفعله قد قدره الله تعالى وكتبه عليه، وسبق به علمه قبل التقدير، والقضاء، والعبد فاعل لفعله أو تارك له يحاسب به، ويجازى عليه، فالله تعالى لما قدر ماللعبد، وما عليه من خير أو شر قد قدره مربوطاً بأسبابه، فالخير أسبابه، وللشر أسبابه، كما قدر أن العبد يأتي تلك الأسباب، ويعمل بها بمحض إرادته التي قدرها له، وحرية الاختيار الذي قضى له به، فلا يصل العبد إلى ماكتب له من خير أو شر إلا بواسطة تلك الأسباب التي يفعلها غير مجبور أو مكره عليها وعلى فعلها، وفي الحديث "عن عمرو بن الخطاب أن رسول الله - ﷺ - قال: "إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ أَسْتَعْهَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِّنْ أَعْمَالِ أَهْلِ

(١) انظر: ابن جرير، جامع البيان، (٢٧١/٣).

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

(٣) انظر: للبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص ٧١٨.

(٤) سورة الصافات، آية: ٩٦.

**الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بحمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**<sup>(١)</sup>، فالحديث حجة ودلالة على أن الله تعالى إذا كتب على العبد أزلي السعادة أو الشقاء كتب له كذلك أنه يعمل بالأسباب التي تسعد أو تشقي لترى السعادة أو الشقاء على أساس نظام الأسباب، فالمرء واصل بسعيه إلى السعادة أو الشقاء إلى الخير أو الشر.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، الآية مقتضية معاني عظيمة منها " يقول تعالى مذبناً نبيه محمدًا ﷺ " قُلْ يَا مُحَمَّدَ لِهُوَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ، " لَنْ يُصِيبَنَا " أَيْهَا الْمُرْتَابُونَ فِي دِينِهِمْ " إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا " فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَقَضَاهُ عَلَيْنَا " هُوَ مَوْلَانَا " يَقُولُ: هُوَ نَاصِرُنَا عَلَى أَعْدَانِهِ " وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ " يَقُولُ: وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّمَا إِنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرْجُوا النَّصْرَ مِنْ عَنْدِ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَخَافُوا شَيْئاً غَيْرَهُ، يَكْفِهِمْ أَمْرُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى مِنْ بَغَاهُمْ وَكَادُهُمْ " <sup>(٣)</sup>.

فكل شيء بقضاء الله وقدره، والله تعالى يثبت لنا المصلحة الدنيوية والأخروية، فلا وجہ للفزع، ورضانا بقضائه وقدره في المصائب لن يسُؤنا بالحقيقة كيف؟ ولم يكتبها علينا ليضرنا بها، إذ هو "مولانا" أي يتولى أمورنا؛ فإنما كتبها علينا ليوفقا للصبر عليها والرضا بها، فيعطيها من الأجر ما هو خير منها " وعلى الله فليتوكل المؤمنون" فلانا صر ولا متولى للأمر غيره سبحانه العلي الكبير <sup>(٤)</sup>.

(١) الحديث طويل رواه أبو داود في سنته (٤٧٠٣) واللّفظ له، سنن الترمذى (٣٠٧٥/٥) وقال الترمذى: حديث حسن؛ رواه البغوي في شرح السنة (١٣٩/١) وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥١.

(٣) انظر: للطبرى، جامع البيان، (١١٩/٤).

(٤) انظر: للقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ٤، (١٥٨/٨)؛ ولمحمد جمال الدين القاسمى، محسن التأویل، مج ٥، (٢٣٣/٨).

إن تقويض الأمور لله تعالى في مستقبل ما، والتصميم على فعله لا الجزم بشيء هي من اللوازم التي على المؤمن أن يتمسك بها عند توكله؛ لأن الأمور جميعها موكولة لله سبحانه، ولمشيئته، وقدرته. "والاعتقاد بقدر الله، والتوكل الكامل على الله، لainفيان اتخاذ العدة بما في الطوق فذلك أمر الله الصريح في قوله: ﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ثُرِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم﴾<sup>(١)</sup>، وما يتكل على الله حق الاتكال من لاينفذ أمر الله، ومن لا يأخذ بالأسباب، ومن لا يدرك سنة الله الجارية التي لاتحابي أحداً، ولا تراعي خاطر إنسان<sup>(٢)</sup>، فاليقين والرضا بما قسم وقدر لابد من إدراكه، ومالم يقسم ولم يقدر لن نصل إليه، إذا فالتوك على الله لاينافي السعي بالأسباب التي شاءت إرادة المولى سبحانه تبارك وتعالى أن يحقق بها المسبيبات، سبحانه أمر بالأخذ بالأسباب، كما أمر بالتوك، فالأخذ بالأسباب بالجوارح طاعة للمولى سبحانه، والتوك بالقلب على الله تعالى إيمان به، فكل مانقدر عليه من القوة العقلية، والبدنية وأنواع القوى كلها هي أسباب لنيل المقصود والمأمول بعد التوك عليه سبحانه.

إن الأخذ بالأسباب والوسائل، والقوى التي رتب الله عليها المسبيبات والنتائج من المقررات الشرعية، وتحت مشيئته وقدره سبحانه، ولعل هذا مايفهم من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانَيْكُمْ وَلَا أَمَانَى أَهْلَ الْكِتَابَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مَنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ والأية فيها معنى "أن الجزاء ليس تابعاً لأمانة الناس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدر من الله تعالى تقديراً بحسب الأعمال"<sup>(٤)</sup>، فالعمل بما أمر الله لازم لصحة التوك عليه وترقب الخير منه، والإيمان لا يكون بمجرد تخيل الأمانة، وتمني الحصول عليها بغير الأسباب

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٢) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣/١٦٦٤-١٦٦٥).

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٣ .

(٤) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، مج (٣-٤-٥)، (٥/٢٠٨).

الموصلة إليها، ولكن الإيمان الحقيقي هو ما استقر في نفس المؤمن أنه حق فاطمان إليه، وحرص عليه، ثم كان عمله موافقاً له، مصدقاً لوجوده أو دعوة اعتقاده.

والتوكل على ذلك لا يكون إلا بالثقة، والاعتماد على الله، ثم العمل بما أمر به، والأخذ بالوسائل ثم ترك ما لله من أقدار وقضاء فلا يعزب عن الله ولا يغيب عن علمه شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد له الملك والحمد فليس في أفعاله سبحانه ولا تقديراته ومشيئته ظلم أو شرّ قط، قضى بذلك العقل والنقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>، ويقرر هذه الحقيقة رسول الأمة محمد - ﷺ - في قوله: "الْفَيْوْ كَلَهْ فِي بِدِيكْ وَالشُّرْ لِيْسْ إِلَيْكَ"<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى أثبت لنفسه المشيئة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوكُمْ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والكل محكم بالمشيئة الإلهية، فسبحان من له الإرادة والمشيئة .

(١) سورة النساء، آية: ٤٠ .

(٢) رواه مسلم، (١٨٥/٢).

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٢ .

(٤) سورة التكوير، آية: ٢٩ .

## المبحث الرابع

### الأعمال التي يعملاها العباد في تحقيق التوكل

إن المرء المؤمن في حاجة مستمرة إلى هداية خالقه سبحانه عز وجل ورعايته. والتوكل على الله لا يكون إلا بأمررين مجتمعين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هذا ما أراه والله أعلم بالصواب .

١- الإيمان بالحق سبحانه، والاعتماد عليه والثقة فيه .

٢- الأخذ بالأسباب والوسائل التي تربط بها النتائج المرجوة .

فال الأول أمر لازم؛ لأن الأساس في التصديق والثقة والطمأنينة بل إنه هو هذه الأمور، والإيمان كما تبين شامل للاعتقاد وللنطق والعمل.

والإيمان أساس القبول عند الله، والثاني أمر به المولى عز وجل لأن فيه طاعته، والإيمان حقيقته الحركة والعمل، وليس بمجرد نوايا طيبة والمتوكلون نواياهم الطيبة لاتخلو من عمل مثير، ولا تخرج عن أعمال وأمور أربعة هي:

الأول: فعل أمر يجلب النفع كالطعام والشراب، وجنون أن ننتظر أن نشبع دون أن نأكل أو نرثى دون أن نشرب، والتوكل في هذا المقام توكل بالعلم والحال. أما العلم فهو أن نعلم أن الله تعالى خلق الطعام، واليد والأسباب، وقوه الحركة، وأنه الذي يطعم ويسقي.

وأما الحال – فهو أن يكون اعتماد القلب على فضل الله تعالى لاعلى اليد والطعام.

قال تعالى: ﴿أَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني: التوكل على الله في حفظ الموجود كادخار المال، وحبسه للأهل، والولد وفي الصحيحين من حديث عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ "كان يبيح

(١) سورة الشعرا، آية: ٧٨، ٧٩ .

**نَفْلُ بْنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبَسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ**<sup>(١)</sup>، فَهَذَا لَا يَخْرُجُ عَنِ التَّوْكِلِ.

قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمُرِ هُدَىٰ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى يسبب أسباب الرزق من حيث لانشعر، ولا نعلم فمن اتق الله في أمره ويفوضه إليه فهو كافيه، فالله تعالى بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكلا عليه<sup>(٣)</sup>.

فالله تعالى قد ألم العبد الفكر في أن يدخل لعياله وأهله شيئاً من ماله وإن هلك العيال والأهل، وقد كان المصطفى ﷺ يؤثر أن يقوم بنصيبه من العمل بنفسه - كأي واحد مع مكانته العظيمة الكريمة.

### الثالث: دفع الأسباب المباشرة للضرر :

فلا يجوز النوم في الأرض المسبعة أو تحت جدار خرب، ولا ينقض التوكل لبس الدرع، وشد البغير.

قال تعالى: ﴿ وَلَيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث: " عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها واتوكل، أو أطلقوها واتوكل؟ قال "أعقلها واتوكل" "<sup>(٥)</sup>".

فالتوكل في ذلك كله على المسبب لا على السبب ويكون المرء مطمئناً وراضياً بكل ما يقضي الله عليه من خير أو شر، فالمرء المؤمن عليه أن يقيم

(١) صحيح البخاري، في النفقات، (٦٢٧/٩)، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٣ .

(٣) انظر: ابن حجر، جامع البيان، (٣١٦/٧) .

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢ .

(٥) سبق تخرجه، ص ٣٢ .

حياته بما أوجبه الله تعالى عليه فلا يعطي لها، بل إن فعله لها عبودية كذلك لا ينبغي عليه الاعتماد عليها؛ بل يعتمد على مسببها ومقدراها.

#### الرابع: السعي في إزالة الضرر :

فمنها المريض قد نزل به المرض فعليه دفعه بالمداواة لا بالشكوى فهي مخرجة عن التوكل، وقد فعله النبي ﷺ، وفي الحديث "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء" "(١)"، وعن عائشة: أنه ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده" "(٢)"، فهذه الأسباب التي يدفع بها الضرر النازل أمر الله لاسحرية وعلى كل فالرقية والتداوي من الأسباب المشروعة التي أمر الله تعالى باتخاذها من غير اعتماد عليها كلياً في أنها هي الشافية، وعلى ذلك فإن تعاطي الأسباب والعمل بها قدر المستطاع هي أمور مباحة لاتفاق العقيدة وخلق التوكل على الله؛ لأن جميع الأسباب التي يتعاطاها المرء المؤمن لا تخرج عن ثلاثة أقسام "(٣)":

الأول: "إلى مقطوع به، كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع، فهذا القسم ليس تركه من التوكل في شيء".

الثاني: أن يكون مظنوناً، كالقصد، والحجامة، وشرب المسهل، ونحو ذلك، فهذا لا ينافي التوكل، فإن رسول الله ﷺ قد تداوى وأمر بالتداوي .

الثالث: أن يكون السبب موهماً، كالكي فيخرج عن كمال التوكل؛ لأن النبي ﷺ وصف المتكلمين بأنهم لا يكتونون" "(٤)"، ولكن قد تداوى به كثير من المسلمين،

(١) البخاري في الطب، باب: ما نزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح(٥٦٧٨)؛ وفي الفتح (١٤١/١٠).

(٢) البخاري في الطب، باب : النفث في الرقيقة، ح (٥٧٤٨)، وفي الفتح (٢١٩/١٠).

(٣) انظر : للمقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٣٤؛ ولأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية نظ الأولى ١٤٠٥هـ)، (٣/٥١٠-٥١١).

(٤) انظر : للمقدسي، المصدر نفسه، ٣٣٤.

ولايُعني هذا أنهم عصوا رسولهم ﷺ ولكن المراد من كلام رسول الله ﷺ أن يجعل آخر شيء في العلاج؛ إذ أن بعض الأحاديث قد أجازته ومنعته بعضها الآخر، فمن الأول :

"**عن حديث جابر بن عبد الله: "أن النبي ﷺ بعث أبي بن كعب طبيبا، فقطع له عرقاً وكواه عليه"**"<sup>(١)</sup>.

والثاني: "**في الحديث عن جابر أن النبي ﷺ قال: "وما أحب أن أكتو به"**"<sup>(٢)</sup>.  
فهذه الروايات لاتعارض بينها فال فعل يدل على جوازه وجعله كما أشرنا آخر العلاج، ونهيء عنه يدل على الكراهة له.

إذا الأعمال الصالحة جميعها من تمام التوحيد وكماله؛ لأنها تعني القيام بها مع عدم اعتماد القلب عليها، ووثقه وركونه إليها، وأما تعطيلها فهو سوء فهم لأحكام الدين.

ولو طالعنا حياة رسولنا الكريم ﷺ سنجد لها قائمة على أعمال وأسباب، وإن ظهر فيها من الكرامة ما ظهر، وهو إمام المتكلمين وسيدهم، فلم يخرج للجهاد بدون عدة، فقد تترس يوم أحد، ولم يواجه عدوه قط بدون خطة أو ترتيب أو مشاوره آخذاً بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق في حياته ﷺ مائةً أمامنا نرى فيها التوكل، والأخذ بالأسباب شاكراً للمقدرات مقاوماً الصعاب والشداد بالصبر والاسترجاع؛ ذلك أن التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها العبد مطلوبه حيث يكون.

فالعبد المؤمن قلبه معلق بالله لا بالأسباب، وجوارحه آخذة في الأسباب قائمة بها، وسنة الله في دنيا الناس وآخر لهم تؤكد مشروعية الأسباب والأخذ بها وعدم الإخلال بها.

(١) مسلم في السلام، باب: لكل داء دواء، ح(٢٢٠٧)، (٤/١٧٣٠).

(٢) البخاري في الطب، باب الحجامة، ح(٥٧٢١)، وفي الفتح (١٠/١٦٢).

## المبحث الخامس

### مجال التوكل على الله

إن التوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبد الرزق، والعمل، ... وكفاه، ووثق العبد بربه فيما ضمه وكفاه، للتوكيل مجالات شاملة من أمور الدنيا ومطالب الدين.

ومن هذه المجالات نذكرها قسراً لاحصراً:

التوكل على الله في حصول الرزق: إن الله تعالى قد كفل لعباده رزقهم، والرزق مقسم لكل من البر والفاجر، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾<sup>(١)</sup>، فالآلية شاملة لكل كائن حي فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سبباً، ومن توكل عليه لثقته بضمائه فقد توكل عليه ثقة به، وتصديقاً بوعده؛ لذلك لا ينبغي أن يهمل السعي بل على المرء المؤمن أن يكده وهو مطمئن أن الله تعالى سيفرغ له من خزاناته ما يشاء لمن يريد.

قال تعالى: ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: يخرجه الله تعالى من شبهات الدنيا والكرب، ويرزق الله المرء من حيث لا يؤمن ولا يرجو، وعن جابر قال نزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَقَوَّلْ اللَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الآية في رجلٍ من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسألَه فقام (اتق الله واصبر) فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له يقال له أبو نعيم كان العدو أصابه فأتى رسول الله ﷺ، فسألَه خبره وأخبره خبرها فنزلت ﴿ وَمَنْ يَتَقَوَّلْ اللَّهُ ﴾ الآية وقيل معنى الآية يتق الله من كل شيء ضاق على

(١) سورة هود، آية: ٦.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٣.

الناس<sup>(١)</sup>. " وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ليس المتوكل الذي يقول تقضى حاجتي، وليس كل من توكل على الله كفاه ماأهمه، ودفع عنه مايكره" وقضى حاجته، ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيناته، ويعظم له أجرًا<sup>(٢)</sup>.

فأمر الله نافذ والأية دليل على " وجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم العبد أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكيل على الله تعالى"<sup>(٣)</sup>.

فينبغي الإخلاص لله تعالى؛ لأنه المتكفل بإزال الأرزاق من السماء وتيسير أسبابها، وسبحانه وتعالى يرزق الناس جميعاً بتسخير بعضهم لبعض، فالله تعالى يعطي كثيراً من الأبرار، وكثيراً من الفجار السعة في الرزق فنراهم متمتعين بذلك، وكثيراً من الفريقين فقراء معسرین، لكن المتقى المخلص يكون دائماً أحسن حالاً وأكثر احتمالاً، فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر، إذ هو بالتقوى يجد المخلص من كل ضيق، ومن عنابة الله به رزقاً غير محاسب، قال تعالى: ﴿رُزِّقَنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ آتَقْوَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

فصرف جميع القوى التي منحها الله تعالى في الجسد والعمل بهذه الصنائع المذكور يصل المؤمن إلى كل مايكتبه من خير هذه الدنيا إلى جانب خير الدين بحسن الثقة في الله، والاعتماد عليه فالتأثير المترتب على التوكيل الحق هو قضاء المصالح والوصول إلى الرزق كما تصنع الطير بفطرتها .

(١) انظر: للإمام السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، (بيروت: دار الفكر، تط الثانية ١٩٥٨-١٩٤٠ هـ)، (٨/١٤٠).

(٢) المصدر السابق، (٨/٢٠٠).

(٣) أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٥/٧٣٤).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٢.

"فَعِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْأَنْكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوْكِيلِهِ لَوْزَقْتُمْ كَمَا يُوزِقُ الطَّيْرُ تَغْدُو فَمَا صَادَ وَتَرُومُ بَطَانًا" "(١)، نعم إن الطير يسعى مبكرًا للتحصيل قوته بمحض الفطرة، فيخرج من أوكياره جائعاً ويرجع وقد امتلاً جوفه بالطعام، وليس هذا فقط ولكنه يرجع ومعه في حدود إمكاناته قوت فراخه الصغار التي لا تستطيع أن تسعى .

فالمرء المؤمن يعمل لأجل رزقه ومعاشه ويتوكل على الله في ذلك فما الله يرزق من يشاء بغير حساب، وإن رأى المؤمن أن الله لم يوسع عليه في الدنيا فهذا من باب زيادة الابتلاء والامتحان، وإن رأى الوسع على الكافر فهذا من باب الاستدراج، آلا نرى أن الله تعالى وسع الدنيا على قارون وضيقها على أيوب عليه السلام (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُورُنَّ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

فالله تعالى لا يرزق الأمة العزة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تحيط به ولا تقدر ولا تعلم ولا تتدبر، بل هو يعطيها بعملها وطلبها ويسلبها بزللها؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَزَّعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ ﴾ (٤).

كذلك المؤمن يتوكل على الله أن يرزقه الزوجة الصالحة وهو مطلب شرعاً، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَقِينَ إِمَاماً ﴾ (٥).

(١) سبق تخرجه، ص ٣٢ .

(٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ٣، ١٠٥ (١٠/٥).

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٦ .

(٥) سورة الفرقان، آية: ٧٤ .



فباب الدعاء من أبواب السعي والأخذ بالأسباب حتى يكون هناك توكيل حقيقي ولجوء إلى الله تعالى، فالتوكيل على الله في طلب أن يرزق الإنسان المؤمن زوجة صالحة، ويخرج الله من أصلابهم وبطون زوجاتهم ذرية تطيع، وتعبد الله وحده لاشريك له وتحسن العبادة وتطلب الهدایة<sup>(١)</sup>.

فإصابة خير الدنيا من الزوجة الصالحة والذرية وغيرهما، وطلبها بالدعاء والعمل على ذلك من إيتقاء وجه الله في الطاعات، وجعلها في المقدمة؛ لأن الإخلاص عنصر رئيس في قبول الأعمال، وكذلك في قبول الدعاء.

إن دعاء الله تعالى من أبرز الطرق لشحن القلب بالقوة والرقة، وهو جزء من اللجوء إلى الخالق سبحانه؛ وأنه هو مفتاح الخير والتوفيق بعد البذل والجد في العمل الصالح الموفي شروطه لضمان قبوله عند الله تعالى.

وقد أمر رسولنا الكريم أصحابه بالدعاء وحثهم على الحرص عليه والمتصل بأبواب الدعوات في كتب الحديث يجد فيها كنوزاً عظيمة، والقرآن كذلك مليء منها.

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرَدَّا وَأَنَّتِ حَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الْدُّعَاءِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٢٦/٣)؛ ولا بن الجوزي، زاد المسير، ١٠ مجل (بيروت: المكتب الإسلامي، تط الثالثة، ٤١٤٠٤ هـ)، (١١١/٦).

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣٨.

وقد توافقى به السلف الصالح، فمما يرويه مفتى مكة التابعى الجليل عطاء ابن أبي رباح<sup>(١)</sup> عن صاحبه طاوس<sup>(٢)</sup> قوله "قال لي طاوس يا عطاء لاتنزل حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيمة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك"<sup>(٣)</sup>.

فالكل يدعو الله أن يرزقه الولد والذرية الصالحة، فأبو الأنبياء طلبها من الله تعالى ليكون له أولاد مطيعون يعينوه على الدعوة، ويؤنسوه في الغربة، ويكونون عوضاً له، وكذلك زكريا عليه السلام طلب أن يهبه الله ولداً فرئية الأولاد النجاء، مما تشوق نفوس الناظرين إليهم و يجعلهم يتمنون أن يكون لهم مثلهم<sup>(٤)</sup>.

فهناك الكثير من مطالب الحياة الدنيا المشروعة، وهي من مجالات التوكل على الله، ولكن لا يوجد أعظم من طلب الله تعالى في أن يعين على الهدى والثبات بعد توكله عليه سبحانه ليأخذ بيده في استقامة نفسه وإقامة دين الله في الأرض ودفع الفساد وقمع البدع وجihad الكفار والمنافقين والاهتمام بمصالح المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.**

**وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٦)</sup>.**

(١) أبو محمد القرشي عطاء بن أبي رباح توفي سنة ٤١٤هـ وقيل ٤١٥هـ، تذكرة الحفاظ، للذهبي، (٩٨/١).

(٢) أبو عبد الرحمن اليماني الجندي طاوس، توفي سنة ٤١٠هـ بمكة، تهذيب التهذيب لابن حجر، (٤/١٠٠) ترجمة رقم ٣٠٨٩.

(٣) ابن الجوزي ، صفة الصفو ، (٢٨٨/٢).

(٤) انظر : لمصطفى المراغي، تفسيره، (١٤٧/١)، (٦٦/٦)، (٧٢/٨).

(٥) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٦) سورة الملك، آية: ٢٩.

فالآياتان إيماء إلى طلب الخلاص بالإيمان الخالص لله والإخبارات إليه واتباع أمره بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبذل المستطاع في سبيل الحصول على ذلك بالعبادة الحقة، والأخذ بالأسباب، والتوكيل، وبدون ذلك فلن تكون الهدایة، ولا الإيمان، فلنداوم على الإخلاص، وعلى معرفة التوحيد، والامتثال لأوامر الله، وأوامر رسوله، والامتثال بها ومن خلال ذلك يحصل المؤمل من الهدایة والسداد<sup>(١)</sup>. وكذلك طلب الله تعالى والإلحاح في الدعاء أن يبعد الشيطان عنه.

"عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا خوج من بيته فقل: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله" يقال: حينئذ: هديتك وكفيتك ووفيقك فتنجح له الشياطين في يقول له شيطان آخر: كيف لك ب الرجل قد هديك وكفيك ووفي؟"<sup>(٢)</sup>.

فالكل يستطيع أن يتقوى على شيطانه بالتوكيل على الله والتسليم لله بالقدرة والحوال، وبذلك يحصل المرء على الحفظ والمنعنة من الشيطان الرجيم ومن كل وساوسه وخبثه؛ لأن إبليس عدو ظاهر العداوة لبني آدم، لم يلق سلاحه طرفة عين؛ ليتمتع بروؤية أفواج بني آدم تلقى نفسها في المهالك، ويمكن لمن توكل على الله حق توكله أن يتحرز من وسوسته، وسممه القاتل، بمخالفة الهوى، فإذا ما خالف الهوى المؤمن بعد التوكيل على الله، عادت للعقل رجاحته، فيعرف ما يضره مما ينفعه.

كذلك هناك من يطلب من الله العافية وفي الحديث "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله - ﷺ - يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبر": "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وامن روحي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقني وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: للمراغي، تفسير المراغي، (٤/١٠١)، و(٢٤/٠١).

(٢) سبق تخرجه، ص ٢٧.

(٣) أبو داود (٥٠٧٤)؛ وابن ماجه (٣٨٧١)؛ والحاكم (٥١٧/١) ووافقه الذهبي.

فعدم طلب العافية من المضاعفات التي تصيب القلب بالمرض، وما يتبعها من حب الدنيا بكل ماتحمل من زينة وجاذبية.

ولن تأتي هذه العافية إلا بالصدق في العمل والخلوات، مما يؤدي ذلك إلى الامتناع عن اقرار ما يغضب الله تعالى فيتعرض العبد للعافية وعفو الله سبحانه، كذلك العافية لا تأتي إلا بعد اليقين بالله والتوكيل عليه في الحفاظ على الصحة، فالعافية سلاح يتقى بها العبد المؤمن على العمل والسعى في مرضاته الله.

كذلك من مجال التوكيل، التوكيل على الله في طلب النصر، وإقامة شرع الله وهذا مكان من الأنبياء والصالحين، والدعاة إلى يوم الدين.

قال تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَا نَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبْلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا إِذَا يَتَمُّنُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

فالله تعالى قد نصر المسلمين يوم بدر وهم قلة، ونصر المسلمين يوم الخندق وهم محاصرون، والله تعالى قادر على أن ينصر اليوم المسلمين وهم محاصرون من كل حدب وصوب، يهاجمون ويضطهدون في فلسطين، وألبانيا، وكشمير، والفلبين، والشيشان وغيرهم كثير فليس أمامهم سوى باب الله يقرع بالدعاء والقنوت.

قال الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup> :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدرى بما صنع الدعاء

سهام الليل لاتخطئ ولكن لها أمد وللامد الفضاء<sup>(٣)</sup>

(١) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

(٢) أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: لعبدالغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، ص ٢٥، ٣٨، ١٦٣.

(٣) الإمام الشافعي، ديوان الشافعي، صححه وعلق عليه محمد الزعبي (بيروت: دار الجيل تط الثالثة، ١٣٩٢هـ)، ص ١٧.



فينبغي للمؤمن الاستقامة على الجادة ولزومها والسير عليها والاستمرار فيها دون اعوجاج أو انحراف حتى يكون لنا الفلاح بإذن الله، إن عملية الاستقامة لاتتم بحركة ميكانيكية، بل هي معارك، ومجاهدة، وتنقية، مع النفس، والهوى، والشيطان، وعلى مقدار الهم والعزم والثبات يتم الفلاح، وتحتاج عملية المجاهدة والتنقية، وقد مدح الله تعالى نبيه بالاستقامة ومدح المؤمنين المستقيمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتُلُوا رَبِّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقَمُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في حق نبيه ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُو بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

أخيراً فإن أفضل مجال للتوكل على الله هو في إقامة الدين ورفع الظلم عن الناس، والبشر متفاوتون في توكلهم حسب المقاصد والأمانى، وبالله تعالى الكلاة وال توفيق.

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) سورة هود، آية: ١١٢.

## الفصل الرابع

**بوعاث التوكل على الله تعالى**

وفييه :

تمهيد .

**المبحث الأول:** رسوم مهانة أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس.

**المبحث الثاني:** حسن ظن المؤمن بربه وإعتماده عليه.

**المبحث الثالث:** استسلام العبد وافتقاره لله سبحانه وتعالى .

**المبحث الرابع:** حسن جزاء المตوكلين .

## الفصل الرابع

### بواعث التوكل على الله تعالى

**التمهيد :**

إن لكل سلوك وخلق يقوم به الإنسان دوافعه وبواعثه، فمنها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، ولكن مانحن بصدده الكلام عنه له دوافعه المحمودة، فالتوكل على الله من الأخلاق التي لا تكتسب إلا ببواعث لها أساس في شخصية العبد المتوكلاً.

والتوكل عبادة الله، إذ هو سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بمعونته، وعبادته لاتأتي إلا بالمعرفة الحقة، وذلك برسوخ معنى الألوهية والربوبية ورسوخ معاني أسمائه، وأفعاله في النفس المؤمنة، وكذلك استسلام العبد وافتقاره لله عز وجل وكمال إنقياده، وخضوعه لله سبحانه وتعالى، وحسن ظنه بربه وإنابته له، ولأننسى ماأعده الله تعالى من حسن ثواب وجزاء للمتوكلين.

والقرآن لم يترك لهذا الخلق العظيم جانباً إلا بحثه، وبهذا فإن أساس كل شيء الإيمان الصادق القوي، وهو الدافع إلى المكرمات، وصاحبها يكتسب الخلق القويم حتماً.

فسبحانه لا يدعو إلى خير أو ينفر من شر إلا وجعل ذلك من مقتضى الإيمان المستقر في القلوب، فالتوكل على الله وغيره من الأخلاق التي شرعاها الإسلام هي طاعات صادرة من الإسلام وشرعه، فهي مدارج الكمال وروافد تصور العبد المؤمن؛ لذلك أعطيت منزلة كبيرة في دين الله، والتوكل له منزلته ومقامه.

ومابواعثه التالية الذكر إلا وتدل على أنها لها قيمتها العالية، وقيمة العمل ترجع قبل كل شيء إلى طبيعة البواعث التي تم خضبته عنده، وهذه البواعث ماهي إلا توجيه ومضي للأولياء والمؤمنين على السير وفق البواعث لينال المرء المنشود منها<sup>(١)</sup>.

(١) انظر : للأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، باب الباء، ص ٥٠-٥١؛ ولأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق، محمد باسل عيون السوط (بيروت: دار الكتب العلمية، نـ١٤١٧ـ٢٥٠/١).



## المبحث الأول

### رسوخ معاني أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس

إن الله تعالى أسماء وصفات كلها حسنة، وأوصافه، وأسماؤه كلها كمال فهو سبحانه ممزود، عما يضاد صفات كماله، وأسمائه الحسنة.

ومنهج السلف الصالح في أسماء الله تعالى وصفاته : هو الإيمان بها كما أخبر الله، وكما أخبر بها رسوله ﷺ ، وذلك على مراد الله تعالى، وبالوجه الذي يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، مع الإيمان بأن الله تعالى لا يشابهه أحدا من خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فالإيمان بالأسماء والصفات من التوحيد القولي، والاعتقادي المتعلق بأعمال القلوب .

فرسوخ معاني أسماء الله، وصفاته في نفس المؤمن يجعله يتبع الله بها فسبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup>. "أي ليس كمثله شيء في شأن من الشئون التي من جملتها هذا التدبير ..... المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر"<sup>(٢)</sup>.

إن توحيد الأسماء والصفات هو روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله، وصفاته ازداد إيمانه وراسخ، وقوي يقينه، فينبعي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تكييف. بل تكون المعرفة والرسوخ لمعانيها ومحتوياتها متلقاء من الكتاب والسنة، وماروا عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان .

وبهذا فعندما يمر المؤمن بأسماء الله، وصفاته على وفق ما أشرنا إليه يحصل الرسوخ، وتحصل المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمان، فمثلا: على

(١) سورة الشورى، آية: ١١ .

(٢) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (٥٢٢/٥).

العبد أن يعلم أن لا إله إلا الله "فاسم "الله" دال على جميع الأسماء الحسنة والصفات العليا"<sup>(١)</sup>.

واسم "الله" دال على كونه معبوداً تأله الخالق تعظيمًا وخصوصاً، وفرعاً إليه في الحاجات، والنواب، وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ارتبط فيها اسم "الله" بخلق التوكل على الله؛ الذي يستلزم كمال ربوبيته، وألوهيته.

**قال تعالى:** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>. أتوكل على الملك العظيم مالك (العرش العظيم) الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: "عليه توكل يفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه وهو رب العرش العظيم، والسبب في تخصيصه للعرش بالذكر؛ أنه كلما كانت الآثار أعظم، وأكرم، كان ظهور جلاله المؤثر في العقل والخاطر أعظم؛ ولما كان أعظم الأجسام هو العرش كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه<sup>(٤)</sup>. فالعلة في التوكل على الله أنه منزل الأحكام والمقادير صاحب الملك العظيم والعرش العظيم.

وقد بين الرسول ﷺ عظم هذا العرش بالنسبة للسموات وبالنسبة ل الكرسي "ما السموات السبع في الكرسي إلا حلقة ملقة في فلة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلة على تلك الحلقة"<sup>(٥)</sup>.

**وقال تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿الَّذِي يَرَنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجْدَاتِ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٤١/١).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

(٣) انظر: أبوالسعود، المصدر السابق، (٤٦٠/٢).

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج ٨ (ج ١٦، ص ٢٤٣-٢٤٤).

(٥) رواه الإمام البيهقي في "الأسماء والصفات"؛ وابن أبي شيبة، قال الألباني في الصحيحية: حديث صحيح بطرقه.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٧-٢٢٠.

فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ رَسُولَهُ بِالتَّوْكِلِ عَلَيْهِ وَتَوْطِينِ قَلْبِهِ عَلَى التَّوْكِلِ وَذَلِكَ لِمَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَهُ بِعِلْمِهِ بِحَالَةِ الْمُكْرَبَةِ الَّتِي بِهَا يَسْتَأْهِلُ وَلَا يَتَّهِبُ بَعْدَ أَنْ عَبَرَ عَنْهُ بِمَا يَنْبَيُءُ عَنْ قَهْرِ أَعْدَائِهِ وَنَصْرِ أُولَيَّاهُ مِنْ وَصْفِيِّ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>.

فَـ"التَّوْكِلُ عَبَارَةٌ عَنْ تَفْوِيضِ الرَّجُلِ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ أَمْرَهُ وَيُقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَقَوْلُهُ "الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"؛ أَيُّ الَّذِي يَقْهَرُ أَعْدَاءَكَ بِعَزْتِهِ، وَيُنْصِرُكَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ؛ لَمَّا أَرَاكَ فِيهِ مِنَ التَّقْلِبِ، وَالْتَّهْجِدِ، وَظُلْبِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ بِالْحَاجَةِ فِي الدُّعَاءِ"<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْآيَةِ "عَلَقَ التَّوْكِلُ بِالْأَسْمَيْنِ" "الْعَزِيزُ، وَالرَّحِيمُ" مَا تَبَعَّهُمَا مِنَ الْوَصْفِ الْمُوَصَّلِ وَمَا ذِيلُهُ بِهِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهُ يَلَاحِظُ قَوْلَهُ، وَيَعْلَمُ نِيَّتَهُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ التَّوْكِلَ عَلَى اللَّهِ يَأْتِي بِمَا أَوْمَأَتِ إِلَيْهِ هَذِهِ الصَّفَاتُ وَمَسْتَبِعَاتِهَا بِوَصْفِ (الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) لِإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ بِعَزْتِهِ قَادِرٌ عَلَى تَغْلِبِهِ عَلَى عَدُوِّهِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَنَّهُ بِرَحْمَتِهِ يَعْصُمُهُمْ مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup>.  
فَهُوَ سَبَّانُهُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُهُ الْعِبَادُ وَيَدْبِرُونَهُ، وَعَالَمٌ بِمَا أَضْمَرُوهُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًا فَشَرٌ، فَيَنْبَغِي التَّوْكِلُ وَتَقْوِيَّةُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ سَبَّانُهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَنَا عَلَى السَّلَامَةِ<sup>(٥)</sup>.

فَمَتَى عَلِمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ لَهُ رَبًا يَسْمَعُ، وَيَعْلَمُ، وَيَحِيطُ بِكُلِّ أَمْرِهِ، وَلَا يَتَرَكُهُ طَرْفَةُ عَيْنٍ، وَمِرَاقبَتَهُ الدَّائِمَةُ، كَانَ ذَلِكَ دَافِعًا، وَيَقِينًا قَوِيًّا وَعَزِيمَةً فَتِيَّةً لِلْإِصْرَارِ

(١) انظر: أبوالسعود، المصدر نفسه، (٤/١٨٢).

(٢) انظر: للإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مجلد ١٢، ج ٢٤، ص ١٧٣.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، (١٨-١٩/٢٠٤).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦١.

(٥) انظر لوهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٦ مجلد (بيروت: دار الفكر المعاصر؛ دمشق: دار الفكر نظر الأولى ١٤١١هـ)، (٩-٦٠).



على المضي في التوكل، والثبات عليه والتمسك به، فلا يخشى المؤمن بذلك ظلم ظالم، ولا يطش باطش لأنه يستشعر نظر الله إليه في كل أمر له أو عليه، ومعيته سبحانه، وعلمه، وبهذا يتحول ما يلقاه المؤمن من العقوبات والصعاب، والمشاق، والعنت إلى تلذذ واستعداد. محاسب ذلك كله عند ربه.

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنِ فَسُئَلَ بِهِ خَبِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

الله تعالى " حقيق بأن يتوكلا عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكلا عليهم ..... وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالصفة الأبدية التي هي من الصفات الذاتية والإشارة إلى إتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فإن من أنشأ هذه الأجرام العظام ..... مع كمال قدرته على إبداعها دفعه لحكم جليلة وغایات جميلة ..... أحق من يتوكلا عليه وأولى من يفوض الأمر إليه" <sup>(٢)</sup> .

" فالحي الذي لا يموت" هو الله تعالى، وعدل عن اسم الجلال إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكلا عليه؛ لأنه الدائم، فيفيد ذلك معنى حصر التوكلا في الكون عليه، فالتعريف في (الحي) أي الكامل حياته لأنها واجبة باقية ومستمرة، وحياة غير معرضة للزوال بالموت، ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض لاختلال وللانحراف، وفي ذكر الوصفين تعريض للمشركين إذ ناطوا آمالهم بالأصنام وهي

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٨-٥٩ .

(٢) أبوالسعود، المصدر السابق، (٤/٦٤).

أموات غير أحياء، وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله؛ لأن التوكل على الأحياء المعرضين للموت، وإن كان قد يفيد أحياناً لكنه لا يدوم<sup>(١)</sup>.

فسبحانه حي كامل الحياة، فإيمان المؤمن بهاتين الصفتين خير معين على التصبر على ما يتجرع من ألوان البطش وال العذاب.

وقال تعالى : « قُلْ هُوَ الْرَّحْمَنُ عَامَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَنَا »<sup>(٢)</sup>. إن "في ذكر الرحمن هنا إشارة إلى أن أهل الإيمان مرحومون، وأن فعل الله بالمؤمنين دائمًا محفوف بالرحمة"<sup>(٣)</sup>، وذكر اسم الرحمن هنا "أكَد لَهُمْ حَصْوَلَ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لِإِيمَانِهِمْ، وَتَوْكِلَهُمْ عَلَيْهِ خاصَّةً"<sup>(٤)</sup>.

فالرحمن اسم يدل على اتصف الرحمن بالرحمة، والبر، والجود، والكرم وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود، وخاص المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر والأكمـل.

قال تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّا غَلِيلَ ظَالِمٍ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »<sup>(٥)</sup>.

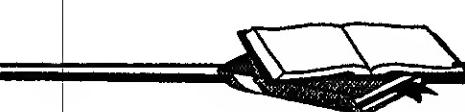
(١) انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨-١٩/٥٩).

(٢) سورة الملك، آية: ٢٩.

(٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (١٠/٦٠٣).

(٤) انظر: للألوسي، روح المعاني، (٢٩-٣٠/٢٢).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.



وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَأْقُومٌ إِن كُنْتُمْ أَمَنَّتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَنَا رَبَّنَا لَا نَجْعَلُنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَأْقُومٌ أَرَعَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَأْبَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ حُكْمُ الْأَمْرِ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبُّلَنَا وَلَنَصِيرَ بَرَّ عَلَى مَا إِذَا تُمُونُوا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وفي الآيات السابقة سبق لفظ الجلاله (الله) لفظ (التوكل) لأن "الألوهية" جامدة لصفات الكمال مستدع للتوكل عليه سبحانه أو الأمر به<sup>(٥)</sup>، فالصلة في سورة آل عمران مثلا:

- نتوكل عليه سبحانه لننا محبته ورضاه .

(١) سورة يونس، آية ٨٤-٨٥.

(٢) سورة هود، آية ٨٨ .

(٣) سورة يوسف، آية ٦٧ .

(٤) سورة إبراهيم، آية ١٢ .

(٥) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (٤٣٩/١).



وفي سورة يونس:

- نتوكل عليه إن كنا قد حققنا مسمى الإيمان والإسلام في أنفسنا.

وفي سورة هود:

- علة التوكل ظاهرة حتى يلزمنا التوفيق والسداد.

وفي سورة يوسف :

- إن كان جميع الأحكام والتدابير منه سبحانه فلما لانتوكل عليه فهو الحاكم والمدبر لجميع الأمور.

وفي سورة إبراهيم:

- لننال الهدى ونمنتلي الصبر فعلينا التوكل عليه سبحانه.

ففي كل الآيات السابقة فيها نتذوق اسم الله تعالى وتعليق التوكل عليه لأنه قد فعل بنا ما يوجب ويستدعي التوكل عليه سبحانه<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه، (١٨٣/٣).

(٢) سورة هود، آية ٥٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣٠.



وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ففي الآيات معاني وعلل للتوكل عليه سبحانه، فالرب هو المربi جميع عباده، بالتدبر، وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم وفي كلمة **الرب** معاني الإقبال على الله تعالى الذي يرجى منه الخير، ويترقب حصوله، وانتظاره، ممن يملأه ويقدر على تحقيقه، فهو وحده ربنا لامفزع لنا في الشدائـد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا يرجى سواه، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكـل إلا عليه؛ لأنـ من نرجوه، ونخافـه، ونخضعـ لهـ، ونـ توـكـلـ عـلـيـهـ إـمـاـ أنـ يـكـونـ مـرـبـيـاـ وـقـيمـاـ بـالـأـمـورـ،ـ وـمـتـولـيـ الشـؤـونـ،ـ أوـ أنـ نـكـونـ لـهـ مـمـلـوكـيـنـ وـعـبـيدـاـ،ـ أوـ يـكـونـ مـعـبـودـاـ لـانـسـتـغـنـيـ عنـهـ طـرـفةـ عـيـنـ فـمـنـ كـذـلـكـ،ـ فـهـوـ جـديـرـ أـنـ لـاـ يـسـتـعـاذـ إـلـاـ بـهـ،ـ وـلـاـ يـسـتـصـرـ بـسـواـهـ وـلـاـ لـجـأـ إـلـىـ حـمـاهـ فـهـوـ الـكـافـيـ،ـ وـالـنـاصـرـ،ـ وـالـوـلـيـ،ـ وـالـمـتـولـيـ لـجـمـيعـ الـأـمـورـ بـرـبـوبـيـتـهـ،ـ وـمـلـكـهـ،ـ وـأـلـوـهـيـتـهـ،ـ فـكـيـفـ لـاـ يـلـتـجـيـءـ الـعـبـدـ الـمـؤـمـنـ عـنـ النـوـازـلـ إـلـىـ رـبـهـ،ـ وـمـالـكـهـ،ـ وـإـلـهـهـ<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النحل، آية: ٤٢.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٠.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٦.

(٤) سورة المتحنة، آية: ٤.

(٥) ابن قيم الجوزيـهـ،ـ بـدـائـعـ الـفـوـائدـ،ـ (ـبـيـرـوـتـ)،ـ دـارـ الـكتـابـ الـعـرـبـيـ،ـ بـدـونـ تـطـ)،ـ (ـ٢ـ٤ـ٨ـ/ـ٢ـ).

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٢٢.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوْكَلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوْكَلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي الآيات ذكر اسم (الله) هنا، وهو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، ففي آية آل عمران دليل صريح على أن التوكل على الله من الإيمان وفي نفس السورة من آية أخرى بيان خلق من أخلاق النبي - ﷺ - يقصد به الاقتداء؛ لأنه الأسوة الحسنة، وهو القائد والهادي بالقول والفعل والصفات<sup>(٣)</sup>، وفي الآيات تقديم للجار والمحرر؛ ليفيد الحصر في معرض التذكير بالمتاخرين رغبة في التأسي بالسابق والقيام بما جاء به الدين، وأنه يحدث لكم كما حدث لأولئك الكلمة المتوكلين مع سيد المرسلين أيام ضعفهم وقلتهم، وفقرهم، وتالب الناس كلهم عليهم<sup>(٤)</sup>.

فالآيات فيها حث وترغيب في التوكل على الله على فعل شيء مرغوب به شرعاً، وينبغي على المؤمن أن لا ييأس، وعليه أن يتذكر أن الله، وليه فلا ناصر سواه، ويلزم من ذلك الاستمرارية والديمومة على التوكل، ويؤمن ، ويصدق أن الذي له من صفات الجلال والعظمة والكمال، يستحق أن يكون التوكل له، لأن كل شيء مرده إلى الله، له الخلق والأمر. فينبغي الإيمان بأنه رب لا إله غيره؛ فالآيات حض "على ألا تتوكل إلا عليه وألا نفوض أمرنا إلا إليه"<sup>(٥)</sup>. فمن الثابت للمؤمن وببيقنه، وعلمه، يتأكد له أن التوكل محقق لأمرتين مهمتين:

أحدهما : محبة الله للعبد المؤمن .

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٢) سورة المائدة، آية: ١١.

(٣) انظر: لأبي حيان الأندلسى، البحر المحيط، امتحان (دار الفكر تط الثانية ١٣٩٨ـ)، (٣-٤/١٤٤-١٤٣).

(٤) انظر: للمراغي، تفسير المراغي، (٢/٧١).

(٥) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (٢/٨٦٩).



ثانيهما : كفاية الرحمن للعبد المؤمن .

فالتوكل عليه سبحانه لا يأتي إلا بمن وثق في أنه حق، ومن كان على الحق، يحق له أن يثق بالله، فإنه ينصره، ولا يخذله. فحق العبد المؤمن أن يداوم على التوكل على الله، وتخصيصه لله لا لغيره؛ ففي كل سورة ذكرت التوكل، وفي كل آية خصت المؤمنين بالتوكل، كان لها رصيد من التجارب، والحقائق، والتوجيهات التي لاتقدر بثمن؛ وما ذلك إلا لتقرير شريعة ومنهج الله سبحانه في صورة واقعية حية.

"فالتوكل على الله من أعلى مقامات التوحيد، فإن من كان موقفنا بأن ربه هو المدير لأموره، وأمور العالم كلها، لا يمكن أن يكل شيئاً منها إلى غيره"<sup>(١)</sup>.

إذن التوكل على الله من لوازم الإيمان به. كما أشرنا سابقاً. بل هو من الإيمان في الصميم؛ لأن مفهومه داخل فيه، لا يخرج عنه، ولا ينفك عنه؛ لذلك فإن رسول معاذ الله وصفاته في قلب العبد المؤمن للزمه أن لا يقدم إلا على ما يرضي رب عز وجل، فيأمر نفسه بالمعروف، وينهاها عن المنكر، ويلزم نفسه، إلا يسمع، ويرى رب منه، إلا ما يرضيه من قول أو عمل فيبصره حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه .

(١) انظر : لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٥٩٣/٩).

## المبحث الثاني

### حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه

حسن الظن بالله والاعتماد والثقة به سبحانه تتحقق بامتلاء قلب المؤمن بالظنون الحسنة حتى يستولي ذلك على لسانه وجوارحه.

فالقلب المؤمن إذا قرب من الله، كان تأقيه من الله بحسب قربه منه، وبذلك يكون له قلب طاهر صاف منزه عن الأدناس، ويغلب على القلب النور، فيفيض على الأركان؛ لذلك على المؤمن أن يكون حسن ظنه بربه، وخلقه نابعاً من مقدار معرفته به سبحانه جل جلاله، فالله تعالى هو معتمدنا، ونقتا، وهو الحكم فإذا حكم بحكم وقضى أمرًا فلا مرد له.

"فمن كان مقبلاً على شأنه متوكلاً على خالقه يعلم أنه لا يجلب الخير سواه، ولا يصرف السوء إلا إياه، فليكن جليسك، وأنيسك وموضع توكلك وش��اك، فإن ضعف بصرك فاستغث به، وإن قل يقينك فسله القوة"<sup>(١)</sup>.

فالمؤمن يحسن ظنه بربه، ويعتمد عليه في النصر، والرزق، والشفاء، وفي تسهيل الصعاب من أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام ابن الجوزي، صيد الخاطر، حققه وراجعه علي الطنطاوي ، وناجي الطنطاوي، (بيروت: دار الفكر نط ١٤٠٧هـ)، ص ٣٧١ باب رقم ٣٣٤ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الَّنَّاسُ إِنَّ الَّنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآيات السابقة جميعها تحت على التوكل على الرب سبحانه مع حسن الظن به؛ لنزال المنشود والمرغوب عاجلاً أو آجلاً، فرسولنا الكريم - ﷺ - لنا في غزوته وماركه دروس مستفادة، فهذه غزوة أحد "تعلمنا أن نسلم أمرنا لله، وأن نتوكل عليه، وألا نخالف أمره، ومن ثم أمرنا سبحانه ألا نتوكل إلا عليه، وألا نفوض أمرنا إلا إليه"<sup>(٢)</sup>.

فالله سبحانه قد كفى المؤمنين، وأعانهم، وعصمهم من وقوع ما يضرهم، في دينهم ودنياهم فمحسن الظن يسأل، ويطلب ربه، ويسأله من فضله، وأحب ما إلى الجواب: أن يرجى، ويؤمل، ويُسأل، وهو متعلق بذلك السائل بأسمائه متعبد بها، داع بها؛ لذلك ينبغي لنا الاعتماد على حول الله وقوته متبرئون من حولنا وقوتنا لضمان النصر، والغلبة، والفلاح.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَلْوُتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبَتَّلِيْكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْتَرَ فَغُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ الْأَقْلَيْلَ مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاءَ زَهْرَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فَئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والمعنى في الآية : أن حال المؤمنين المتيقنين لقاء الله تعالى ويتوقعون ثوابه هم الثابتون لمحاربة الأعداء ومقاومتهم، فمشيئة الله تعالى حكمت بالغلبة للمؤمنين

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٢) انظر: لسعيد حوى ، الأساس في التفسير، (٨٦٨/٢).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

فقد قالوا قولهم " قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله ... " تتميما لجوابهم، وتأييدا له بطريق الاعتراض التذيلي تشجيعا لأصحابهم، وتبنيتا لهم على الصبر المؤدي إلى الغلبة، وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم ؛ والمعنى : قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبي أو من جهة التابوت والسكينة أنهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فتنة قليلة غابت فتنة كثيرة باذن الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فظنهم هذا من باب يقينهم لا عيانا بل يقين تدبر ، وهم بذلك وصفوا بالأعلون إيمانا<sup>(٢)</sup>.

فإله قد كفل لعباده الرزق والمعيشة من ملك ورياسة، وأموال، وبنين، وصحة، وعافية بدنية، هذا لمن جمع بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة، والباطنة وبين التوكل الذي هو الآلة لكل عمل، والوسيلة فكل عمل لا يصحبه التوكل، فغير تام، فالله تعالى يسوق الرزق للمتقى، من وجه لا يحتسبه، ولا يشعر به، في أمر دينه، ودنياه، فعلى المؤمن أن يعتمد ويحسن الظن بالله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك.

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن متاع الدنيا من مظاهر حكمة الله في خلقه، فلا ينبغي التفاخر به وكل متاع في الدنيا أيام قليلة تتقضى، وتذهب. لا يعلم ذلك إلا الموحدون المتوكلون على ربهم، فالإمداد بالرزق يخضع لحكمة ومشيئة يعلمها الخالق سبحانه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم ...، (٢٨٣/١).

(٢) انظر: للألوسي، روح المعاني، (١٧١/٢-١).

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٦.

(٤) وله الزحيلي، التفسير المنير، (٢٥-٢٦ / ٧٥-٧٧).

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغُنَ أَجْلَهُنَ فَأَمْسِكُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهُدُوا أُذُونَ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلَغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى المراد من الآية: أن " الإيمان بالله واليوم الآخر يوجب لصاحبه أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة، ما يمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان من قلبه، فإنه لا يبالى بما أقدم عليه من الشر، ولا يعظم مواعظ الله، لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم أمر تعالى بتقواه .... فإذا أراد العبد الطلاق وفعله على الوجه الشرعي فالله تعالى يجعل له فرجاً ومخرجاً من كل شدة ومشقة وآلية وإن كانت في سياق الطلاق والرجعية، فإن العبرة بعموم اللفظ وكل من اتقى الله ولازم مرضاته في جميع أحواله، فإن الله يثبيه في الدنيا والآخرة - فيسوق الله الرزق للمتقى، من وجه لا يحتسبه، ولا يشعر به في أمر دينه ودنياه بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويتحقق به في تسهيل ذلك فالله كافية الأمر الذي توكل عليه فيه وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي، العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية، اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له فلا بد من نفوذ قضائه وقدره<sup>(٢)</sup>.

فالآلية { وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا } دليل على وجوب التوكل على الله وتقويض الأمر إليه مع بيان السبب والحكمة، فكل من يتوكل على الله

(١) سورة الطلاق، آية: ٢ - ٣.

(٢) انظر: السعدي، التيسير، (٥٩٥-٦٢٠).



ويفرض الأمر إليه كفاحاً ماأهمه لاسيما أن هم الطلاق هم عظيم، ومايتبغى من نفقه، وخلاف ذلك فسواء من توكل عليه ومن لم يتوكلاً لاينبغى عليه إهمال اتخاذ الأسباب.

وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى: "رزقكم من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، فإنه ينزل من عند الله كسائر الأقدار، فهذه السماء من شمس ، وقمر ، وكواكب ، ومطالع ، ومغارب التي تختلف بها الفصول، التي يكون تغيرها مناسباً لأنواع النباتات المختلفة التي تسقى بماء الأمطار، وتسوقها الرياح، وتغذيها الشمس بحرارتها - التمثيل الغذائي - ويعطيها نور القمر قوة ونمواً ونضوجاً"<sup>(٢)</sup>، فسبحان الرزاق الكريم الكبير.

إن محسن الظن بالله تعالى مطمئنة نفسه إلى خالقه، ومدبره إلى ماوعد الله فيسلم نفسه ويرضى ولايسخط وهو يرى، أن النملة رازقتها، وكالثها، خالقها سبحانه حلت قدرته فكيف به وهو من فضله الله تعالى على جميع مخلوقاته، وبهذا يزداد المؤمن رضى وثقة بكلاء الله عز وجل له.

"عن البراء قال: أشتري أبوبكر رضي الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً ف قال أبوبكر لعاذب: مر البراء فليحمل إلى رحلي، فقال عاذب: لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجنا من مكة والمشركون يطلبونكم قال: أرتحنا من مكة فأحربينا أو سرينا. ليتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت بيصري هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويتها، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: أضطجع يأنبى الله، فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت انظر ما حولي: هل أرى من الطلب

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٢ .

(٢) و به الزحيلي. التفسير المنير، ج ٢٧-٢٨، ص ١٩ .



أحدا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمته إلى الصخرة، يريد منها الذي أرداها، فسألته فقلت له، لمن أنت ياغلام؟ فقال لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمته، ثم أمرته أن ينفخ ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفخ كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها حرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، قال: بل فارتلنا القوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشن على فرش له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا<sup>(١)</sup>.

فهذا رسولنا الكريم - ﷺ - خرج هو و الخليفة المسلمين، لا يملكان شيئاً من الدنيا، لا يملكان سوى الإيمان والثقة بالله، وحسن الظن به وبوعده سبحانه، فكانوا المثل التطبيقي الحي في الثقة وحسن الظن بالله تعالى والتوكيل عليه.

ومن قبل مريم ابنة عمران والله وكيلها وكافلها في أمورها وشؤونها.

قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَأْمَرِيمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

"إن هذا الرزق المبارك يفيض من حولها لبركتها حتى ليعجب كافلها - وهونبي- من فيض الرزق، فيسألها: كيف ومن أين هذا كله؟

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، لابن حجر، (٩/٧) ح (٣٦٥٢) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

فلا تزيد على أن تقول في خشوع المؤمن، وتواضعه، واعترافه بنعمة الله، وفضله، وتفويض الأمر إليه كله: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربِّه، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبين الله، والتواضع في الحديث عن هذا السر، لا التنفج به والمباهاة! كما أن ذكره هذه الظاهرة غير المألوفة التي تشير عجب نبي الله زكريا<sup>(١)</sup> الذي سخره الله تعالى ليكفلها ويلزم نفسه لتربيتها التربية الصالحة، قال تعالى: {وكفلها زكريا}.

فمريم عليها السلام، أحسنت الظن بربها وواثقت وأيقنت أن الله عز وجل كالثناها، وحافظها، ورازقها؛ لأنها من بيت اتسم بالعبودية الخالصة لله تعالى والتوجه إليه بالكلية، وتجرد من كل ما لا يرضي الله به ويقبله، فهي بذلك كانت ممن شمله الحديث المروي "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هروله"<sup>(٢)</sup>، كيف لا تكون مشمولة في الحديث وهي العابدة الناسكة في المحراب، سليمة القلب، الظاهرة العفيفة، محسنة الظن بالله، وقد أنت بذلك لمعرفتها بقدر الله، ومدى رحمته، فيقينها أوصلها بربها، فزادها قربا، وحبا، وعزه، ورفعه وتوكله عليه، " فالله تعالى يرزق من يريد رزقه بما لا يعرف مقداره لأنه موكول إلى فضل الله"<sup>(٣)</sup>، فالمؤمن لن يدرك حقيقة حسن الظن بالله إلا بعد أن يرى ثمراته ويسعد بها "حسن الظن لقاح الإيمان، فإذا اجتمع الإيمان وحسن الظن أثمرا العمل الصالح، وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٨٧/١).

(٢) صحيح البخاري، (٥٢٨/٨) ح رقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد واللفظ له؛ ومسلم ح (٦٧٥)، (٤/٢٦١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) انظر: للطاهر بن عاشور، التنوير والتحرير، مج (٣-٤/٢٣٧).

(٤) انظر: لابن قيم الجوزي، الفوائد، ص ٢٥٦.

نعم إن حسن الظن يزيد وينمي الإيمان، وينتتج عنهما الثمار الطيبة العبة، فلابد من اللقاء الجيد، وهو الافتقار إلى ذات الله تعالى ولنعلم أننا مضطرون للالتجاء إليه سبحانه، فحسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة، مما من عبد مؤمن يحسن الظن بالله عز وجل إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك لأن الخير منه وإليه سبحانه "فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله"<sup>(١)</sup>.

"وحسن الظن كذلك إن حمل على العمل وحث عليه ساق إليه فهو صحيح، وحسن الظن: هو رجاء بالله تعالى فمن كان رجاؤه هاديا له إلى الطاعة وزاجرا له عن المعصية: فهو رجاء صحيح، والرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعيه، وقدره، وثوابه، وكرامته، فيأتي العبد بها، ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصولة إلى ماينفعه ويضرب عما يعارضها، ويبطل أثرها"<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى يعلم من النفس استيقانها، من نبل، وطهارة القصد فينفذ مشيئته الخيرة لعلمه بالنية الطيبة، والعزم على الطاعة، والتوجه إلى الله في خلوص، وماحسن الظن إلا برهان على سلامة القلب وطهارة النفس، فمن جمع وقرن بين التوكل وحسن الظن بالله فقد ينعم ويحظى صاحبه بمحبة الرحمن، ويتحقق له مزية مزيكمال الإيمان، وعلامة حسن الخاتمة للأعمال.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (١٢٦/٢).  
(٢) انظر: لابن القيم، الداء والدواء، تقديم محمد غازي، (جده: دار المدنى، تط ٤٠٣)، ص ٥٥-٥٤.

## المبحث الثالث

### استسلام العبد وطمأنينته وافتقاره لله سبحانه وتعالى

الاستسلام تذلل وخضوع، وإظهار القبول لطاعة الله، والإذعان لأمره ولما آتى به محمد - ﷺ .

وما سمي المسلم مسلماً إلا لخضوع جوارحه لطاعة ربها الخالق عز وجل، فمشهد الخضوع والافتقار، والتواضع لرب العزة والجلال ضرورة، فسبحانه بيده الصلاح، والفلاح، والهداية، والسعادة.

واستسلام العبد لا يكون إلا باستسلام القلب، واللسان، والجوارح " فكل من سلم لله، واستسلم له وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له ... فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى ولية مولاها" <sup>(١)</sup>.

فأصل الاستسلام إستقامة القلب على التوحيد، قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إَمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقٌّ تُقَاتِلُهُ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

فعلى العبد أن يقوم بواجبه تجاه ربها الخالق فيتقىء حق تقواه حتى يتمكن من الثبات على الإسلام، وهو مخلص مفوض أمره إلى الله سبحانه <sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٣٢/٢).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨٣.

(٤) انظر: للخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٣٩١/١)؛ والشوكاني، فتح القدير، (٣٦٧/١).

قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

"تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم يقال سلم الأمر لله وأسلم له بمعنى وحقيقة سلم نفسه له وأسلمه إذا جعلها سالمه له خالصة أي ينقادون لحكمك إنقياد الأشباه فيه بظاهرهم وباطنهم"<sup>(٢)</sup>.

وفي التسليم، والثقة، والتقويض : ما في التوكل من العلل؛ وهو من أعلى درجات سبل العامة، ولا يكون الاستسلام إلا باشراع الصدر، وطمأنينة النفس، والانقياد بالظاهر والباطن، والعمل على قدر القوة، والاشغال بما ثبت لله تعالى من حكم، فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج، في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها<sup>(٣)</sup>.

"فلا يكفي الإيمان، مالم يصحبه الرضى النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب، والجناح في إطمئنان"<sup>(٤)</sup>.

ففي قصة أم موسى عبر مستفادة ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خَفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنْيَ إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

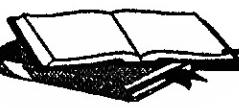
(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥٤٥/١).

(٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (١٥٣/٢)؛ وللسعدى، تيسير الكريم الرحمن...، (٣٩٦-٣٩٧/١).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٦٩٧/٢).

(٥) سورة الفصل، آية: ٧.



لقد عرفت الله سبحانه فانقادت، واستسلمت وما ذاك إلا عين ثقتها بالله تعالى،  
إذ لو لا كمال ثقتها بربها لما ألت بولدها في اليم تتلاعب به أمواجه.

"فالثقة بالله هو خلاصة التوكل ولبه..... والتفويض: ألطاف إشارة،

وأوسع معنى من التوكل، فإن التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض

قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام والتوكيل شعبة منه"<sup>(١)</sup>.

قال تعالى ﴿ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أتوكل على الحي لا إله إلا هو وأستعين به وأسلم أمري إليه فلا مرد من الله إلا  
إليه سبحانه، فسبحان المتصرف بخلقه ليبلو صبرهم واستسلامهم، ويظهر معاذنهم،  
وجواهرهم في الابلاء.

قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ هُوَ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإخلاص العبادة والدين لله والخضوع والتواضع له هي من أصل الإسلام؛  
لأن إسلام النفس لطاعة الله لا يكون إلا بالانقياد والخضوع وإذلال النفس في طاعته  
وتتجنب معاصيه، وفي ذلك دلالة على أن المرء لا ينتفع بعمله إلا إذا فعله على وجه  
ال العبادة والإخلاص والقربة<sup>(٤)</sup>.

وظاهر الآية فيه معنى إسلام الوجه لله تعالى بتوحيده بالعبادة والإخلاص له  
في العمل، بأن لا يجعل بينه وبين الله سبحانه وسطاء يقربونه إليه زلفى، فإنه أقرب  
من حبل الوريد.

(١) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (١٤٣-١٤٩/٢).

(٢) سورة غافر، آية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١١٢.

(٤) انظر: للبغوي، معلم التزيل، (١/٤٠).



ومن هنا تقرر قاعدة من أخلص ذاته كلها لله، ووجه مشاعره كلها إليه، وخلص الله في مقابل خلوص الآخر، فهنا تبرز سمة الإسلام الأولى: إسلام الوجه.

والوجه رمز على الكل، ولفظ أسلم بمعنى الاستسلام والتسليم. الاستسلام المعنوي، والتسليم العملي، ومع هذا فلابد من العقيدة والعمل، بين الإيمان القلبي، والإحسان العملي، وبذلك تستabil العقيدة منهجاً للحياة كلها، وبذلك تتوحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها، وبذلك يستحق المؤمن هذا العطاء كله { فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ويكون الاستسلام كذلك بالفعل الحسن الممدوح لا بالفعل القبيح المذموم<sup>(١)</sup>.

فكل من أسلم واستسلم الله كان له من الأجر والرحمة الكثير، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ آلَّذِينَ إِذَا أَصَبَّتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآية الكريمة توطين للنفس على احتمال المكاره بعد أن يكون المرء متوكلاً على الله في أعماله، وترك كل شيء بعد العمل لتجري الأمور حسب مقادير، ومشيئة الله تعالى، إن في التوكل على الله يأتي معنى الصبر الذي نلمحه في بحر الدنيا ونرى كيف تتلقى الأمواج، والمؤمن يتعلم كيف يصبر على مدافعيه الأمواج، والأيام عند نزولها بالبلاء. فمن يعرف كيفية جريان الأقدار يثبت لها، وليتذوق من هنا طعم الصبر، وتظهر ملحة الثبات، وتحمل المشاق ومصارعة الشدائـد بالتوكل على الله، فيكسب المرء من ذلك قوة في النفس، ورباطة الجأش، وما هذا إلا دليل

(١) انظر: لمحمد شريف رضا، تفسير المنار، (٤٢٦/١)؛ ولسيد قطب، في ظلال القرآن، (٩٨/١).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٧.

على تمكن التوكل من القلب وحب العقيدة، والصبر عليها، وعلى تكاليفها حتى الممات " فَكُلَّا اللَّهُ ... كُلَّ مَا فِينَا ... كُلَّ كِيَانِنَا وَذَاتِنَا ... اللَّهُ ... وَإِلَيْهِ الْمَرْجَعُ وَالْمَآبُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَفِي كُلِّ مَصِيرٍ، وَالْتَّسْلِيمُ الْمُطْلَقُ، تَسْلِيمُ الْأَتْجَاءِ الْأُخْرَى الْمُنْبَثِقُ مِنَ الْأَلْتَقاءِ وَجْهًا لَوْجَهٍ، بِالْحَقِيقَةِ الْوَحِيدَةِ، وَبِالْتَّصُورِ الصَّحِيحِ " <sup>(١)</sup> .

فبالصبر والاستسلام والتواضع ينبع التوكل على الله في المرء المؤمن.

لن يكون المؤمن مؤمنا إلا بعد انقياده وإذعانه باطنًا وظاهرًا الحكم وقضاء الله تعالى.

فالاستسلام يعد من الإيمان ويتبع الإيمان أمور كثيرة، منها توكل العبد على ربه والمضي فيما قدر له، المؤمن هو من يرضي ويكون تحت مشيئة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> لا شريك له ويدرك أمرت وأنا أول أَمَّوْلَى الْمُسْلِمِينَ <sup>(٣)</sup> .

فمن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله، وأقواله، وهذا ما أمرنا به، وكان حتما علينا الامتثال به، والاستسلام والتسليم لذلك <sup>(٤)</sup> .

فهذا الإخلاص لا يأتي إلا بالاستسلام لله تعالى والإذعان له طوعاً أو كرهاً، وبالاستسلام ينال المرء عاقبة أمره الحسنة بما قام به من الطاعة، والإذعان، والامتثال.

(١) انظر لسيد قطب، في ظلال القرآن، (١٣٩/١).

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢-١٦٣.

(٣) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٩٧/٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن يخلص وجهه لله بانقياده لأمره وإتباعه لشرعه، وهو محسن في عمله باتباع مابه أمر، وترك ما عنه زجر (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) أي تمسك وتعلق (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) ..... فقد أخذ موثقا من الله مثبتا أنه لا يعذبه..... فمن يفوض أمره إلى الله، ويتوكل عليه، وهو محسن بعمله فإنه متمسك بالعروة الوثقى<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن عليه، وينبغي له الانقياد والاستسلام لأوامر الله وطاعته سبحانه في العسر واليسر؛ لأن جميع الأمور صائرة إلى الله فيجازى عليها فلاسعادة للعبد إلا بخضوعه لربه، وفي هذا عبادة الله تعالى، وكل من سلم نفسه لله خالصا نجا لأن العمل الخالص لوجه الله تعالى سبب للثواب .

فإن الإقبال والإخلاص لدين الله تعالى هو الطرف الأوثق فلا يخاف بعد ذلك المؤمن انقطاعا، لأنه متمسك بالعهد الأوثق .

"فينبغي أن يكون العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل، يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبر، وهذا معنى قولهم: التوكيل إسقاط التدبر، يعني الاستسلام لتدبر رب لك، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله فالاستسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده، وانقياده له، وترك منازعات نفسه، وإرادتها مع سيده، والله سبحانه وتعالى أعلم"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة لقمان، آية: ٢٢ .

(٢) انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧١٧/٣)، وانظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٤٣٣/٨).

(٣) انظر لابن القيم، مدارج السالكين، (١٢٧/٢) .

وخلصة القول فإن المستسلم المفوض أمروره كلها إلى الله قد تعلق بأوثق الأسباب التي توصل إلى رضوان الله ومحبته، وحسن جزائه على ماقدم من عمل صالح، فيجازي المتوكلا عليه أحسن الجزاء ويتعاقب المساء بآنكل عذاب، فالمراد من الاستسلام والانقياد والخضوع هو التوكلا عليه سبحانه والتقويض إليه.



## المبحث الرابع

### حسن جزاء المتكالبين

إن جميع الصفات التي أمرنا الله بها هي مما يحبها الله ويرضاها لعباده المؤمنين، وهي صفات تميز المؤمنين عن غيرهم لذلك ينبغي أن يحرص عليها المؤمن في كل أمر، ومانحن بصدق ذكره من الصفات هي صفة التوكل على الله. فالتوكل هو أحد الأسباب التي يستحق العبد بها التفضيل ورفع الدرجات.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْمَوْمِنُونَ أَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

" " فعن عمران بن حبيب قال: قال النبي ﷺ : "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب" قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال "هم الذين لا يكترون ولا يستردون، وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشه فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال "أنت منهم" فقال رجل آخر فقال: ادع الله لي يا رسول الله فقال "سبقك بها عكاشه" <sup>(٢)</sup> ."

فالإخلاص في التحلية بهذه الصفة العظيمة، والخلق الكريم من الأسباب الفاعلة في حصول النتائج الخيرة، فمن حق التوكل على الله في ذاته، سيتحقق وينال جزاءات عظيمة من هذه الجزاءات :

١ - رضوان الله تعالى على العبد المؤمن المتوكلا على الله حق توكله ، قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾<sup>١٧٣</sup>

(١) سورة الأنفال، آية: ٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث رقم (٥٧٠٥)، والفتح، كتاب الطب، باب ١٧، الرفاق، باب ٥٠، ومسلم في الإيمان، في الجنة حديث (٣٧٢-٣٧١) وفي الحج حديث ١٦٧.

مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٌ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

فكل من استجاب لله وللرسول بعزم، ورجى ثواب الله توكل على الله ورضي به كافياً ومعيناً فله الأجر العظيم لا يحجبه عنه مكان منه من نقص، وقد تفضل الله بال توفيق والرضى إذا ما استجاب لأمره ونهيه<sup>(٢)</sup>.

الصادقون في الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ والمتوكلون على الله حق توكله يحصلون على النعيمين الجثماني والروحاني، وذلك هو الفوز البالغ الغاية؛ لأن الفوز هو الظفر بالمطلوب مع النجاة فالرضا من الله غاية السعادة الأبدية، إذ لامطلب للمؤمن أعلى منه حتى تمتد عنقه إليه وتتطلع نفسه لبلوغه<sup>(٣)</sup>. وهذا مانجده في قوله تعالى: «قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِ الدِّينِ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»<sup>(٤)</sup>.

"لقد صدق المؤمن في توكله فصدقه هذا ينفعه يوم القيمة، وذلك النفع هو الثواب، وحقيقة هذا الثواب: أنه منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم منفعة خالصة من الغموم والهموم"<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ آتَيْتُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِ الدِّينِ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (٩/١٠٤).

(٣) انظر: للمراغي، تفسير المراغي، (٣/٦٦).

(٤) سورة المائدة، آية: ١١٩.

(٥) انظر للرازي، مفاتيح الغيب، مج. ٦، (١١-١٢/١٤٧).

(٦) سورة التوبة، آية: ١٠٠.



إن أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لما كانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله - ﷺ - استحقوا على ذلك رضي الله تعالى عنهم جميعا لصلاح أعمالهم وكثرة طاعاتهم ودللت الآية على أن من اتبعهم إنما يستحقون الرضوان والثواب<sup>(١)</sup>.

إن المؤمن إذا لزم محبوبات الحق سبحانه ولزم ما يرضي الله من امثال أوامره واجتناب نواهيه فإن الله يرضي عنه لاسيما إذا قام بالإخلاص والصدق فيها وبذل الجهد في التقرب إلى الله تعالى ومن محبوباته سبحانه التوكل عليه بصدق وقد بذل السابقون وبأيعوا رسول الله - ﷺ - على الصدق والإخلاص فنالوا بذلك رضوان الله تعالى؛ لأنهم انقادوا واستسلموا لله ولرسوله ورضوا بربوبيته وإفراده بالتوكل، والاستعانة به والثقة به.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَذِيْبَارِيْعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحَّا قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

"فَاللَّهُ تَعَالَى يَخْبِرُ عَنْ رَضَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَأْيَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ بِيَعْتِيدَةِ الرَّضْوَانِ، فَقَدْ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالطَّاعَةِ، فَأَعْطَاهُمْ جَزَاءَ مَا وَهَبُوهُ مِنَ الطَّاعَةِ الرَّضَا وَالْفَتْحِ"<sup>(٣)</sup>.

٢ - ومن الجزاءات حب الله تعالى للمؤمن، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، هذا والله أعظم باعث للعبد حتى يتوكلا على ربهم، ويجعله مرتبطا تمام الارتباط بربه فمن ينال محبة الله نال الدنيا والآخرة.

(١) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (٤٢٠/٢).

(٢) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٣) انظر: المراغي، تفسيره، (١٠٢/٩).

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَ لِي  
وَلِيَا فَقَدْ أَذْنَتْهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقْرُبُ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحْبَبَ إِلَيْيْهِ مَا افْتَرَضْتَهُ  
عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ عَبْدٌ يَتَقْرُبُ إِلَيَّ بِالنِّوافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمِحَهُ  
الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصْرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَبِيَدِهِ الَّتِي يَبْطَشُ بِهَا، وَرِجْلِهِ الَّتِي  
يَمْشِي بِهَا. وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأُعْطِيَنِيهِ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعْيَذَنِهِ، وَمَا تَرَدَّدْتَ عَنْ  
شَيْءٍ أَنَا فَاعْلَهُ تَرَدَّدْتَ عَنْ نَفْسِي الْمُؤْمِنِ يَكُونُ الْمَوْتُ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتِهِ" <sup>(١)</sup>.

إن حب الله تعالى للعبد يجعله في استقرار واطمئنان وسكون، ويجعله منقطعاً عن العائق الدنيوية، وبالتالي يكون المؤمن متصلاً بالله وذلك بالعمل بأمره ونهيه ومحباً لله يهبه نفسه وإرادته وعزيمته وأفعاله كلها لله تعالى، فمن كان كذلك ارتبطت ذاتيته ونفسه بحبل الله فيحصل له من الرحمة والإحسان والبر أتم نصيب، وقد ذكر في تفسير الآية السابقة أن المتكلمين عليه هم الواثقون به المنقطعون إليه فينصرهم ويرشدهم إلى ما هو خير لهم كما تقتضيه المحبة <sup>(٢)</sup>.

"والغرض من المحبة ترغيب المكلفين في الرجوع إلى الله تعالى  
والإعراض عن كل ماسوى الله" <sup>(٣)</sup>.

إن صفاتي الرجوع إلى الله، والإعراض عن كل ماسوى الله هي صفات تجعل العبد المتمسك بها داخل فيمن يحبهم الله ويرضاهم بدلاله الآيات القرآنية.

فالمحب الصادق لله ينطق بالله، ويستكثر لله، ويفعل لله، ويترك لله، ويستعين بالله، ويتوكل على الله، ويعتصم بالله، ويحب في الله، ويبغض لله، وبعد هذا كله يرى البر به والإحسان إليه، والدفاع عنه، وإصال المنافع ودفع المضار عنه في الدين والدنيا من قبل الجoward الكريم سبحانه.

(١) سبق تخرجه، ص ١١٢.

(٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (١١٦/٢).

(٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (٧٠/١٠-٩).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾١﴾.

الآية الكريمة متضمنة معنى "أن من إمارات محبة الله تعالى للعبد أن يرى العبد مهدياً مسدداً إذا قبول في الله، فلطف الله بالعبد ورحمته إياه هي ثمرة محبته" <sup>(٢)</sup>.

فمحبة الله تعالى للعبد تأتي بعد طاعته واتباع رسوله، "والله تعالى يحب كل من أطاعه، لأن المحبة توجب الإقبال بالكلية على المحبوب والإعراض بالكلية من غير المحبوب" <sup>(٣)</sup>.

فكل من يدخل تحت محبة الله تعالى يكون في ظل ظليل يوم لا ظل إلا ظله، وجاء عظيم كبير، ويكتفي من محبة الله "حسن التدبير للعبد، يربيه تعالى من الطفولة على أحسن نظام، ويكتب الإيمان في قلبه، وينور له عقله، فيتبع كل ما يقربه، وينفر عن كل ما يبعد عنه، ثم يتولاه بتيسير أموره، من غير ذل للخلق، ويحدد ظاهره وباطنه، يجعل همه هما واحداً، فإذا زادت المحبة، شغله به عن كل شيء" <sup>(٤)</sup>.

ومتى ظفر المؤمن بحب الله له سكن لأقدار الله وطابت نفسه بها؛ لأنه سبحانه لا ينزل بشيء يضر عبده المؤمن، وإذا نزل ما يكره المؤمن كان خيراً له، فسبحانه تولى تدبير أمور المؤمن بموجب علمه، وحكمته، ورحمته، ومحبته فليرض المؤمن بالله ربها، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، فقضاء الله في عبده

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٢-٣١.

(٢) انظر: لابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، المجلس العلمي (المغرب، فاس بدون تط)، (٣٨٧/٢).

(٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، (١٩/٨-٧).

(٤) انظر: للمقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٤٩.

المؤمن دائمًا بين العدل، والحكمة، والرحمة، ولنعلم يقيناً أن المكر وهازات والمحبوبات التي تنزل فيها من ضروب المصالح والمنافع التي لانحصر فيها علماً، ولا فكراً.

فلننوك على الله في أمورنا كلها ونعتزم برب العباد؛ لأن التوكيل له مقام جليل القدر، عظيم الأثر، أمر الله عباده به، وحثهم عليه، في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وجعله الله سبباً لنيل محبته، وشرطًا للإيمان، فأنعم بمقام يحظى صاحبه بمحبة الرحمن، ويتحقق به، كمال الإيمان وضمن سبحانه لمن توكل عليه القيام بأمره، وكفايته همه حيث قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.  
فأي عزيز هو سبحانه الذي لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجناه.

"إن القلب كلما ازداد محبة لله ازداد في العبودية؛ لأن القلب فقير بالذات إلى الله من وجهين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكيل، وهي العلة الفاعلة، فالقلب لا يصح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبد ومحبوب ومطلوب، وبذلك يحصل له الفرج والسرور، واللذة، والنعم، والسكون، والطمأنينة"<sup>(٣)</sup>.

فما من عمل ارتبط بالنواحي الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية... الخ إلا وله جزاء ذكره الله ورسوله ﷺ، وهذا له أثر عظيم في السلوك الأخلاقي في تكون

(١) سورة الطلاق، آية: ٣ .

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٩ .

(٣) انظر: لشيخ الإسلام ابن تيمية، العبودية، (بيروت: المكتب الإسلامي، تط ١٣٩٩ـ)، ص ١٠٨.



بذلك الدافع القوي إلى الالتزام بتلك الفضيلة من الأخلاق لاسيما إذا كان هذا الخلق هو التوكل على الله فهو كنز ثمين، ومكسب عظيم لا يقدر إلا من عرف حقيقته، وعمل بها، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

"فَكُلْ مِنْ فَوْضِ أَمْرِهِ وَوُثِقْ بِرَبِّهِ كَفَاهُ أَعْدَاءُهُ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِيْقَاعِ  
الْجَزَاءِ بِهِمْ"<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فينبغي التوكل على الله في الأمور كلها حتى نفال بذلك الجزاء والثواب؛ لأن التوكل كذلك وظيفة من وظائف القلب، وسلوك نفسي يقتضيه الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا أمر من الله بالتوكل عليه وحده، ومما من عبد توكل على الله إلا ونال مطلبه ومناه إن عاجلاً أو آجلاً، فها هما رجلان بني إسرائيل آمنا وأدركوا أن التوكل على الله يعين على معارك القتال، وأنهما إذا دخلا الأرض المقدسة متوكلين على الله ينصرهم على عدوهم لامحالة حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلُانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوْا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(فهذان الرجالان قد علموا من سنته تعالى في نصره رسالته وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه، وبعد ترتيب الأسباب، وعدم الاعتماد عليها، فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله العزيز القدير فإن كنتم مؤمنين مصدقين لوعده، فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتماً)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء، آية: ١٧١-١٨١.

(٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (١٠٢/٢).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٦) انظر: لأبي حيان، البحر المحيط، (٢٧/٢).



فهذا الموقف العظيم من الرجلين اجتمعت فيه العبرة النفسية إلى الجمال الفني على طريقة القرآن، فهل لنا من ذلك دروس مستفادة من دعوة إلى الاتجاء والاستسلام، وما فيها من المفاصلة، والجسم، والتصميم لذلك، فالقرآن الكريم رتب للتوكل على الله نتائج وجزاءات يقينية من سلكه رشد ورسخ فيه جذور التوكل على الله وتمكن منه، فيثمر بذلك ثماراً يانعة، ويعطي ظلالاً باردة، وهذا مافهمه السلف الصالح، وعملوا به رضي الله عنهم وأرضاهم، فأحببهم الله ورضي عنهم فحبه ورضوانه أمران عظيمان وفضل جزيل لا يقدر على فعله إلا رب رحيم حليم.

## الفصل الخامس

### موانع التوكل على الله

وفي هذه :

تمهيد .

**المبحث الأول: الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه .**

**المبحث الثاني: ضعف اليقين بالله تعالى .**

**المبحث الثالث: التكبر على آيات الله .**

**المبحث الرابع: الغرور والعجب بالنفس .**

**المبحث الخامس: الهوى والشهوات .**



## الفصل الخامس

### موانع التوكل على الله

**التمهيد :**

إن الموانع المذكورة في هذا الفصل، هي حواجز تجعل من العبد سكوناً، وكفا وتمناً. وهي أمور مذمومة شرعاً لدرجة أن منها ما يؤدي إلى الكفر والشرك بالله تعالى .

واقتضت الحكمة الإلهية أن يجعل للبشرية - خاصة المؤمنة منها - أعداءً من شياطين الجن يوسمون لشياطين الإنس بالضلال والشر والأباطيل؛ ليضلونهم، ويصدوهم عن التوحيد.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا لِشَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضٌ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾<sup>(١)</sup>. ولهذه الموانع المذكورة مفاسد، وأضرار كثيرة في حياة الفرد والمجتمع أهمها:

- ١ - إهانة الإنسان واحتطاط قدره ومنزلته إذا سأله أحداً غير الله تعالى، فسبحانه له ما في السماوات، وما في الأرض.
- ٢ - أنها وكر للخرافات والأباطيل؛ لأنها بضعف يقينه ونقاشه بالله تعالى يعتقد بوجود مؤثر غير الله في الكون من الكواكب أو الجن أو الأرواح فيصبح عقله مستعداً لكل خرافات، وتصديق لكل دجال، وعلى هذا يروج في المجتمع بضاعة الكهنة والدجالين، والعرافين، والسحر، والمنجمين .
- ٣ - ظلم الإنسان لنفسه، وهذا من تكبره على آيات الله تعالى فيظلم أعظم الحقائق، حقيقة لا إله إلا الله ، ولارب غيره، ولا حكم لسواه، فبغور الإنسان وعجبه بنفسه يسعى في الأرض فساداً.

(١) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

٤- يتعطل العمل النافع الصالح؛ لأنّه يتبع هواه وشهواته.  
فهذه من أهم الأضرار الناتجة من تلك الحواجز المانعة عن التوكل على الله.

والسلف الصالح من الدعاة إلى الله، والمصلحون شاهدوا وواجهوا حالات خطيرة للضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية ، فكان من اللازم تزكيتها، فالقلب قساً وكثُرت أمراضه، وإذا كان من الآثار المباشرة لهذا المرض الجهل بأسماء الله، وضعف اليقين به تعالى، والتكبر على آياته، والغرور والعجب بالنفس، واتباع الهوى والشهوات، وهذه أمور خطيرة للسير قدما للأمام، فأصبح التركيز على هذه المعاني واجباً على الذين يريدون الإصلاح لهذه الحياة الفردية والجماعية<sup>(١)</sup>.

فإله تعالى ذم الجاهلين في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الْدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة الصم عن سماع الحق، البكم عن فهمه، فهم لا يعقلون فهو لاء شر البرية؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهو لاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالأنعام. فهو لاء مسلوبو الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح<sup>(٣)</sup>.

وضعف اليقين والثقة بالله تعالى تقود العبد إلى ضعف الإيمان فيقترب المرء بذلك من الهاوية. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظَنَنُ إِلَّا ظَنًا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيقِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.  
والمعنى أنهم غير متحققيين من ذلك الوعد وتلك الساعة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تركيبة النفس (بيروت: دار عمار)، ص ١٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٦٨/٢).

(٤) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

(٥) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٣٣).



والتكبر على الله تعالى خلق يجر صاحبه إلى الهلاك، فهو آفة عظيمة وحجاب دون الجنة، قال تعالى: ﴿لَا جَرْمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِمُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

"فالكبر خلق باطن تصدر منه أعمال هي ثمرة، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متبراً"<sup>(٢)</sup>.

والغرور والعجب بالنفس، واتباع الهوى والشهوات، تفضي إلى تعدى حدود الله والجرأة على عصيانه، ويطمع العبد متوجهاً في عفوه مستصغراللکبات.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ آللذى خلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَبَكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالحذر الحذر من الإعجاب واتباع الهوى فهما من أعظم الآفات والمحببات للأعمال، فالمؤمن من الحق هو من يستحضر عظمة الله في نفسه في كل وقت، وهذا هو السبب الموجب، لخشية الله في السر كما يخشى في العلن، فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه سبحانه مطلع على الباطن والظاهر والسر والعلن، واستحضر ذلك دائماً في كل وقت وحين فحينئذ يجتهد العبد لتكميل نفسه بالطاعات، ولزومها،

(١) سورة النحل، آية: ٢٣ .

(٢) انظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، كتاب ذم الكبر والعجب، ص ٢٢٧ .

(٣) سورة الانفطار، آية: ٦ - ٨ .

(٤) سورة ص، آية: ٢٦ .

والابتعاد عن كل ما يغضب الجبار، فالإسلام جاء ليطهر النفس وجاء بعقيدة التوحيد النقية الصافية حتى لا تتحطّن النفوس وتخرج من ظلمة الضلاله والجهل، ويرفعها من وحده الشرك، ويطهرها، ويهدب النفس فإذا صحت العقيدة، سلمت النفس، وكمل الإيمان؛ لأنّ النفوس مرآة لكلّ حُقْقَ، وتضيء ما حولها بحيث تتفع كلّ من دنى منها، والإسلام حريص على النفوس المؤمنة الصادقة، فكره لهم أن ينحطوا في الاعتقاد كما أنحط أعداء الإسلام، وأراد لهم التطهير مما انغمس فيه الكفار فالموانع ذنوب تجعل صاحبها مخالفًا للأمراء، وفاعلاً للمحظورات، وبهذا يبعد العبد المؤمن عن نور الإسلام شيئاً فشيئاً، وينغمس في هذه المحظورات التي تحرم نور العلم، وتحرم الرزق، وتحرم الطاعة، وتوهن القلب، والبدن، وتورث الذل، وتحدث في الأرض الفساد.

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي الْأَنَاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وتزيل النعم، وتحل النقم، فلا بد من تقوى الله التي تجمع بين خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الروم، آية: ٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٨.



## المبحث الأول

### الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه

لقد بين الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي تقبل به الأفعال، ويتحقق به ما وعد الله به المؤمنين.

قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْصَادِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالإيمان المقبول هو الاعتقاد الذي لا يخالفه ريب ولا شائبة، فالإيمان يزيد وينقص، ولابد أن نفوز بتحقيق الإيمان وأن نقيمه، وهذا يحتاج إلى المزيد من إصلاح القلوب وتنقيةها من الأمراض الصادمة عن الهدى، وإذا أراد العبد إيماناً صحيحاً فعليه بالعلم والمعرفة.

إن الجهل بأسماء الله وصفاته أمر مذموم غير ممدوح، حذر القرآن الكريم منه حيث، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا أَلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجَزَّوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالتحريف والميل بأسماهه إلى غير الصواب لهي من الجهل لامن العلم بمكان، فالجهل نقىض العلم<sup>(٣)</sup>، والجهل اعتقاد بالشيء خلاف ما هو عليه<sup>(٤)</sup>.

إن جهل أسماء الله وصفاته سبحانه قريبة بمن يغفل عنها عن معانيها، ويجد حقائقها، ومن هؤلاء الغالي، والمتوسط، والمنكوب، ومن يشبهها بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون، فلا ينبغي للعبد تأويل هذه الأسماء والصفات عن

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٣) انظر: لابن منظور، لسان العرب، (٧١٣/٢).

(٤) انظر: للجرجاني، التعريفات، ص ١٠٨، رقم ٥١٧.

ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة إلى معنى آخر، ولا تعطيلها بأن يجده تلك  
الصفات وينفيها عن الله كعلو الله على السماء، فقد زعمت الفرق الضالة أن الله في  
كل مكان، وليس لنا أن نكيفها بدون علم، فلا يعلم كيفية أحد إلا الله، ولا ينبغي أن  
نمثلها بصفات خلقه.

فالجهل عالمة من علامات مرض القلوب فإذا جهل العبد أسماء وصفات خالقه تعذر عليه فعل الذي لأجله خلق وهو العلم، والحكمة والمعرفة، وحب الله تعالى، واستعانته، وإنابته، وتوكله " فمن الجهل أن يشكو العبد الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل، فإنه لو عرف ربه لما شكاه وفي هذا قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما \*\* تشكوا الرحيم إلى الذي لا يرحم  
فلو كان عارفاً عالماً لشكى إلى الله وحده، فهو بذلك ناظر إلى قوله تعالى:  
﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.  
فتوحيد الله بأسماه وصفاته دعت إليه الرسل جميعاً، ودعا إليه القرآن  
الكريم، قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(٢)</sup>،  
وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت به ملائكته، وأنبياؤه، ورسله.

قال تعالى: ﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمَ  
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ١٨ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ  
إِلَّا سَلَمُ .. . ١٩ ﴾ ٤ ﴿ .

"فَتَضَمِّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مَعْنَى إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَالرَّدِّ عَلَى  
جَمِيعِ طَوَافِ الضَّلَالِ، فَتَضَمِّنَتْ أَجْلَ شَهَادَةِ، وَأَعْظَمَهَا، وَأَعْدَلَهَا،  
وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجْلِ شَاهِدٍ بِأَجْلِ مَشْهُودٍ"<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠ .

(٢) انظر: لابن قيم الجوزي، الفوائد، ص ١١٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١-٢

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨-١٩.

<sup>(٥)</sup> انظر: لابن أبي العز الحنفي، شرح العقدية الطحاوية، ص ٩٠.

فالجاهل ظالم لنفسه، إذ أنه يتخطى في سؤال من يستحق السؤال فإذا ترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقد أقام السائل نفسه مقام الذل، وأهانها بذلك، وإذا استعان بغير العلي القدير دفع نفسه للهوان والمذلة، والمضررة؛ لأنه تعالى القادر على كل شيء، وغيره عاجز عن كل شيء، وأي شيء حتى في استجلاب المصالح لنفسه.

"ذكر أبو قدامة الرملي<sup>(١)</sup> قال: قرأ رجل هذه الآية ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفِّيْ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الْرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَبِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup>، فأقبل سليمان الخواص<sup>(٣)</sup>، فقال يا أبا قدامة ماينبغى لعبد بعد هذه الآية أن يلجم أحد غير الله في أمره، ثم قال: كيف قال الله تبارك وتعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} فأعلمك أنه لايموت، وأن جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته، فقال وسبح بحمده، ثم أخبرك أنه خبير بصير، ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبد الله بحسن التوكل، وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف، يكون هذا محتاجاً، ومؤمله، وملجؤه، إلى الغني الحميد"<sup>(٤)</sup>.

فالمؤمن ينبغي أن يكون متوكلاً على الله الحي الذي لايموت في أموره، وسؤاله جميعها دقها، وجلها.

(١) أبوقدامة الرملي عن عبد العزيز بن قر، مجهول، وأتى بخبر منكر. انظر: ميزان الاعتدال ترجمة رقم (١٠٥٣٠).

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٨-٥٩.

(٣) سليمان الخواص من العابدين الكبار بالشام؛ انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٧٨/٨) ترجمة ٢٣٥؛ وحلية الأولياء للأصبغاني، (٢٧٦/٨)، ترجمة ٤٠٧.

(٤) انظر: لابن أبي الدنيا، التوكل على الله، تحقيق مجدى إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، بدون نظر، ص ٤٨).



"والجهال بالله وأسمائه وصفاته المعطلون لحقائقها يبغضون الله إلى خلقه، ويقطعون عليهم طريق محبته، والتودد إليه بطاعته من حيث لا يعلمون"<sup>(١)</sup>.

فالعبد عليه أن يعرف الله رب المعرفة الحقة، ويجهد نفسه في ذلك من خلال مطالعة الكتاب والسنة، فمثلاً لو أخذ العبد اسم (الرحمن) للاحظ أن الله تعالى رحيم رحمن بعباده أنزل الرسل مبشرين، ومنذرين، معرفين، هاديين مهديين موحدين نزلوا جميعهم وأرسلوا يُعرِّفُوا الناس بِاللهِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(٢)</sup>.

فالنعم، والإحسان، كلها من آثار رحمته، وجوده، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته "فسبحانه المنعم بجلال النعم، ودقائقها، المفيض بتجدد وسعة لامتهى لها"<sup>(٣)</sup>.

فالرحمن "اسم دال على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين، لأنبيائه ورسله. فهو لاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها"<sup>(٤)</sup>.

فإله تعالى يرحم عباده الغافلين اللاهين فيرشدهم ويلهمهم طريق الرشاد والنصائح بأفضل طريقه، وأن ينظر سبحانه بعين الرحمة لعباده العصاة، فينور لهم طريق الحق والصواب، ويعين عبده المؤمن لينال الكمالات بأن يعرفه بنفسه وبصفاته وأسمائه وألائمه، ويبيّن له كل ما يحتاجه إليه من صالح دينه ودنياه، ويدفع عنه كل نومة.

ومن هنا فإذا علم العبد أن مابه وبالعباد من نعمة، فمن الله، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم،

(١) انظر: لابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ٢٠٧ .

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٣ .

(٣) انظر: لمحمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٥١/١).

(٤) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن...، (٣١/١).

والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات، ويعلم بذلك العبد أن الله رحمن رحيم عزيز غالب، ولن يكون بعد هذا مطلب للمؤمن إلا الحصول على رضا الرحمن، والعمل بطاعتة، وما يتحقق ذلك إلا بمعرفة العبد أن الأمور كلها بيد الله، ولن يعول على سواه؛ لأنه الإله الخالق ذو العبودية والألوهية.

قال تعالى: ﴿فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن يجهل أسماء الله وصفاته كان عبد المخلوق مثله "وربما صار معتمدا على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غير الله"<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

علم المؤمنون برحمته بتوصيله للمنافع، وأنه المتصرف وحده، الذي قصد بالخلق معرفته، وعبادته "ففي ذكر الرحمن هنا إشارة إلى أن أهل الإيمان مرحومون، و فعل الله بالمؤمنين دائماً محفوف بالرحمة وذلك أن من آثار رحمته أن جعلهم يتوكلون عليه وأمرهم بالتوكل؛ لأنه سبحانه هو أهل للإيمان به وأهل للتوكل عليه"<sup>(٤)</sup>.

ولو نظرنا لحال من جهل مقام القوة وعظم القدرة والغلبة فإن مصيره مصير من قبله من الأمم.

(١) سورة المؤمنون، آية: ١١٦.

(٢) انظر: لابن تيمية، العبودية، ص ١٠٢.

(٣) سورة الملك، آية: ٢٩.

(٤) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٦٠٣٨/١٠).

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالله قادر على إزال العذاب كما أنزله على قوم نوح، والصيحة كما حصب قوم لوط، وكما رمى أصحاب الفيل، وكما زلزل وسف بقارون فكل شيء دان، وخضع له، وذلت جميع الكائنات فهو الخالق السيد الذي قد كمل في سؤده.

وأما من جهل افتقاره إلى الله فيحقق له عذاب الحريق، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَاتِلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسَّرَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن جميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً ولا خيراً، ولا شرًا، فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجه لا يتطرق إليه الفقر أو النقص بوجهه من الوجه، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي عملها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه، أنه لم يتخذ صاحبة، ولا ولدا، ولا شريكاً في الملك، ولا ولية من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعمته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بالسؤال ويعطيهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الْدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيُسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨١، ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

" ومن كمال غناه سبحانه ما يبسطه على أهل الإيمان من عطياته من النعيم، والذات والخيرات، والمغنى لخلقه، بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية"<sup>(١)</sup>.

إن الله تعالى رزاق كريم رزقه عام لجميع عباده، وله سبحانه رزق خاص لخواص خلقه المؤمنين، فكل ما يحتاجونه في معاشهم، وقيامهم، مسهل للأبرار والفجار من الأدميين والجن والملائكة، ولكن ما يخص المؤمن هو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهذا نوعان :

أ - رزق القلوب بالعلم والإيمان، فجميع القلوب مفتقرة إلى هذا الرزق، ولن تغنى إلا إذا كانت عالمة بالحق مريدة له.

ب - رزق البدن بالرزق الحلال، فينبغي للمؤمن إذا دعا ربـه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه الرزقين رزق الهدى والإيمان، ورزق ما يصلح البدن من الحلال النافع، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

فإنه تعالى سهل الأرزاق، ودبرها، وساق إلى كل مخلوق صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، فالله تعالى رزقه لعباده مضمون، وما خلق الخلق إلا لعبادته لا ليرزقه، فسبحانه ذو القدرة الكاملة، شديد القوة، كثير الرزق<sup>(٤)</sup>.

فكل من طلب الرزق، والعون من غير الله، فقد اعتمد على ضعيف ذليل مثله لا ينفعه، ولا يضره، وإن اعتقد ذلك، فسبحانه لا ينبغي أن يدعى سواه، ولا يرجى، ولا يتطلب، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من نرجوه، ونخافه، ونتوكل عليه هو القيـم

(١) انظر: لعبد الرحمن السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، ص ٤٧-٤٨.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

(٣) سورة هود، آية: ٦.

(٤) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، مج (١٠/٥٥٢٤، ٥٥٢٥)؛ وللسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٥/٩١).

والمتولى لتدبير خلقه، فمن اتخذه وكيلًا كفاه، فهو الإله الحق كيف لأنتجيء إليه سبحانه! فهو الناصر والرازق.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن الله تعالى موكول إليه كل شيء له مفاتيح الرزق، والرحمة ويكفي المؤمنين شر من عاداهم<sup>(٣)</sup>، في هذا المعنى يقول صاحب تفسير مفاتيح الغيب: "فالأشياء كلها موكولة إليه تعالى فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع، ولا مشارك فهو سبحانه يدفع الآفات، ويزيل البلاءات، ويوصل كل المرادات"<sup>(٤)</sup>، فسبحانه الكافي عباده جميع ما يحتاجونه ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة، من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه، فهل بعد هذا يجهل العبد الوهية وربوبية الله تعالى بأسمائه، وصفاته العلي، فينبغي ويلزم كل مؤمن أن يحصي أسماء وصفات ربه، فإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصاها أحصى سائر العلوم، فأسماؤه وصفاته سبحانه كلها حسنة وأفعاله كلها خيرات.

فإحصاء المؤمن بمعرفة، وفهم معانيها، والإيمان بها، والتقة بمقتضاهما والاستسلام، لما دلت عليه رجاء الفوز برضي الله، ودخول الجنة، وعلى هذا فقد كثر الكلام في معرفة أسماء وصفات الله سبحانه من الفرق الضالة الذين عدلوا بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

ومن هنا "فلا يصح التوكل، ولا يتصور من فيلسوف ولا من القدريه النفاۃ القائلین": بأنه يكون في ملکه مالا يشاء، ولا يستقيم من الجهمية النفاۃ لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات، فمَنْ تَوَكَّلَ لِمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ جُزَئِيَّاتِ الْعَالَمِ سُفْلَيَّةً وَعُلُوَّيَّهُ؟

(١) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٦.

(٣) انظر: للبغوي، معلم التنزيل، (٥/١٧-٢٦).

(٤) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مجلد (٣/١٤-٢٨).



ولاهو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة، ولا مشيئة، ولا يقوم به صنعه؟  
فكل من كان بالله وصفاته أعلم، وأعرف: كان توكله أصح وأقوى،  
والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى شرف الحياة بالإيمان، والحق أنه على قدر ذكاء الشخص  
واستقراره، واستقامته، وسوية فطرته، ومدى علمه، يكون رسوخ قدمه في الإيمان.

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلَيُنَذَّرُوا بِهِ وَلَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلَيَذَّكَرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد ذم الجهل والجهال فـ "الجهل في القلب، كالنز في الأرض يفسد  
ما حوله"<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>،  
فالمعنى أعرض "عن المcriين على جهلهم، فلا تكافيء السفهاء بمثل سفهم،  
ولاتمارهم، واحطم عنهم، وأغض مايسؤك منهم"<sup>(٥)</sup>.

فالجهل بأسماء وصفات ربنا تعالى آفة توجب المشقة لصاحبيها؛ لأنه يجتهد  
ويهم بالعمل، ولكن لا يرقى إلى المقصود، أو يقع في المفسدة وهذا كله ينقص كمال  
ثمرة الإيمان المنشودة من المؤمن .

والجهال بجهلهم، وعدم معرفتهم وعلمهم، يقررون في أنفسهم أموراً لم يقرها  
ولم يقلها المصطفى ﷺ، ويفهمون الآثار بفهمهم الباطل المبني على غير علم  
ولا هدى فيفتون، وينصحون بالباطل فيضللون أناس على ذلك .

" عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - : إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْبَزِ الْعِلْمَ اِنْتَزَاعًا يَنْتَزَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكُنْ يَقْبِضُ

(١) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (١٢٣/٢).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٥٢.

(٣) انظر: للماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: نـ١٩٧٨ـ)، ص ٥٠.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) القاسمي، محسن التأويل، (٣٢٥/٨-٧).

**العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتفذ الناس ورؤوساً جهالاً فسئلوا  
فأفتو بغير علم فضلوا وأضلوا<sup>(١)</sup>.**

ولعمر الله العدو العاقل أقل ضرراً من الصديق الجاهل؛ لأن العدو معروف  
بعداؤته، أما الصديق الجاهل فلا يعرف.

"والجهل بأنواعه ظلمة ووحشة في القلب سواء كان جهل العلم  
والمعرفة أو جهل العمل والغي"<sup>(٢)</sup>.

والجهل غي خاصه ما إذا كان صاحبه لا يعلم بجهله، وشر منه من كان يظن  
أنه على مافييه عالم، فكل من يحسب أنه على علم وهدى فهو أهل جهل، وضلال،  
قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن القيم<sup>(٤)</sup> - رحمه الله تعالى - :

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة \*\* أو كنت تدرى فال المصيبة أعظم<sup>(٥)</sup>.  
فالجهل بأنواعه مورد للمهالك والمصابين، يفسد على المؤمن الدنيا، ويخرب  
الآخرة، داء فتاك، وشفاؤه بالعلم والسؤال والتعلم من أصحاب العقول النيرة،  
بالكتاب والسنة، فالعلم للإيمان، كالحياة للإنسان، ولن يجد هذا الدين مستقرًا له إلا  
 عند أولى الألباب، قالوا

( " ومن لم يتحمل ذل التعلم ساعة \*\* بقي في ذل الجهل أبداً")<sup>(٦)</sup>.

فالجهال أعمالهم، وعلومهم جميعها بمنزلة السراب الذي يكون صاحبه أحوج  
ما هو إليه، وكل من أقدم على عمل، وجهل فيه، فلن يكون خالصاً ولن يكون بعمله

(١) البخاري، الفتح، ح(١٠٠/١)، كتاب العلم، واللفظ له؛ ومسلم (٢٦٧٣)، (٤/٢٠٥٨) كتاب  
العلم.

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الحديث، بدون نظر، ص ٢٢٠.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ابن قيم الجوزية، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح (بيروت: دار الكتب العلمية، تط  
١٩٨٣ـ)، ص ٣٣.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الفتح، تط ١٩٧٨م، ح(٩٩/١).

هذا صائبًا، وبذلك يكون توكله شائبًا، وسعيه منثورا؛ لأنه أعرض عن العلم، والحق، والمعرفة، والنور فيتقلب في جنبات الجهل، والظلمة، ويعرض عن أحكام الحاكمين، وأعدل العادلين، فينبغي للمؤمن أن يستعيذ من الجهل، ويدعو الله أن يلهمه العلم والمعرفة بحقه وبأسمائه وصفاته، فقد كان النبي ﷺ يدعوا بهذا الدعاء، "عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: كأن النبي - رضي الله عنه - يدعوا: "رب اغفر لي خطئتي وجهلي وإسرافي في أمرك كل، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وعمدي وجهلي وجدي وكل ذلك عندك، اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قادر".<sup>(١)</sup>

(١) البخاري، الفتح، ج ١١، ح (٦٣٩٨) كتاب الدعوات، واللفظ له ، ومسلم، (٤/٨٧)، ح (٢٧١٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

## المبحث الثاني

### ضعف اليقين بالله تعالى

إن المتأمل لأحوال الناس اليوم، يجد أن بعضهم عمدوا إلى محارم الله فارتکبوها ومنهياته فاستباحوها، وأمأوراته فاجتبوها ونبذوها وتركوها، وقطعوا الأسباب بينهم، وبين خالقهم، ورافقهم، وهم بذلك سلكوا مسلكاً مؤدياً إلى التلبس بكل ما يقود إليه.

والسلوك يتأثر بالإيمان، وممارسات صاحبه؛ فلذلك يضعف الإيمان واليقين، وينقص إذا وقع صاحبه في المكر وآلات المحن، والمحظورات؛ لأن الإيمان لا يغنى فيه إلا علم اليقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>.

ومداخل وأبواب الشيطان كثيرة تضعف يقين وإيمان العباد، والثقة بالله تعالى؛ لذلك كان من الواجب حماية القلب من وساوس الشيطان، وسد مداخله، ونزغاته بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وذلك ببذل الجهد في التزكية، وسؤال الله، والإعتماد عليه فيها وفي الحديث "عن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والتقوى والغافر والغنى"."<sup>(٣)</sup>.

فإخلاص القصد والعمل لله، ومتابعة سنة رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. يجعل من المخلص أن يتذوق حلاوة عبوديته واستسلامه لله "إذ ليس عند القلب السليم أحلى، ولا أذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي إنجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله قوي العلاقة فيما بينه وبين ربِّه راغباً راهباً طارداً كل وساوس الشيطان واثقاً،

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) انظر : للحكمي، معارج القبول (بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٤٠٣ هـ)، (٣٠٨/١).

(٣) مسلم، (٤/٢٧٢١)، ح(٢٠٨٧).

وموقنا أن الله تعالى إذا حكم، وقدر وقضى أمرًا، فلامرد لقضائه، ولا معقب لحكمه<sup>(١)</sup>.

فمن أكبر عوائق التوكل على الله تعالى هو أن يضعف يقين العبد بالله تعالى؛ لأن قوة اليقين، والثقة بالله تعالى هي من أنواع أغذية القلوب فإذا نقص الغذاء مرض القلب، وانحرف ومال للسماع الشيطاني وبعد العبد عن الله، وغلظ حجابه فيما بينه وبين الله تعالى، وأصبح كالحيوان.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَآلَّا نَعْمَمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآلية الكريمة في معرض الاستهزاء بعقولهم، وتمثيلهم بالأنعام، فالأنعام ليس لها عقول، وهو لاء لهم عقول ضياعها؛ وأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهو لاء يتربكون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب<sup>(٣)</sup>.

فمن ضعف يقينه، وثقته بالله تعالى، فلن يرضي بحكم وقضاء الله في جميع أمور معيشته، ويترتب على ذلك أنه لا يأمن من فوق المقدور له، وذلك راجع لجهله بمعرفة الله تعالى، وأن قضاياه سبحانه لامرد له أبنته، ولضعف يقينه "فعلى العبد أن يقف على مقام بالحق من أسماء وصفات ونحوت كمال وتوحيده، وبهذا يحصل له اليقين"<sup>(٤)</sup>.

**ضعف اليقين والثقة بالله يضعفان:**

(١) انظر: لابن تيمية، العبودية، ص ١٤٠.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٤٤.

(٣) انظر: للكلبي، التسهيل لعلوم التزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، تط الرابعة ٤٠٣ هـ)، (٧٩/٣).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، (٤٢٠/٢).



١ - العزم والإرادة على عمل ما يرضي الله ورسوله، فكل مافي الكون يدعوا العبد إلى إزاحة الشك ومعرفة الحق.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَّالَكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

" فالله تعالى يبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل ... فالله تعالى جلاله الأمر سره وعلانيته ... وعلم مافي ذلك من الحكم الباهرة، والدلالات القاطعة"<sup>(٢)</sup>. فجميع المخلوقات دالة على وجود صانع خالق لها سبحانه.

وما فعل إبراهيم عليه السلام من إرادة مخلوقاته سبحانه الكونية السمائية إلا ليؤكد لنفسه أن للعالم صانعاً واحداً سبحانه .

٢ - إن ضعف اليقين والتقة يفضيان إلى عدم الإيمان بالغيب، ويضعفانه . " فالإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسالته من أمور المعاد، وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان، وما قبل ذلك من أمور البرزخ، نعيمه وعذابه من درجات اليقين "<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الْصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٤١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

" قال ابن عباس : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي يصدقون بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين

(١) سورة الأنعام، آية: ٧٥ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٤١/٢).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (٤١٨/٢).

(٤) سورة البقرة، آية: ٤-٣ .

لَا يُفْرِقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْدُونَ مَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَبِالْآخِرَةِ يُوقَنُونَ أَيْ  
بِالْبَعْثِ، وَالْقِيَامَةِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ" <sup>(١)</sup>.

فَكُلُّ مَنْ حَادَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَخْتَلَفَ فِيهِ ضَعْفٌ يَقِينِهِ، وَتُقْتَهُ بِالْخَالِقِ،  
فَالْحَقُّ هُوَ الْيَقِينُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ  
أَلَّمْ يَعْلَمْ﴾ <sup>(٢)</sup>.

إِنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ مُلِيَّةٌ بِالْدُعُوَةِ إِلَى الإِيمَانِ وَالنَّظَرِ فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، وَالْدُعُوَةِ إِلَى الإِيمَانِ بِالْغَيْبِ حَتَّى يَسْتَقِرَ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ  
الْتَّوْحِيدُ وَالْيَقِينُ وَالْتَّقَّةُ بِاللهِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ  
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِعْلَمُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَآبَّةٍ إِعْلَمُ لِقَوْمٍ  
يُؤْقِنُونَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

فَالْآيَاتُ السَّابِقَةُ "يُرْشِدُ فِيهَا اللهُ تَعَالَى إِلَى التَّفْكِيرِ فِي آلَاهِ وَنَعْمَهِ،  
وَقُدرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنْ  
الْمُخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ، وَالْأَنْوَاعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْجِنِّ،  
وَالْإِنْسَانِ، وَالْدَّوَابِ، وَالْطَّيْورِ، وَالْوَحْشِ، وَالسَّبَاعِ، وَالْحَشَرَاتِ،  
وَمَا فِي الْبَحْرِ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَأَخْتَلَافِ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفِي  
تَعْاقِبِهِمَا دَائِبِيْنَ لَا يَفْتَرُانَ ، هَذَا بِظَلَامِهِ وَهَذَا بِضَيَّاَهُ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ

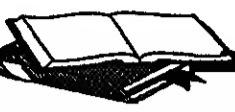
(١) انظر: الطبرى، جامع البيان...، (٩٥/١)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٨/١)؛ وللألوسي، روح المعانى، (١٢٢/٢١).

(٢) سورة النمل، آية: ٧٩ .

(٣) سورة الدخان، آية: ٧ .

(٤) سورة الذاريات، آية: ٢٠ .

(٥) سورة الجاثية، آية: ٤ .



تبارك من السحاب وغيرها ... لآيات لقوم يوقنون<sup>(١)</sup>، إيقاناً تاماً لا يخالطه أدنى شك فهي جميعها تدل على قدرة الله تعالى، وقدرة الصانع العظيم، وحكمته التي يعتبر بها أهل اليقين أهل العلم والمعرفة.

إن الريب في قدرة الله تعالى من أسباب المعاishi التي تجعل العبد في ضعف وخور في الإيمان، ويقينه بخالقه، ورازقه، ومدير أمره، فعدم خشية الله، ومراقبته يجعل العبد يستخف بوعده سبحانه ووعيده؛ لهذا كان لزاماً على كل عبد مؤمن أن يتقي الله ويخشأ حق خشيته، ولن يكون ذلك إلا بالعلم المستقر في القلب الثابت من الأسباب المتعينة له بحيث لا يقبل هذا العلم إلا الزيادة لا النقص والهدم.

فقوة اليقين تقوى التوكل على الله؛ لأن بقوة اليقين يزيد المسلم من ربه قرباً، وحباً، ورضى بما قسمه له سبحانه، من أمور معاشة وبه يتبع النور فيسألك العبد طريق السلامة .

ومن هنا نرى أنه كلما زاد الإيمان زاد اليقين، وكلما ضعف الإيمان ضعف اليقين؛ لأن اليقين هو لب الدين ومقصوده الأعظم، فينبغي على العبد أن يتقي الله عز وجل، ويصدق في ذلك لساناً ونية وإرادة وعزماً، ويكون بين الخوف والرجاء بما عند الله "فالخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

لذلك فإن من اتقى، وصدق، وحاف، ورجى، فسيسلم من وسوسات الشيطان ومداخله، ومن كان بعيداً عن ذلك، فإنه لا يسلم من مداخلات الشيطان، فربما بل حتماً سيعتقد فيما لا يستحق الاعتقاد، ويحاف من لا يستحق الخوف، فينقاد إلى الاعتقاد أن القضاء والرزق والمقدرات من عند غير الله، وبذلك سيقع توكله، واستعانته؛ لأن الصدق واليقين قريناً للتوكل فمن يقن ووثق بوعيد الله تعالى، وضمانه لا يحاف فوت رزقه، ولا منازعة أحد له في رزقه، ومعاشه.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٢٥).

(٢) سورة السجدة ، آية: ١٦ .

(٣) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تركيبة النفوس، ص ٣٢٧.

قال تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمَسْتَوَدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

أخبر تعالى أنه متکفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض صغيرها، وكثيرها بحريها وبريها، وأنه يعلم مستقرها، ومستودعها أي يعلم أين منتهي سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تکفل بأرزاقها، وأحاط علمًا بذواتها وصفاتها<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿ فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالآياتان الكريمتان السابقتان ينثجان بها الصدر، ويحصل بها اليقين والثقة عند علمه أن الله الكافي عباده الرزق وحصول المنافع، وهذا مما يوجب للعبد المؤمن القيام بتواجد الله، والاعتماد على ربه في حصول ما يحب.

فالمؤمن ينبغي عليه أن يدفع الضعف بمعرفة الله وبالوجوه التي تعرف من خلقه للخلق، وتدبره للخلق، ومن قدرته على الخلق وتکفله بأرزاق الخلق، وأماتته للخلق، وإحيائه للخلق، آلا له الخلق والأمر، تبارك الله أحسن الخالقين.

لأن ضعف اليقين والثقة بالله إذا استحكم، وغلف القلب، يورث ويقود إلى الخسران المبين، وإلى طول الأمل، ويورث التخبط في الدنيا، وعدم النظر إلى العواقب، ويضعف العلاقة بين المسلم وربه فيضعف التوكل على الله، ويزيد العبد خضوعاً واستكانة لغير الله وما لهذا خلق المؤمن، فقد خلق لعبادة الله، وتوحيده المتضمن أنواع التوحيد الثلاثة (ربوبية - ألوهية - أسماء وصفات).

(١) سورة هود، آية: ٦.

(٢) انظر: جامع البيان، (٤/٢٥٧)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٦٧٦)؛ وللطبرى، وللسعدى تيسير الكريم الرحمن، (٢/٣٦٨).

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٢-٢٣.

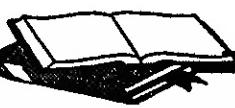
(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٨.



خلق لتدبر آيات القرآن الكريم، والاستفادة من علومه ومعارفه وأحكامه، ومعرفة أحاديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما تضمنته من علوم الإيمان وأعماله، فهذه جميعها من الأمور التي تقوى الإيمان وتجلبه للنفس حتى تسكن إلى المضمون، وتثق بالله، وينعقد القلب لسيده؛ لأنَّه إنْ أَعْطَى لَمْ يَقْدِرْ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يَمْنَعُوهُ، وإنْ مَنَعَهُ لَمْ يَقْدِرْ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يَعْطُوهُ؛ لِأَنَّ سُلْطَانَ اللَّهِ عَظِيمًا، وَبِتَوْكِيلِ الْعَبْدِ عَلَيْهِ يَكْفِيهِ، فَالْتَّوْكِيلُ مَحْضُ الإِيمَانِ وَالنَّاسُ يَتَفَاضَلُونَ فِي التَّوْكِيلِ، وَالإِيمَانُ عَلَى قَدْرِ الْيَقِينِ<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر : المحاسبي، آداب النفوس، ص ١٩٧-١٩٨.



## المبحث الثالث

### التكبر على آيات الله

إن الكبر والتكبر والاستكبار تتقرب معاناتها وتصريفاتها، فالكبر الحالة التي يتصف بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر على الله بالامتلاع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة، وهذا مذموم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(١)(٢)</sup>.

فذلك التعاظم، والتعالي، والتكبر رذيله بغيضة تنشأ عن الجهل فتدعوا صاحبها إلى المبالغة في تعظيم شخصه، إذ يرى محسنه بمجرد ، ويعمى عن عيوبه ونقشه، فيعتقد بذلك أنه فريد زمانه، وهذا لا يجد من الناس، إلا الاحتقار، وقد أراد أن يعظمه، ويكرهوه، وقد أراد أن يحبوه فهو ممقوت من الناس ممقوت من الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكَبِرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>، فياعجاً لهذا المخلوق الضعيف الذي يفخر بأصله، وهو من تراب، ويباهي بجسمه وهو إلى فناء وهلاك، وسيكون عما قليل عظاماً نخراً، فالمتكبر لا يعبد ربه حق عبادته، بل يعبد عنجهيته، وهو اهـ فكم من عبادة أدتها كانت هوـى وعشقاً جارفاً، ويوهم نفسه أنه يجاهد في سبيل الله، وهو إنما يجاهد في سبيل رضا هوـاه.

”والكبر مناف للأمر الذي خلق الله له الخلق، وأمر لأجله بالأمر، فالله تعالى خلق الخلق سبحانه، وأنزل الكتاب لتكون الطاعة له وحده والكبر ينافي ذلك“ <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية: ٣٤ .

(٢) انظر: للأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٣٨؛ وللفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٦٠٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٢٣ .

(٤) ابن القيم، الداء والدواء، ص ١٩٥ .

فالقرآن الكريم كله دعوة للنفس الإنسانية إلى السلوك القويم، والعقيدة الصحيحة يتبعها السلوك الصحيح، والقرآن الكريم فيه نماذج للأخلاق الديمية التي ينهى عنها ويحذر منها صيانة للنفس الإنسانية؛ ولما يترتب على هذه الأخلاق من المفاسد، وارتفاعاً بها إلى درجة من السمو الخلقي والأخلاقي، والكمال النفسي.

"**فَعُنْ أَبْنَ مُسْعُودَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ - لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مُثْقَلٌ ذَرْتَهُ مِنْ كَبُورٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرْتَهُ مِنْ إِيمَانٍ**" فَقَالَ رَجُلٌ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ "الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثُوبَهُ حَسَنًا، وَنَعْلَهُ حَسَنًا فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكَبُورُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ" <sup>(١)</sup>.

فالحديث الشريف بياناً لمعنى الكبر الحقيقي وهو إنكار الحق والترفع عنه والتجبر فيه، واحتقار الناس والاستهانة بهم.

إن هذا السلوك الديمي مانع وحاجز لمفهوم التوكل على الله، فالمتكبر قلبه مريض بعدم الخضوع، والإذعان، والانصياع للحق ولا أوامر له سبحانه فلا يرى ميزة الآخرين، ولا يذكر لغيره فضلاً عليه، والمتكبر كنود كفور لا يطيق أن يعترف بفضل ذي الفضل عليه، ولا يترازن أن يشكر إحسان من أحسن إليه، والمتكبر حسود حقد يمقت كل عظيم، وينقم على كل كبير، ولا يرى إلا نفسه ولا يفكر إلا في ذاته، ويتمسك ويتussب لرأيه الباطل.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقِ اللَّهَ أَخْذَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ أَلْمِهَادُ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وعلى ذلك فإن أهل الكبر والإصرار إلى النار صائرون، وأهل الكبر والتجبر مطبوع على قلوبهم.

(١) رواه مسلم، (٩٣/١)، ح (٩١) كتاب الإيمان .

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٦.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾<sup>(١)</sup>.

"فَكَمَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمَارِقِينَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، يَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ جَمِيعِ الْمُتَكَبِّرِينَ الْجَبَارِينَ الَّذِينَ آبَوَا أَنْ يَوْحِدُوا اللَّهَ وَيَصْدِقُوا رَسُولَهُ، وَاسْتَعْظَمُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَيُصَدِّرُ عَنْهُمْ أَمْثَالَ مَا ذَكَرَ مِنِ الإِسْرَافِ وَالْأَرْتِيَابِ، وَالْجَدْلُ بِغَيْرِ الْحَقِّ"<sup>(٢)</sup>.

فيتكبر بذلك على الطاعات، والأوامر ويعتقد في نفسه أنه خير من غيره وأنه يجتهد، وبهذا يزهو بما يكون منه حسناً أو قبيحاً ويتمتع على ذلك المتكبر للانقياد، والإذعان لمن يعتقد أنه أقل منه علماً ودراءة، وبهذا يضل ويخرى خاصة إذا عاند وأصر وكابر عن الحق، ويطبع هذا الخالق على قلب كل متكبر عليه، تكبر على توحيد الله متعظم عن اتباع الحق، إن فرعون علا وتكبر في الأرض فساء مصيره إلى نار جهنم، ولمجادلته في آيات الله بالباطل من غير حجة ولا برهان.

"فالكبُرُ والتَّكْبُرُ عَلَىٰ آيَاتِ اللَّهِ مِنَ الْمَهَكَاتِ، وَلَنْ يَتَمَ وَيَنْجُعَ الْعَلاجُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ مَقْدَارُ نَفْسِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَذْلُّ مِنْ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَيَكْفِيهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَصْلِ وَجُودِهِ بَعْدِ الدُّمُرِ مِنْ تَرَابٍ، وَلَيَعْلَمُ أَنَّ الْكَبُرَ لَا يَلِيقُ بِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا تَكَبَّرَ صَارَ مَمْقوِتاً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْضَا عَنْهُ"<sup>(٣)</sup>.

إن صفة التكبر لا تصح إلا لله سبحانه وتعالى فهو سبحانه المتكبر عن السوء، والنقص والعيوب لعظمته، وكرياته؛ لأنَّه سبحانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وهو المتعالي عن صفات الخلق، وعن عناية خلقه، فسبحانه كامل الذات متكبر وكبير وعظيم، فليس للإنسان أن يتكبر بمال أو جاه أو جمال أو قوة أو كثرة ونحو ذلك فجميعها من عند الله تعالى ولهها لمن شاء وأرادها لمن شاء<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (٨/٧٠).

(٣) انظر: لابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٤) انظر: لابن منظور، لسان العرب، (٥/١٢٩-١٣٠)؛ للغزالى أبوحامد، المقصد الأسى فى شرح معانى أسماء الله الحسنى، (قبرص، تط ١٤٠٧هـ)، ص ٧٥؛ مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس (٥/١٥٤).



أما المتكبر من العباد فهو جاحد طارد للحق، مهلك لنفسه، مغلق لأبواب الجنة " فكل من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله، ووضعه، وصغره وحقره، ومن تكبر عن الانقياد للحق فإنما تكبر على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفتة، ومنه قوله فإذا رده العبد تكبر عن قبوله، فإنما رد على الله، وتكبر عليه" <sup>(١)</sup>.

فإنسان مخلوق إلا لعبادة ربها، والتواضع له، واستصغار نفسه واحتقارها أمام عظمة الله.

فكل من لا يرى ذلك فقد يلقى وعيد ووعد ربها، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَلْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>. " فالمتكبر عن آياته الأفقية، والنفسية، والفهم لآيات الكتاب بعدم الاعتبار بها لأنها قد تكبر على عباد الله، وعلى الحق، وعلى من جاء بها، ومن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيراً كثيراً، وخذله، ولم يفقه من آيات الله، ما ينتفع به، بل ربما انقلب عليه الحقائق، واستحسن القبيح " <sup>(٣)</sup>.

" فالآية الكريمة شاهد على الوعيد الشديد لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطف بعباده عظيم، وإحسان إليهم كبير، من حيث توعد من ترك طلب الخير منه، واستدفع الشر بالدعاء بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة الشديدة، فينبغي توجيه الرغبات إليه، والتعويل في كل المطالب على الله، فهو سبحانه أرشد إلى التوكل عليه، وكفل لنا الإجابة، بإعطاء المطالب وحصول الرغبات، فهو كريم جواد يجيب دعوة الداعي إذا دعا، فسبحانه يغضب على من لم يطلب من فضله العظيم، وملكه الواسع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا" <sup>(٤)</sup>.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٣٤٦/٢).

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (١٥٩/٢).

(٤) انظر: للمراغي، تفسيره، (٨٨/٨).

فبالكبير ينحط العبد في مطالبه، ويتخبط في مسالكه، وطرقه والنتيجة هي بعد عن الله، والشعور بالضيق والضياع، فينبعي على العبد إذا شعر بأثار وأعراض هذا المرض والخلق الذميم في نفسه وأن يعالج نفسه وذلك بقطع وبتر جذور هذا الخلق من مغرسه في القلب ويدفع العارف منه بالأسباب التي قد يتکبر فيها، وذلك أن يعرف نفسه ويعطيها قدرها وحقها، ويعرف نفسه صفات ربه تبارك وتعالى ويفعل ذلك في إزالة الكبر على الله تعالى وعلى رسوله وطاعة الله وطاعة رسوله، أما المتکبر بالغنى، والجمال والكثرة، وعلو المناصب فهذا يعالج نفسه بأن يعلم أن هذا كله مما أعطاهم الله إياه وتفضل به عليه، ولنبيه  
شكراً لله، والتواضع له.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زِيَّنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

"فالكبير مفتاح الشقاء، والمتکبر هو الذي لم تفتح بصيرته ليكون بهدایته نفسه كفيلاً، وباقي في العمى، فاتخذ الهوى قائداً، والشيطان دليلاً، فالكبير يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق"<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَنِي مُسْتَكِبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذْنَيْهِ وَقَرَأَ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَلِّ لَكُلَّ أَفَاكَ أَثِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> يسمع ءايات الله تُتلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكِبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة إبراهيم ، آية: ٧ .

(٢) انظر: للغزالى، إحياء علوم الدين، (القاهرة: دار الشعب)، (٣٤٥/٣).

(٣) سورة لقمان، آية: ٧ .

(٤) سورة الجاثية، آية: ٧ - ٨ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَيْنَتِنَا وَأَسْتَكَبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجَ أَلْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالتكبر هو من الأسباب المبعدة عن الخير وأبوابه، وتبعده عن طاعة الله وعن مأمورات الخالق التعبدية، والقلبية، والسلوكية، فالمتكبر منصرف عن الاستعانة بالله، والإنابة إليه، والتوكيل عليه وتعمى بذلك بصيرته، ولا يرى الحق، ويصر على التعالي، ولا يسمع، ولا يعي لنصح ناصح، فيهلك، ويغضب الله، ويكرهه الناس وفي هذا " قال رسول الله - ﷺ - في حديث حارثة بن وهب أنه سمع النبي - ﷺ - قال: "أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ - ﷺ - " كُلُّ ضَعِيفٍ مُنْظَهٌ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟" قَالُوا: بَلَى بِإِرْسَالِ اللَّهِ، قَالَ: " كُلُّ عَنْلَ جَوَاظٍ مُتَكَبِّرٍ" <sup>(٢)</sup>".

فلينظر العبد إلى مصيره، وليحاول جاهداً نفسه لمرضاة ربه ويعمل على تقواه وخشيته، وليدفع عن نفسه الكبر بالتواضع، وليدرك نفسه بماله ومرجعه ويحاسب نفسه حتى لا يذل، ولا يضلل، فكلنا من تراب، وسنديس في تراب، فلنعمل وننال المثوبة والجزاء الحسن.

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري، ح(٦٦٥٧) كتاب الإيمان والنذور؛ ومسلم، (٤/٢١٩٠)، ح(٢٨٥٣)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها واللفظ له .



## المبحث الرابع

### الغرور والعجب بالنفس

إن الغرور والعجب بالنفس يحصل بالاستعظام، ونسيان النعمة دون توقع جراء عليه فهما مذمومان، وماهما إلا نتيبة للكبر، وهما من أحد أسبابه، قال تعالى في محكم التنزيل ذاما العجب ﴿وَيَوْمَ حُنِينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالغرور والعجب بالنفس ثمرة من شر ثمرات الكبراء، والغفلة، والجهل يعميان البصيرة عن الحق، ويبعدان عن الصواب، ويسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، ففي وقعة حنين كان معسراً رسول الله - ﷺ - في غاية الكثرة والقوة، فلما أجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، ومتنى اعتمد الإنسان على الدنيا فاته الدين والدنيا، فالعبد عليه أن يسلخ نفسه من الغرور والعجب حتى لا يستوليا عليه، فلا ينفع بعد ذلك لا إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب، كما أنه يزداد بعدها عن الطاعات<sup>(٢)</sup>.

فإلا عجب والغرور بالنفس، وما شابههما ضلال يفضي بصاحبها إلى التعدي والعصيان، وهذا أمر ليس بجديد زماننا بل هو قديم " فمعركة حنين تعرض نتائج الانشغال عن الله، والاعتماد على قوة غير قوته، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنية، حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة، إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجrade للعقيدة، وإن الكثرة لتكون أحياناً سبباً في الهزيمة؛ لأن بعض الداخلين فيها، التائرين في غمارها، ممن لم يدركو حقيقة العقيدة، التي ينساقون في تيارها، فتزحل أقدامهم، وترجف في ساعة الشدة، فيشيرون للاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ماتخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق

(١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

(٢) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٦-١٧ (٢١/٨).

صلتهم بالله اشغالاً بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسر النصر في  
الحياة<sup>(١)</sup>.

فالغرور يلزمه العجب بالنفس، وكلاهما داع إلى بعض لامحالة؛ لأن من خدع في نفسه فسيعجب بها، ويظن أنه وصل للكمال من علم أو عمل؛ لأن المغتر غرته نفسه، وشيطانه، وهواه، وأمله الخائب الكاذب بربه حتى أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني، والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك إلى من لا يسكن إليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لا يأتي بخير، حال المغتر بالسراب.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَارَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَةٌ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى في وصف المغترين ﴿قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

إن غرور العصاة من المؤمنين بأن يرجوا كرم وعفو الله، ويسموه تمنيهم هذا رجاء وأنه محمود في الدين، وأن رحمة الله واسعة للمؤمنين إلا أنه قياس مشوب إذ المؤمن يعمل لما بعد الموت، والجاهل المغدور من تبع هواه وتمنى على الله، فليعلم العبد أن كل نعمة هي من الله منها عليها عليه، فإذا اعتقد العبد أن الله سبحانه وفقه للعبادة أو النعمة فقال : رأني الله أني أهلاً لها فهذا هو الإعجاب والغرور بالنفس، ووضع بذلك العبد نفسه في المهلكات والآفات.

قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٦١٨/٣).

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) سورة الكهف، آية: ١٠٣-١٠٤.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٠.



فالآية الكريمة تضمنت طائفة غر هم الشيطان "فعمدة أمر الشيطان إنما هو بـاللقاء الأماني في القلب، فهنا نبه تعالى على أن العمدة في دفع الأماني الشيطان، وتلك الأماني لاتفيد إلا الغرور، والغرور هو أن يظن الإنسان بالشيء أنه نافع، ولذلـثـم يتـبـين اـشـتـمالـهـ عـلـىـ أـعـظـمـ الـآـلـامـ وـالـمـضـارـ، وجـمـيـعـ أحـوالـ الدـنـيـاـ كـذـلـكـ، وـالـعـاقـلـ يـجـبـ عـلـيـهـ أنـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـهـاـ، ومـثـالـ هـذـاـ أـنـ الشـيـطـانـ يـلـقـيـ فـيـ قـلـبـ الإـنـسـانـ أـنـهـ سـيـطـوـلـ عـمـرـهـ وـيـنـالـ مـنـ الدـنـيـاـ أـمـلـهـ وـمـقـصـودـهـ، وـيـسـتـولـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ، وـيـقـعـ فـيـ قـلـبـهـ أـنـ الدـنـيـاـ دـوـلـ فـرـبـمـاـ تـيـسـرـتـ لـهـ كـمـاـ تـيـسـرـتـ لـغـيـرـهـ، إـلـاـ أـنـ كـلـ ذـلـكـ غـرـورـ، فـإـنـهـ رـبـمـاـ لـمـ يـطـلـ عـمـرـهـ، وـإـنـ طـالـ فـرـبـمـاـ لـمـ يـجـدـ مـطـلـوبـهـ، وـإـنـ طـالـ عـمـرـهـ وـوـجـدـ مـطـلـوبـهـ عـلـىـ أـحـسـنـ الـوـجـوهـ فـإـنـهـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ عـنـ الدـوـتـ فـيـ أـعـظـمـ أـنـوـاعـ الـغـمـ وـالـحـسـرـةـ، فـإـنـ الـمـطـلـوبـ كـلـمـاـ كـانـ أـلـذـ وـأـشـهـىـ، وـكـانـ الـأـلـفـ مـعـهـ أـدـوـمـ وـأـبـقـىـ كـانـتـ مـفـارـقـتـهـ أـشـدـ إـيـلـامـاـ، وـأـعـظـمـ تـائـيرـاـ فـيـ حـصـولـ الـغـمـ وـالـحـسـرـةـ" <sup>(١)</sup>.

" وعلى ذلك فإن الشياطين تغـرـ المغـرـينـ بـالـلـهـ وـيـطـمـعـونـهـ مـعـ إـقـامـتـهـ عـلـىـ مـاـ يـسـخـطـ اللـهـ، وـيـغـضـبـهـ فـيـ عـفـوـهـ، وـتـجاـوزـهـ، وـيـحـدـثـونـهـ بـالـتـوـبـةـ لـتـسـكـنـ قـلـوبـهـ ثـمـ يـدـافـعـونـهـ بـالـتـسوـيفـ حـتـىـ يـهـجـمـ الـأـجـلـ فـيـؤـخـذـونـ عـلـىـ أـسـوـاـ أـحـوالـهـمـ، وـفـيـ ذـلـكـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

وـالـمـغـرـورـ بـرـبـهـ يـصـرـ عـلـىـ عـصـيـانـهـ فـيـسـيـءـ إـلـىـ نـفـسـهـ، وـيـظـلـمـهـ حـيـثـ كـانـ يـجـبـ أـنـ يـنـفـعـ حـيـاتـهـ الدـنـيـاـ لـكـسبـ آخـرـتـهـ.

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مج ٦-٧، (٥١/١١).

(٢) سورة الحديد، آية: ١٤.

(٣) ابن قيم الجوزية، الروح (الرياض: دار الرشد بدون نٌٰط) ص ٢٤٥.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا أَتَقُولُوا أَنَّ اللَّهَ وَلَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لَغَدْ وَأَتَقُولُوا أَنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

فالمعنى الذى تتضمنه الآية الكريمة هو فلينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه، عملاً صالحاً ينجيه أم سينما يوبقه، فلنلق الله من ترك أمره وإلا أنساناً حظوظ أنفسنا، بأن لم نقدم لها خيراً<sup>(٢)</sup>.

لذلك فلينظر المؤمن في خاصة نفسه، ويعمل بطاعة الله، وطاعة رسوله حتى لا ينال بمعصية الله ورسوله العاقبة السيئة، ويكون من الفاسقين عن أمر الله تعالى خارجاً عن طاعته، فهذا الغرور والعجب بالنفس لهو من سبل الشيطان يزين للعبد أن طاعاته أكثر من معاصيه.

"وَمِنَ الْعَصَةِ مَنْ يَغْرِي، فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ، وَإِنَّمَا نَتَكَلَّ عَلَى عَفْوِهِ، وَرِبِّمَا اغْتَرَوْا بِصَلَاحِ أَبَانِهِمْ وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ، وَمَنْ رَجَا الْغَفْرَانَ مَعَ الإِصْرَارِ، فَهُوَ مَغْرُورٌ، وَلَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ سُعَةِ رَحْمَتِهِ شَدِيدُ الْعَقَابِ، وَقَدْ قَضَى بِتَخْلِيدِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يُضُرُّهُ كُفُّرُهُمْ، وَقَدْ سَلَطَ الْأَمْرَاضَ وَالْمَحْنَ عَلَى خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ سَبَّحَانُهُ قَادِرٌ عَلَى إِذَا تَهَا، ثُمَّ خَوْفَنَا مِنْ عَقَابِهِ، فَكَيْفَ لَا تَخَافُ؟ فَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ سَائِقَانِ يَبْعَثُانِ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَا لَا يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ فَهُوَ غَرُورٌ يَوْضِعُ هَذَا أَنَّ رَجَاءَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْبَطَالَةِ، وَإِيَّاشُ الْمَعَاصِي"<sup>(٣)</sup>.

"وَالْعَجْبُ يَدْعُ إِلَى نَسْيَانِ الذُّنُوبِ وَإِهْمَالِهَا، وَيُسْتَعْظِمُ صَاحِبَهُ الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَيَتَبَجَّحُ بِهَا، وَيَمْنَى عَلَى اللَّهِ بِفِعْلِهَا ثُمَّ إِذَا أَعْجَبَ بِهَا نَسِيَ آفَاتِهَا، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ كَانَ أَكْثَرُ سَعْيِهِ ضَائِعًا،

(١) سورة الحشر، آية: ١٨-١٩.

(٢) انظر: للبغوي، معلم التنزيل، (٥/٣٥٦)؛ ابن الجوزي، زاد المسير، (٨/٢٢٤).

(٣) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣٧.

والعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويؤمن مكر الله وعذابه، ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها، ويمنعه ذلك من الاستشارة والسؤال، فيستبد برأيه ويكتفي به وبنفسه، وربما أعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له، فيفرح بكونه من خواطره، ويصر عليها، وربما أودى به ذلك إلى الهلاك خاصة لو كان هذا الرأي يتعلق بأمر من أمور الدين، ولذلك عد العجب من المهنّكات، ومن أعظم آفات العجب فتور سعي العجب لظنه أنه قد فاز، وأنه قد استغنى، وهذا الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه<sup>(١)</sup>.

فالغرور والعجب بالنفس داءان متصلان في النفس.

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشُوْا يَوْمًا لَا يَجِزُّ  
وَالدُّعَاءُ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْدِّهْرِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
فَلَا تَعْرَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالغرور من أنواع الجهل؛ لأن الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به فكل من سكن إلى هواه واعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغزور.

إن الحياة الدنيا غرور لمن أقبل عليها، والعجب زهو العبد بأعماله بما يكون منها حسناً أو قبيحاً، والرکون والاعتماد على مامنها حسن، ونسيان فضل المتنعم عليه صاحب الفضل والإحسان سبحانه، ولنعلم أنهم يبعدان عن طلب الآخرة لوجوه:

"أحدهما: أنه لو حصل للإنسان جميع مراداته لكان غمه وهمه أزيد من سروره؛ لأجل قصير وقته، وقلة الوثوق به، وعدم علمه بأنه هل ينتفع به أم لا."

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، (٣٧٠/٣).

(٢) سورة لقمان، آية: ٣٣.



ثانيهما : أن الإنسان كلما كان وجدانه بمرادات الدنيا أكثر كان حرصه في طلبها أكثر، وكلما كان الحرص أكثر كان تألم القلب بسبب ذلك الحرص أشد، فإن الإنسان يتوهم أنه إذا فاز بمقصوده، سكنت نفسه وليس كذلك، بل يزداد طلبه، وحرصه، ورغبته.

ثالثها: أن الإنسان بقدر ما يجد من الدنيا يبقى محروما عن الآخرة التي هي أعظم السعادات والخيرات، ومتى عرفت هذه الوجوه علمت أن الدنيا متع الغرور، وأنها كما وصفها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "اللين مسها قاتل سمها" <sup>(١)</sup>.

لذلك كان الغرور والعجب مذمومين؛ لأنهما يفضيان بالمرء لتفريط ما أمر الله به، ويظن المرء أنه من دخل في حب وكفاية الله، وأنه من يرزقه الله وينجيه. كذلك ما لأثارهما من إلحاق الأذى بالعبد بفساد العمل وفساد الثواب للأعمال وما سيؤدي ذلك إلى الطغيان، والجرأة على الله، وفي هذا منافاة لمعنى العبودية الحقة، فليعلم أن التوفيق للنعم وللفضائل هي من الله صاحب الفضل والإكرام.

(١) انظر: للفارز الرازي، مفاتيح الغيب، مج (٦٥)، (١٣٠/٩) - ومج (١٥-١٦)، (٢٩/٢٣٥).

## المبحث الخامس

### الهوى والشهوات

إذا تأملنا أمراض القلوب من الجهل، وضعف اليقين، وضعف الثقة بالله تعالى، والتكبر والغرور، والعجب بالنفس، وكل ما يخطر من أمراض تصيب القلب وتوهن العبادة الحقة لله، فإننا نجد أن الدافع لها هو اتباع الهوى؛ لأن الهوى "ما هو إلا ميل النفس إلى ماتستذه من الشهوات من غير داعية الشرع"<sup>(١)</sup>، وقيل "هو ميل الطبع إلى ما يلائمه"<sup>(٢)</sup>.

**قال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ آلَسَمِوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعَرِّضُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

"فالهوى والشهوات متلازمان، ولكن الهوى مختص بالأراء، والاعتقادات، والشهوات مختصة بنيل المستذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وعلى ذلك فإن الهوى أصل وهو أعم"<sup>(٤)</sup>.

إن الهوى والشهوات مرض يصيب القلب، ويوجب الفساد في القصد والإرادة، وعلى ذلك فقد استخلصت قسمين للناس فيه :

القسم الأول : ظفر الهوى والشهوات بالنفس فملكها وأهلكها وصارت طوعا لها تحت أوامرها.

والقسم الثاني : أن تظفر النفوس وترتفع عن الهوى والشهوات وتصير هواها وشهواتها على مقتضى الكتاب والسنة.

(١) الكفوى، الكليات معجم في المصطلحات والفرق الفردية، قابلة على نسخة خطية، د/عدنان درويش-محمد المصري، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي تط الثانية ١٤١٣هـ)، (٥/٣٤٤).

(٢) ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالى (القاهرة: دار الكتب الحديثة، تط ١٣٨١هـ)، ص ١٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٧١.

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا (بيروت، تط ١٩٧٨م) ص ٣٨.

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الهوى وهذه النفس الأمارة بالسوء، والرب يدعوك عبده إلى خوفه، ونهى النفس عن الهوى، والقلب بين الداعين يميل إلى هذا مرة وإلى هذا مرة، وهنا موضع المحنّة والابتلاء.

والشهوات تخون العبد وتسبب له المعاشي وتدفع لها، وتخبت بالنفس، "فإن العبد إذا وقع في شدة أو كربة، أو بلية خانه قلبه ولسانه، وجوارحه بما هو أفعى شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكّل على الله تعالى، والإنابة إليه، والجمعية عليه، والتضرع، والتذلل، والانكسار بين يديه، ولا يطأوه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر الذكر، ولا ينحبس القلب واللسان على الذكر، بل إن ذكر أودع ذكر بقلب لا ه سا ه غافل، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تتقى له ولم تطاوئه"<sup>(١)</sup>.

قال تعالى : ﴿يَدَاوُدُ انَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهُوَى فَيُضْلِلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن رعاية الله لعبد داود ولعباده جميعا أنه نبه للنهاية البعيدة التي تترتب على اتباع الهوى ونتائجها من الضلال عن سبيل الله<sup>(٣)</sup>.

"إن اتباع الهوى قد يكون اختيارا، وقد يكون كرها، والنهي عن اتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه، فاما اتباع الاختيار فالحذر منه ظاهر، وأما اتباع الاضطراري فالخلص منه بالانسحاب مما جره إلى الإكراه.... فالهوى كناية عن الباطل، والجور، والظلم لما هو متعارف من الملزمة بين هذه الأمور،

(١) انظر: لابن القيم، الداء والدواء، تقديم محمد غازي، (جده: دار المدنى، تـ ١٤٠٣ـ)، ص ١٢٣.

(٢) سورة ص، آية: ٢٦.

(٣) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٠١٨/٥).

وبيـن هوـى النـفوسـ، فـإن العـدلـ وـالإـنـصـافـ تـقـيلـ عـلـى النـفـوسـ فـلـاتـهـواـهـ غالـباـ، وـمـنـ صـارـتـ لـهـ مـحـبـةـ الـحـقـ سـجـيـةـ فـقـدـ أـوـتـيـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـ وـأـيـدـ بالـحـفـظـ أوـ الـعـصـمـةـ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ هَوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فـالـلـهـ تـعـالـىـ أـنـزـلـ الـحـقـ مـتـواـصـلاـ بـعـضـهـ أـثـرـ بـعـضـ حـسـبـماـ تـقـضـيـهـ الـحـكـمـةـ أوـ مـتـتـابـعـاـ وـعـدـاـ وـقـصـصـاـ، وـعـبـراـ، وـمـوـاعـظـ وـنـصـائـحـ لـذـلـكـ فـيـجـبـ الـاحـتـازـ عنـ اـتـابـعـ الـهـوـىـ وـالـانـهـمـاكـ فـيـهـ فـمـنـ كـذـلـكـ فـهـوـ أـضـلـ مـنـ كـلـ ضـالـ<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴾<sup>(٥)</sup>.

إـنـ اـتـابـعـ الـهـوـىـ لـظـلـمـ لـلـنـفـسـ فـالـلـهـ تـعـالـىـ يـرـشـدـ لـلـحـقـ، وـيـنـبـهـ عـلـىـ أـنـ مـنـ اـتـبـعـ أـهـوـاءـ الـزـائـفـةـ، فـهـوـ وـاـضـعـ لـلـشـيـءـ فـيـ غـيرـ مـوـضـعـهـ، وـهـوـ بـذـلـكـ مـعـرـضـ نـفـسـهـ لـلـعـذـابـ الـخـالـدـ، فـالـكـلـ مـفـتـقـرـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ فـلـابـدـ مـنـ إـنـابـتـهـ، وـتـوـكـلـهـ وـلـاـ نـشـرـكـ مـعـهـ أـحـدـاـ أـبـداـ<sup>(٦)</sup>.

فـالـحـقـ سـبـحـانـهـ هـوـ الـهـدـىـ، وـغـيرـهـ وـمـاـيـدـعـهـ إـلـيـهـ مـنـ الـآـرـاءـ وـالـأـقـوـالـ إـنـمـاـ هـوـ هـوـىـ؛ـ لـأـنـهـ قـادـمـ مـنـ أـقـوـالـهـمـ الـتـيـ لـاتـمـتـ بـالـدـيـنـ الـمـعـلـومـ صـحـتـهـ بـالـدـلـائـلـ الـقـاطـعـةـ،ـ فـكـلـ مـنـ لـاذـ إـلـىـ الـحـقـ فـلـقـدـ لـجـأـ إـلـىـ الـمـعـيـنـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـعـصـمـ النـاسـ إـذـاـ قـامـواـ بـالـطـاعـةــ.ـ وـيـحـذـرـ تـعـالـىـ عـنـ مـتـابـعـةـ الـهـوـىـ وـالـشـهـوـاتـ اـسـتـعـظـامـاـ لـصـدـورـ الـذـنـبـ مـنـ تـلـكـ الـأـهـوـاءـ الـزـائـفـةـ الـمـضـلـةـ،ـ وـيـؤـكـدـ وـيـبـالـغـ فـيـ التـحـذـيرـ سـبـحـانـهـ وـقـدـ كـانـتـ مـنـهـ حـكـمـتـهـ

(١) انظر: لـابـنـ عـاشـورـ، التـحـرـيرـ وـالتـوـيـرـ، (٢٤٤/٢١-٢٣-٢٢).

(٢) سـوـرـةـ الـقـصـصـ، آـيـةـ: ٤٩ - ٥٠.

(٣) انـظـرـ: لـلـأـلوـسـيـ، رـوـحـ الـمعـانـيـ، مجـ (٩٢/٢٠-١٩).

(٤) سـوـرـةـ الرـوـمـ، آـيـةـ: ٢٩.

(٥) انـظـرـ: المـصـدـرـ السـابـقـ، مجـ (٣٨/٢٢-٢١).

تعالى في إرسال الرسل بعضهم إثر بعض حتى لا يطول الإنذار فتقسو القلوب وتنسى الشرائع، وتقوم الأمم على تحريف، وتأويل تلك الشرائع على حسب أهوائهم، وتبعاً لشهواتهم، فقد وعد تعالى اتباع الهوى والشهوات بوعود قاسية لتحقيرهم، وتوبخهم فلن يكون لهم ولی ولا نصیر ولا واق يقيهم عذابه، فعلى المؤمن أن يرجع إلى ربه ويثبت على حكمه وشرعه فمن أطاع هواه كان قلبه غافلاً عن ذكر الله لسوء استعداده واتباع شهواته وإسرافه في ذلك غایة الإسراف، وتمادي في اجتراح الآثام، والأوزار فكانت النهاية الهلاك والعطب والخسران<sup>(١)</sup>.

هذا وقد ذم رسولنا الكريم - ﷺ - (اتباع الهوى والشهوات) (فعن أبي أمية الشعbanي<sup>(٢)</sup>، قال أتى بنت أبا شعبة الخشني<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنها - فقالت له كيف تصنم في هذه الآية؟ قال آية آية؟ قلت قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرو، سأله عنها رسول الله - ﷺ - فقال: "بل ائتمروا بالمحروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شيئاً مطاماً، وهو مشبهاً، ودنياً مؤثرة، وإن عجائب كل ذي رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قال

(١) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٠٩/١)؛ المراغي، تفسيره، مجلد (١٦٥/١)، مجلد (١١٣/٥)؛ ولسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٣٥٤/٧).

(٢) أبي أمية الشعbanي الدمشقي اسمه يحمد، وقيل عبدالله بن أخامر، تهذيب التهذيب، .(١٧/١٠)

(٣) أبو ثعلبة الخشني، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، قيل إن اسمه جرثومه، وفي كل جرم؛ انظر: تهذيب التهذيب، (٥٣/١٠).

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

**عبدالله بن المبارك<sup>(١)</sup> وزاد في غبي عنترة قبل يارسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟ قال بل أجر خمسين منكم<sup>(٢)</sup>.**

"فالواجب الذي يلزم العمل به هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقة لما أمره الله به معبوده جل وعلا، فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه، فقد صرف جميع ما يستحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلى هواه، فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح، فمن أضل الله فاتخذ إلهه هواه.....، فلا يكون أحد عليه وكيلًا أي حفيظاً يهديه، ويصرف عنه الضلال الذي قدره الله عليه؛ لأن الهدى بيد الله وحده لا بيد أحد"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما كان من معنى في قوله تعالى: ﴿أَرَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ أَفَأَنَّتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فالهوى والشهوات صادان عن الحق يذهبان نور الإيمان من القلوب، ويسلبان محسن الوجوه، ويورثان البغضة في قلوب المؤمنين، وهم مصايد هلاك ، فالتوكل على الله تعالى من العبادات التي ينبغي أن يكون مبنها على الشرع والاتباع لسنة رسولنا - ﷺ ، لا على الهوى والابتداع والشهوات، فالإسلام مبني على أصلين أساسين :

أولهما: عبادة الله وحده لا شريك له .

ثانيهما: نعبده على ماجاء من شرع رسوله - ﷺ .

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاه أبو عبد الرحمن المروزي، ولد ١١٨هـ، وتوفي ١٥١هـ. انظر: تهذيب التهذيب، (٤٥٧/٤).

(٢) الترمذى (٣٠٥٨) واللطف له، وقال حسن غريب؛ وأبوداود (٤٣٤١)؛ وابن ماجه (٤٠١٤)؛ والبغوي في شرح السنة (٣٤٨/١٤) وقال محققه للحديث شواهد فيتقوى بها.

(٣) انظر: للشنباطي ، أضواء البيان، (بيروت: عالم الكتب بدون نظ) (٣٣٠/٦).

(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٣ .

فنعلم من ذلك أن جميع المعاشي تنشأ من ترك الأصلين، وتقديم هوى النفس، وتخبط الشيطان، فينبغي على المرء المؤمن اللجوء إلى الله تعالى في دفع ذلك عن القلب، وماسمى الهوى هو إلا لأنه يهوي بصاحبها إلى قعر جهنم، ولكن التأسي بصفات السابقين الأولين رضي الله عنهم وأرضاهم، ومحاولة تتبع ما حذروا منه، والسير على منهاجهم والتمسك بما جاءوا به، وتمسكون به من حق، فقد اقتضت سنة الله تعالى في أن يبذل العبد لكل شيء ما يناسبه، فللاندريا سعي، ولآخرة سعي وللفضائل سعي، وللرذائل سعي.

إن جميع العوائق، والحواجز السابقة المذكورة وغير المذكورة لا يمكن علاجها إلا بمجاهدة النفس والاستعانة بالله تعالى والإنابة إليه، والتعود على تركها فهدایة الإنسان ممكنة إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: للجزائرى، أيسر التفاسير (المدينة: مكتبة العلوم والحكم تط الثالثة، ١٤١٨ـ٦٦٨).

## الفصل السادس

### ثمرات التوكل على الله

**وفي هذه :**

**تمهيد .**

**المبحث الأول: تحقيق الإيمان .**

**المبحث الثاني: السكينة والثبات .**

**المبحث الثالث: الأمل والرجاء .**

**المبحث الرابع: محبة الله تعالى ودخول الجنة بغير حساب.**

**المبحث الخامس: الرضا والصبر .**

**المبحث السادس: العزة والقوة .**

**المبحث السابع: يقي من تسلط الشيطان والسحر والحسد والعين.**

**المبحث الثامن: كشف الهم والكرب .**

**المبحث التاسع: يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار.**

**المبحث العاشر: الدخول في كنز وكفاية الله.**

**المبحث الحادى عشر: الفوز والغلبة .**

**المبحث الثاني عشر: التسليم للقضاء والقدر.**

## الفصل السادس

### ثواب التوكل على الله

**التمهيد:**

إن القرآن الكريم كتاب الله للعالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه  
تعهده سبحانه بالحفظ إلى يوم القيمة .

كتاب نزل تشريعاً، ونزل بلاغاً، ونزل منهاجاً، ونزل لترسيخ عقائد وسلوك،  
تقوم هذه العقائد بالمرء إلى السمو والتعالي، فالهدف الأسماى منه هو توحيد العبادة  
له وإخلاصها له، وسلامة القصد والعمل من الانحراف عن جادة الحق في عبادة الله  
أو معاملة المخلوقين، وبهذا نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة ونيل الثواب  
وال الكرمات.

قال تعالى : «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَلَنُحِينَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ»<sup>(١)</sup>.

فكل عمل أمرنا به الله عز وجل هو تمجيد له سبحانه؛ ولأن العمل يكمل به  
الإيمان ويدل على وجود الإيمان، يقول الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ  
- في حديث أبي هريرة -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ- "أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا"<sup>(٢)</sup>.

فالقرآن والإسلام يقيمان أخلاقاً على أساس روحية ضرورية لبناء صرح  
أخلاقي ثابت، فالعمل الصالح، وكذلكخلق الحسن هو الثمرة المباركة للإيمان،  
ونور الإيمان يضيء للمؤمن طريقه، وبنور الإيمان يجد المؤمن نفسه في سكينة

(١) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٢) الترمذى (١١٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وأبوداود (٤٦٨٢)؛ وأحمد (٥٢٧/٢)؛  
والبيهقي في الشعب (٢٦/١) وقال مخرجه: إسناده عنده حسن؛ والحاكم في مستدركه  
(٣/١)، وسكت عنه، وقال الذهبي: صحيح؛ وذكره الألباني في الصحيحة (٢٨٤).



وثبات، وأمل ورجاء، وفي رضا وصبر، لما قدر وكتب الله، ويكون بنور الإيمان في عزة وقوة ومامن مؤمن يُقبل على الإيمان إقبالاً صادقاً باتباع الأوامر، واجتناب النواهي إلا وكان له من الجزاء الغنى والكافية، وكشف الهم والفوز والغلبة بهذه الجزاءات، وهذه الثمرات "مكافأة من الله تعالى على فعل المؤمن"<sup>(١)</sup> في توكله على ربه، فهذه الثمرات دافع قوي لتنمية الثقة واللجوء والاستعانة والإذابة إلى الله تعالى، والاعتماد عليه في كل أمر من الأمور الدينية، والدنيوية، والرضا بقضاءه وقدره خيره وشره.

والتوكل على الله عز وجل يكون في استجلاب المنافع، ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة وقد جعل الله عز وجل لكل عمل من أعمال البر ومقام من مقاماته جزاء معلوماً، وجعل كفايته جزاء المتوكلا عليه ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإنتأمل هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل، ولم يجعله لغيره، وماهذا إلا دليل على أن التوكل على الله من أقوى السبل عنده وأحبها إليه فكل شجرة لها ثمار، ومن ثمار التوكل على الله عز وجل مايلبي هذا التمهيد الوجيز .

(١) انظر : للكفوبي، الكليات، (١٧٨/٢)؛ والأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٩١؛ وللفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٦٤٠.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٣ .



## المبحث الأول

### تحقيق الإيمان

إن أول ما يجب على الإنسان أن يكون موقفاً من قلبه بوجود الله تعالى، ويجب عليه أن يعرف أسماء الله وصفاته سبحانه حتى يمسك نفسه عن الخروج عن أمره سبحانه، وي العمل على طاعته ولا يكون ذلك إلا بالعلم المتمكن من أعماق القلب ليأمن قلبه، وحياته من العمل المخالف لله ولرسوله ﷺ.

والتوكل على الله من أعلى مقامات الإيمان، حيث لا إيمان إلا بالتوكل على الله وقد تقدم سابقاً أن من فضل التوكل على الله أن ربطه سبحانه بالتوحيد، فصلة الإيمان بالتوكل كصلة البذرة بالشجرة، قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَآفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن هذه الآية ظهر لنا التلازم بين الإيمان والتوكل على الله.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَأَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانَتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾١٢٣﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلنَّاسِ الظَّالِمِينَ ﴾١٢٤﴿﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الآية كان التوكل على الله شرطاً لتحقيق الإسلام.

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

(٣) سورة يونس، الآية ٨٤-٨٥.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَرَحَمُ مَنْ يَرَى وَعَلَيْهِ تَوَكَّلَنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالتوكل على الله أصل جامع تتفرع عنه العادات والأفعال، وهو خلاصة ونهاية تحقيق التوحيد وهو أحد مباني توحيد الألوهية وهو وجه كمال إيمان المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة التغابن، آية ١٣.

(٢) سورة الملك، آية ٢٩.

(٣) انظر: لسلیمان ابن عبدالوهاب، تيسیر العزیز الحمید فی شرح کتاب التوحید، (المکتب الإسلامي، ط الرابعة) ص ١١٠.

المبحث الثاني

السکینہ والثبات

إن التوكل على الله من شجر الإيمان الراسخ الذي ترسخ جذوره في قلب المؤمن، ويتمكن منه، ويثر ثماراً يانعة، ويعطي الظلل الباردة، ومن ثمراته السكينة والطمأنينة والثبات، فصاحبها يتعاهدها باستمرار، ويلاحظ نموها باستمرار، ويجني من ثمارها، مايجهني في النفس والحياة الاجتماعية " فالسكينة هي مايتجده القلب من الطمأنينة عند تنزيل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إليه شاهده ويطمئن، وهي زوال للرعب، وهي آمنة تسكن عندها القلوب "(١).

فالسکینة من خلال تعریفها السابق هي من لطائف صنع الحق، فإذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعـت، واكتسبت الوقار، وانطقـت اللسان بالصواب والحكمة، ويكون صاحبها إلى الله راغباً، ويكون بين يدي الله ربـه مجرداً من الأهواء، فهذه السکینة متضمنة النور، والقوة والروح، فالروح حـيـاة القلب، وبالنور يميز بين الحق والباطل، وبالقوة توجب له الصدق، وضبط النفس، ويزداد بذلك إيماناً مع إيمانه<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا  
أَيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

مباشرة السكينة القلب تثبته وتلهمه العزم، والإرادة، والاتباع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال، وبهذا يحصل اليقين، والرضى بكل ماقسم الله تعالى له من النصر والظفر.

(١) انظر : للرجاني، التعاريفات، حققه إبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي تط الرابعة ١٤١٨هـ)، ص ١٢٥؛ وللمناوي، التوقيف على مهامات التعاريف، حققه عبد الحميد حمدان، (القاهرة تط ١٤١٠هـ)، ص ١٩٦؛ وللكفوبي، الكليات، (٤٧/٣)؛ ولالأصفهاني، معجم مفردات لغاظ القرآن، ص ٢٤٣؛ وللفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٥٥٦.

<sup>(٢)</sup> انظر : لابن القيم، مدارج السالكين، (٥٢٧-٥٢٩).

(٣) سورة الفتح، آية: ٤ .

فالعبد حينما يرضي ويعلم أن ما قسم له من الله خالقه يفوض أمره إلى الله ويطمئن لما قسم له من نصر وظفر فإذا توكل العبد على الله حق توكله أنزل عليه السكينة والثبات.

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا بيان من الله تعالى بأن من استيقن ملاقاته هو من يثبت ويسارع إلى الجهاد، وبقضاءاته وقدره سبحانه ينصر ويقوى قلوب المؤمنين، فهذه التجربة تكمن في ثناياها العبر ومن العبر أن القلب الذي يتصل بالله في جميع أموره تتغير موازينه وتصوراته لأن الله يرى بعين الله تعالى، فالقلب تحقق له الإيمان الصحيح، والاطمئنان والسكينة إلى قدر الله والمضي في حمل التكاليف والواجبات دون هلع ولا جزع فالمقدر كائن الموت والحياة بيد الله في نهاية المطاف<sup>(٢)</sup>.

فلا يسكن إنسان بكثرة عدده، وعدته فإن النصر بيده ومن عنده وليس بكثرة العدد وشدة البطش، ولنا في معارك رسول الله -عليه السلام- الدروس وال عبر.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمُ بِهِ وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رُجُزَ الشَّيْطَانِ وَلَيُرِبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾<sup>(٣)</sup> اذ يوحى ربكم إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين ءامنوا سألكم في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بناءٍ<sup>(٤)</sup>.

دارت المعركة بأمر الله ومشيئته، أقبل المؤمنون على المعركة بكل عزم وقوة ولكن في النفس شيء من الخوف فهم قلة مستضعفة ورسول الأمة يستقبل القبلة وعليه ردائه وإزاره يقول: "اللهم أنجذلي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تعبد

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) انظر: للبغوي، معلم التنزيل، (٣٤٩-٣٤٨/١).

(٣) سورة الأنفال، آية: ١١-١٢.

فِي الْأَرْضِ أَبْدًا" ، فَمَا زَالَ يُسْتَغْيِثُ رَبَّهُ وَيُدْعُوهُ حَتَّى سُقْطَرَ دَارُهُ عَنْ مُنْكِبِيهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْذَ رَدَاءَهُ فَرَدَاهُ ، ثُمَّ التَّرَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَفَاكَ مِنْ اشْدُوكَ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ سَيْنَجِزُ لَكَ مَا وَعَدْتَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ فَزَعَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنفُسَهُمْ قَلَةً فِي مُوَاجِهَةِ خَطَرٍ لَمْ يَحْسُبُوا حَسَابَهُ إِذَا بِالنَّعَاصِ يَغْشَاهُمْ ، ثُمَّ يَصْحُونَ مِنْهُ وَالسَّكِينَةُ تَغْمُرُ نُفُوسَهُمْ وَالْطَّمَانِيَّةُ مَدَداً مِنْ أَمْدَادِ اللَّهِ لِلْعَصِبَةِ الْمُسْلِمَةِ يَوْمَ بَدرٍ ، وَهَذَا مَضْتِ الْأَحْدَاثُ وَالنَّصْرُ لَاحَتْ بِشَانِرِهِ وَتَمْ بِحَمْدِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> .

قَالَ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ نَصَرْتُكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذَبِّرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٤)</sup> .

إن معركة حنين من المعارك المهمة التي ممحص الله بها قلوب المؤمنين، "تمهدت الأمور وأسلم عامّة أهل مكة، وأطلقهم رسول الله - ﷺ - فبلغه أن هوازن جعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جشم، وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال، وهم قليل وناس من بني عمرو، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعيم، جاءوا بقضفهم، وقضي عليهم فخرج إليهم رسول الله - ﷺ - في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وقبائل العرب ومعه الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في ألفين فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له (حنين) فكانت فيه الواقعة في أول النهار في غلس الصبح،

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) انظر: للبغوي، معلم التنزيل، (٦٠٤/٢)؛ ولسيد قطب، الظلال، (١٤٨٤/٣).

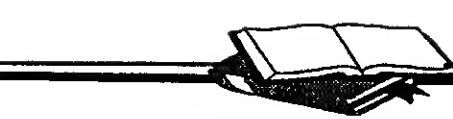
(٣) سورة التوبة، آية: ٢٥-٢٦.

انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما توجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم ورشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم أميرهم، فعند ذلك ولـى المسلمين مدبرين وثبت رسول الله وهو راكب بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمـه أخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب أخذ بركابها الأيسر يثقلانها لثلاث سرع السير وهو ينوه باسمـه عليه الصلاة والسلام ويدعـو المسلمين إلى الرجعة ويقول إلى عبـاد الله إلى أنا رسول الله، ويقول في تلك الحال: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب" وثبتـ معـه من أصحابـه قـرـيبـ من مـائـةـ، وـمـنـهـ مـنـ قـالـ ثـمـانـونـ، فـمـنـهـ أـبـوـ بـكـرـ، وـعـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ، وـالـعـبـاسـ، وـعـلـيـ وـالـفـضـلـ بـنـ عـبـاسـ، وـأـبـوـ سـفـيـانـ بـنـ الـحـارـثـ، وـأـيـمـنـ اـبـنـ أـمـ أـيـمـنـ، وـأـسـامـةـ بـنـ زـيـدـ وـغـيـرـهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، ثـمـ أـمـرـ رسولـ اللـهـ - ﷺـ. عمـهـ العـبـاسـ وـكـانـ جـهـيرـ الصـوتـ أـنـ يـنـادـيـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـ يـاـ أصحابـ الشـجـرـةـ يـعـنـيـ شـجـرـةـ بـيـعـةـ الرـضـوـانـ التـيـ بـايـعـهـ الـمـسـلـمـونـ مـنـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ تـحـتـهـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـفـرـوـاـ عـنـهـ فـجـعـلـ يـنـادـيـ بـهـمـ يـاـ أصحابـ السـمـرـةـ، وـيـقـولـ تـارـةـ يـاـ أصحابـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ، فـجـعـلـوـاـ يـقـولـونـ يـاـبـيـكـ يـاـبـيـكـ، وـانـعـطـفـ النـاسـ فـتـرـاجـعـوـاـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ - ﷺـ. حتـىـ أـنـ الرـجـلـ مـنـهـ إـذـ لـمـ يـطـاوـعـهـ بـعـيرـهـ عـلـىـ الرـجـوعـ لـبـسـ دـرـعـهـ، ثـمـ انـحدـرـ عـنـهـ وـأـرـسـلـهـ وـرـجـعـ بـنـفـسـهـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ - ﷺـ. أـنـ يـصـدـقـواـ الـحـمـلـةـ وـأـخـذـ قـبـضـةـ مـنـ تـرـابـ بـعـدـ مـاـ دـعـاـرـبـهـ وـاستـنـصـرـهـ وـقـالـ: "الـلـهـمـ أـنـجـزـ لـيـ مـاـ وـعـدـتـنـيـ" ثـمـ رـمـيـ الـقـوـمـ بـهـاـ فـمـاـ بـقـيـ إـنـسـانـ إـلـاـ وـأـصـابـهـ مـنـهـاـ فـيـ عـيـنـيهـ وـفـمـهـ مـاـشـفـلـهـ عـنـ الـقـتـالـ، ثـمـ انـهـزـمـوـاـ فـاتـيـعـ الـمـسـلـمـونـ أـقـفـاءـهـ يـقـتـلـوـنـ وـيـأـسـرـوـنـ وـمـاـتـرـاجـعـ بـقـيـةـ النـاسـ إـلـاـ وـالـأـسـرـىـ مـجـنـدـلـةـ بـيـنـ يـدـيـ رـسـوـلـ اللـهـ - ﷺـ - (١).

فـهـذـهـ الـمـشـاهـدـ الـعـظـيمـةـ فـيـهاـ عـبـرـ وـدـرـوـسـ مـسـتـفـادـةـ .

"فـأـوـلـاـ: نـصـرـ اللـهـ تـعـالـىـ الـمـؤـمـنـينـ، وـأـنـزـلـ عـلـيـهـمـ الـآـمـنـةـ وـالـطـمـائـنـةـ حـالـ النـصـرـ وـحـالـ الـهـزـيمـةـ.

(١) انـظـرـ: لـابـنـ كـثـيرـ، تـقـسـيرـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ، (٢، صـ ٥٣٧ـ ٥٣٨ـ) .



ثانياً: الإعجاب بالكثرة، والغفلة عن سبب النصر، سببان في الهزيمة في أول المعركة.

ثالثاً: حكمة الله تعالى في الهزيمة أولاً، ثم الخروج من المعركة بالنصر الحاسم في المجل. .

رابعاً: شجاعة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تجلت في وسط المعركة، وخوضه المعركة مع أصحابه وهو متوكلاً على ربه يدعوه ويلح في الدعاء "اللهم أنجـلـيـ ما وعـدـتـنـيـ" ، فهذه مقولـة الصادق الصدوق.

خامساً: الرسول الكريم وقد انكشف عنه جيشه وهو على بغلته وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه وما هذا إلا ثقة في الله وتوكلا عليه، وعلماً به أنه سينصره ويتم ما أرسله به ويظهره.

فالله تعالى أنزل السكينة ليثبت القلوب الطائرة القلقـةـ ويهدـيـ الانفعالـاتـ  
الثانـةـ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَاثِبُوا وَآذُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

المؤمن حريص على لقاء العدو كثيره أو قليله لنيل النصر أو الشهادة، والله تعالى بوعده الذي لا يخلفه يمدهم بالثبات، وهذا من عوامل النصر الحقيقة، وهو بدء الطريق إلى النصر، فأثبتت الفريقين أغلبهما، ولكن ماترجوه الفتـةـ المؤمنـةـ غيرـ مـاتـرـجـوهـ الفتـةـ الأـخـرىـ ولـيـعـلـمـ منـ ذـلـكـ المؤـمـنـينـ أـنـ الكـثـرـ لـاتـتـفـعـ وـأـنـ الـذـيـ أـوجـبـ الـنـصـرـ هـوـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ،ـ وـالـسـكـينـةـ الـمـنـزـلـةـ عـلـىـ قـلـوبـ الـمـؤـمـنـينـ،ـ تـوـجـبـ الـأـمـنـ

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٦١٦/٣).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

والطمأنينة، فالإنسان إذا خاف غر وفؤاده تحرك، وإذا آمن سكن، وثبت ، فالآمن موجب للسكون، كناية عن الآمن<sup>(١)</sup>.

فالسکینة الحقيقة ما يجعلها الله وقت المفزعات خاصة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد حينما تقوى الصلة بين العبد وربه، ويعلم أن غيره لن ينفعه، ولن يضره، فها هي الكثرة لم تغن عنهم شيئاً بل أصابتهم بالهم، والغم على رحبتها، وسعتها، في يوم حنين هزموا بالكثرة، ونصروا بقوة الله تعالى "فَإِنَّ التَّجْرِيدَ لِلَّهِ وَتُوْثِيقَ الْمَعْنَى بِهِ هِيَ عَدَةُ النَّصْرِ الَّتِي لَا تَخْذُلُ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ تَخْذِلُهُمُ الْكَثْرَةُ فِي الْعَدْدِ وَالْعَقَادِ، وَهِيَنِ يَخْذِلُهُمُ الْمَالُ، وَالْأَخْوَانُ، وَالْأُولَادُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الرَّدَاءَ رَدَاءَ السَّكِينَةِ فَأَلْبَسَهَا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُثْبِتَ الْقُلُوبَ، وَيَهْدِنَاهَا، فَلَا يَتَهَاوَنُ امْرُؤٌ فِي تُوْثِيقِ صَلَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ عَجَبَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ كَانَ لَهُ مِنَ الْعَقَبَاتِ الْكَبِيرَةِ فِي سَبِيلِ النَّجَاحِ، وَالظَّفَرِ، وَلِيَعْلَمَ كُلُّ مُؤْمِنٍ فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِكْرَامُهُ"<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا أَنْتَ فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِيهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْسَدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن خروجه - ﷺ - هي من بشائر النصر فقد خرج من مكة بأمر من رب سبحانه فأنزل الله السكينة والطمأنينة عليهما، والتاييد، والصون لرسولنا الكريم - ﷺ -، فالمتابع لسيرة الرسول - ﷺ - يعلم من خلالها يقيناً أنه أشد الناس؛ لأنَّه سيد

(١) انظر: الرازبي، مفاتيح الغيب، (٤١٦-٤٢٣)؛ ولابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٥٣٩)؛ ولابن الجوزي، زاد المسير، (٣/٤١٦)؛ ولطبرى، جامع البيان، (٤/٩٦).

(٢) انظر: لسيد قطب، الظلل، (٣/١٦١٨-١٦١٩)؛ للجزائري، أيسر التفاسير، (٢/٣٥٥).

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.



أولي العزم من الرسل وأشجعهم فحصار بيته في مكة، وخروجه منها بيان من الله لنصرة رسوله وبداية وتبشير للنصر، فماه تعلى مؤيد رسوله وكافيه وصحابه، فأنزل السكينة والطمأنينة وبهما سكنت النفس، واطمانت وذهب الخوف<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ اِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ الْجَاهِلَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ الْتَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ عَائِدَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُّ مُوسَىٰ وَءَالُّ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمَّا تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٥٩/٢)؛ ولطبرى، جامع البيان، ج٤، ص ١١؛ ولوهبه الزحيلي، التفسير المنير، (٢١٨/١٠-٩).

(٢) سورة الفتح، آية: ٤.

(٣) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٤٨.

(٦) سورة التوبة، آية: ٢٦.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْتَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلِيَّةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذه الآيات الكريمة السابقة التي ذكرت لفظ (السکينة) قال فيها "ابن القیم"<sup>(٢)</sup> كان شیخ الإسلام ابن تیمیه<sup>(٣)</sup> - رحمه الله تعالى - إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السکينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه لما اشتد على الأمر قلت لأقاربي ومن حولي، أقرأوا آيات السکينة، قال: ثم أقشع عني ذلك الحال وجلست **وَمِنْ آیَاتِ قُلْيَةٍ**<sup>(٤)</sup> ذكرت السکينة هي بيان بمكافأة الله لرسوله والمؤمنين وذلك باليقين والثبات للقلوب المتوكلة على ربها وهي تشعر بالأمن والسکينة والثبات إذا أضطرب، وقلقوا، وينسو، وسخطوا الناس.

ف حالة السکينة والثبات أشبه بعد هرب إلى مخبأ يأوي إليه مليء بالذخيرة من فقر إلى الله ولجوء، وإنابة، وتوكلاء واستعانة، ويقين يملأ النفس ظاهراً وباطناً.

فهذه السکينة الربانية ماهي إلا تهدئة الفورة، وتخفيف الحمية، واطمئنان القلب لحكم الله، وحكمة رسوله - ﷺ - في المهدنة، والملاينة وعن رضى الله عن المبايعين تحت الشجرة، وهذه السکينة ماهي إلا الطمأنينة، والراحة واليقين، والثقة، والوقار، والثبات والاستسلام، والرضى، فهذه جميعها انفعالات تجول في النفس المؤمنة المطمئنة الوقورة الهديئة التي تلقي بالمؤمن، وتلازم قلبه المؤمن الموصول

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته، ص ١٥٩ .

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تیمیه، تقى الدين، أبو العباس، توفي سنة ٧٢٨هـ.

انظر: البدر الطالع، (٦٣/١).

(٤) انظر: لابن القیم، مدارج السالکین، (٥٢٥/٢) .

بربه الساكن بهذه الصلة، المطمئن لما فيه من ثقة، المرافق لربه في كل خالجة، وكل حركة، فلا يبتطر، ولا يطغى، ولا يغضب لذاته إنما يغضب لربه ودينه، فإذا أمر أن يسكن ويهدأ خشع وخنع وأطاع في رضى وسكينة<sup>(١)</sup>.

ف والله تعالى علم من المؤمنين الصدق، والوفاء، والسمع، والطاعة بعدهما أ Zimmerman كلامه لا إله إلا الله فأنزل عليهم الطمأنينة، وأثابهم الفتح الذي أجراه سبحانه على أيديهم من الصلح، وما حصل بعد من الخير الجليل المستمر المتصل بفتح خيير وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العزة والنصر والرفة في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

لقد أوجد الله تعالى وخلق السكينة لقوية معنويات المؤمنين، فالحرب تظهر عزائم المؤمنين، وقوة إيمانهم، فقد انهزم المسلمون يوم أحد، وقتل من قتل منهم، وتقهقر من تقهقر، وثبت من ثبت، وقد مدح الله تعالى من ثبت، وصابر، وصبر فهو لاء لم يضعفوا، ولم يستكينوا لما أصابهم فأثابهم الله تعالى بالنصر والظفر والتمكين، وجمع لهم ذلك.

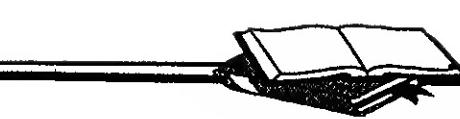
قال تعالى: ﴿ وَكَائِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا آسَتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن طاعة الرحمن تتطلب وتفتبي إيمانا راسخا كالجبل الراسيات فامتثال الأوامر فيه الخير الوفير إن عاجلا أو آجلا في الدنيا والآخرة معا.

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٣٢٩-٣٣١٧/٦).

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٩٣-٢٩٨)؛ وللرازي مفاتيح الغيب، (١٤-١٥/٨٠-١٠٠)؛ ابن الجوزي، زاد المسير، (٧/٤٢٤-٤٤١).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤٦-١٤٧.



فالسکینة والثبات من ثمرات التوکل على الله فهما من علامات اليقين والثقة برب العالمين، ودليل كمال الإيمان وحسن التوکل، ويفضيán إلى الرضا بما قسم الله وهم ما من صفات العلماء والأولياء ومن كان على أثرهم سيكون في زمرتهم وصحابتهم.

فدين أصحاب رسول الله - ﷺ - في السابق واللاحق وبين الحينة والحين يذكرنا الله تعالى ويدرك المؤمنين، بما أمنن عليهم من فضله في يوم بدر فقد كان النعاس أمانا لهم، آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم فقد ربط تعالى على قلوب المؤمنين بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء وثبتت الأقدام من الفرار ومعية الله بالإعانته والنصر والتأييد، فهذه القوة الإيمانية، والتعلق بحبل الله، والتوكيل عليه فهو سبحانه الرافع المعز الناصر بكل من عمل بأمره سبحانه ورسوله، وترك مانهاه عنه ورسوله سيكافأ بما هو أهل له، وكل من زاد إيمانه زاد تصدقه ويقينه، وسکینته وثباته وكان جزاً من الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوْا أَنفُسَكُمْ أَوْ أَخْرُجُوْا مِنْ دِيَرِكُمْ مَا فَعَلُوْهُ إِلَّا قَلِيلٌ ” مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوْا مَا يُوَعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَشْبِيختًا ﴾<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثالث

### الأمل والرجاء

المؤمنون ليسوا على درجة واحدة في معرفة أسماء وصفات الله تعالى كما أشرنا إلى ذلك؛ ولهذا تتفاوت درجات إيمانهم؛ ولذلك فإن المؤمنين المهتمين يؤمنون بأسماء الله وصفاته فيدعون الله بأسماهه، ويصفونه بصفاته غير مشبهين صفاته بصفات المخلوقين، ولا ممدوحين، ولا معطلين، مع الاعتقاد الجازم بأن الله ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

والقرآن العظيم عرض كثيراً من صفات أهل الإيمان، وتحدثت آياته عن أهمها، ودعت المؤمنين للاتصال بها حتى يعيشوا حياة إيمانية مباركة، والإيمان والعمل بها يكسب صاحبها نفعاً عاماً مجزياً وينحه مكاسب ضخمة، وأرباحاً في الدنيا والآخرة.

إن الإيمان والعمل بالتوكل الصحيح ينفع صاحبه نفعاً ملحوظاً في عالم الفضائل والقيم والأخلاق وفي عالم السعي والحركة والعمل والحياة ... فمن هذه المكاسب والثمرات الأمل والرجاء، والرجاء المقصود هنا بمعنى "الاستشارة بجود وفضل رب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله"<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْمُنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>. فالرجاء تغلغل في قلوبهم بعد توكيلهم على الله وملأهم الأمل في النجاة.

إن المؤمنين المهاجرين "فارقوا أوطنهم وعشائرهم ويطمعون في ثواب الله فهموا يتوقعونه، ويرجونه، والله تعالى يحقق لهم رجاءهم

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (٣٧/٢).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

إذا ماتوا على الإيمان والعمل الصالح<sup>(١)</sup>.

فالمؤمنون المهاجرون المجاهدون صدقوا الله ورسوله، وفارقو الأهل والأوطان وتركوا مساكنة المشركين في ديارهم، وكرهوا سلطان المشركين، فهاجروا توكلًا على الله وخوفاً من الفتنة في الدين، والإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وحاربوا في سبيل الله، ولحقوا بالنبي - ﷺ ، فأولئك يطمعون في رحمة الله وأولئك هم الكامل، فالله يجازيهم أحسن الجزاء؛ لأنهم قد استقرعوا ما في وسعهم، وبذلوا غاية جدهم، ولم يدخلوا وسيلة فيها مرضاة لربهم إلا وفعلوها، فحق لهم أن ينالوا الفوز والفلاح والسعادة، والله تعالى واسع المغفرة للتابعين المستغفرين، عظيم بالمؤمنين يحقق لهم رجاءهم إن شاء بعميم فضله وعظيم طوله، قال قتادة<sup>(٢)</sup> :

"هؤلاء خيار هذه الأمة، قد جعلهم الله أهل رجاء، ومن رجا طلب، ومن خاف هرب<sup>(٣)</sup> ."

فهذه الهجرة العظيمة في أسبابها العظيمة وفي نتائجها أصحابها رضي الله عنهم منعوت بنعوت جليلة لهم ما يرجونه من الفوز المتفضل به الله تعالى عليهم<sup>(٤)</sup> .

"فَكُلُّ مَنْ هَاجَرَ فِرَارًا بِدِينِهِ إِلَّا قَاتَمَهُ نَالَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَجَاءَهُ وَأَمْلَهُ وَذَلِكُّ؛ لَأَنَّهُ خَرَجَ مَهَاجِرًا مُؤْمِنًا مَجَاهِدًا فَاجْتَمَعَ الْأُوصَافُ الْثَلَاثَةُ كَفِيلَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لِحَصْوَلَةٍ، وَتَرْقِيبِ الْخَيْرِ، وَكَذَلِكَ تَغْلِيبُ ظُنُونِهِ، فَإِنْ وَعَ الدُّّلَّا وَإِنْ كَانَ لَا يُخَلِّفُ فَضْلَامَهُ وَصَدْقَاهُ، وَلَكِنَّ الْخَوَاتِمَ مَجْهُولَةً وَمَصَادِفَةَ الْعَمَلِ الْمَرَادُ لِلَّهِ قَدْ تَفَوَّتْ لِمَوَانِعٍ لَا يَدِرِيهَا الْمَكْلُفُ وَلَنَلَا يَتَكَلُّ فِي الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ"<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر: الرازقي، مفاتيح الغيب، (٤١/٦-٤٢).

(٢) أبو طالب، قتادة ابن دعامة السدوسي الأكمي، توفي سنة ١١٧هـ؛ انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/٢٦٩).

(٣) انظر: للمراغي، تفسيره، (١/١٣٧).

(٤) انظر: لأبوال سعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١/٢٥٥).

(٥) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢/٣٣٧-٣٣٨).

فالمؤمن دفعه أمله ورجاؤه بالله تعالى إلى خوض المعارك، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهْنُوا فِي أَبْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالأية تتضمن معنى واضح لا وهو "لاتضعفوا في طلب القوم، ولا تتوجعوا فإنكم إن تكونوا تتوجعون فإنهم يتوجعون كما تتوجعون، ويرجون من الأجر والثواب ما لا يرجون"<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه اللحظة تتدخل المشاعر في القلوب ويحتاج القلب إلى زاد فيأتي التوكل على الله فيشع ويعلو القلوب بالأمل والرجاء في الله تعالى فيترقب المؤمنون ويتجهون لله تعالى فينهي الله المؤمنين عن الضعف والتوجع؛ لأن المشركين بالمقابل يتوجعون ويريدون إزالة الهزيمة بالمؤمنين مع تالمهم، ويرجون النصر، والمؤمنون كذلك يرجونه، فالله تعالى هنا يشحذ همم المؤمنين بتشجيعهم على مواصلة الجهاد، والجلد، والصبر على مقاتلة العدو، والله تعالى عليم بالأحوال التي صاروا إليها، والظروف الملائمة، ولكنه سبحانه حكيم في شرعه بالأمر والنهي يطمئنهم على حسن العاقبة لهم بالنصر على أعدائهم.

فمن هنا نرى أن العمل مشترك بين المؤمن، والكافر فالكل يعمل ويرجو ويأمل، ولكن المؤمن يتغير بعمله وجه الله، والكافر يتغير بعمله الدنيا والرياء والسمعة.

إن حصول الألم قدر مشترك بين الفئتين، فلما لم يصر خوف الألم مانعاً للفئة الbagie الكافرة من قتالكم، فكيف يصير مانعاً للفئة المؤمنة عن قتالهم، فالله تعالى يزيد في تقرير الحجة ويعلم المؤمنين بأولويتهم بالمصابرة على القتال من المشركين؛ لأن المؤمنين مقررون بالثواب والعقاب والحسنة والنشر، والمشركين لا يقررون بذلك، فإذا كانوا مع إنكارهم الحسنة والنشر يجدون في القتال، فالمؤمنون

(١) سورة النساء، آية: ١٠٤.

(٢) انظر: للسيوطى عن قتادة، الدر المنثور، (٦٦٨/٢)... وما بعدها.



مع ذلك أولى بأن يكونوا مجدين في هذا الجهاد الذي في فعله الثواب العظيم، وفي تركه العقاب وهذا المراد من قوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ والله تعالى لا يكلف المؤمنين شيئاً، ولا يأمرهم ولا ينهاهم إلا بما هو سبب لصلاح الدنيا والدين<sup>(١)</sup>.

" بهذا التصوير يفترق طريقان، ويبرز منهجان، ويصغر كل ألم، وتهون كل مشقة، ولا يبقى مجال للشعور بالضنى، وبالكلال ... فالآخرون كذلك يألفون، ولكنهم يرجون من الله ما لا يرجون، ... فالمؤمنون يتحملون الألم وليسوا وحدهم الذين يتحملونه ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء، فالمؤمنون يتوجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون، وأياملون عنده جزائهم، والكفار ضائعون لا يرتفبون، ولا يأملون شيئاً، وإن مرت على الجماعة المؤمنة فترة من المهافات النفسية اليائسة، ولكن القاعدة لا تتغير فالباطل لا يكون بعافية أبداً، حتى ولو كان غالباً فإنه يلاقي الآلام من داخله، ولكن العزاء العميق للجماعة المؤمنة هو {وترجون من الله ما لا يرجون} وهذا هو مفرق الطريق"<sup>(٢)</sup>.

" إن المؤمنين المخلصين يعلمون أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذرة فيه، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها، وجري مفر الأنهار، ومساقى الماء إليها"<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ أَلْسَمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج (١١-١٢/٣١-٣٢).

(٢) انظر: لسيد قطب، (٢/٧٣٩-٧٥٠).

(٣) انظر: للمقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٩٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٥.



فالمعنى " من كان يطمع في ثواب الله فإن وعد الله من الثواب والعقاب لكاين ، فمن يخشى الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم "(١) الذي يكون فيه الله تعالى غني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

" فهذه بشاره من الله تعالى لكل محب مشتاق لقرب ربه، ولقائه، المسارع في مرضاته، ليبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل ما هو آت، قريب. فينبغي التزود للقاء الله، والسير نحوه، مستصحبين الرجاء، ومؤمنين الوصول إليه، ولنعلم أن ما كل ما ندعوا به سيعطى لنا، ولا كل مانتمناه، ولكن نؤمن أن الله تعالى مع الصادق يعطيه ما يرجو، والكاذب لا تنتفع دعواه "(٢).

إن المؤمن الحق هو الصادق، وهو من يتأمل الخير، وينتظر وقوعه من شدة قربه بالله وإحساسه بسعة رحمة الله، والاستشارة بوجود وفضل الله تعالى.

فيعمل العبد ويقرن أعماله بالتوكل على الله ويسعى لمرة ربه ومرة ربه، فعمل الإنسان وعبادته لا تكفي لحصول النتائج بل الله صاحب القدرة والمشيئة في كل الأمور ولكن مع هذا يظل العبد المؤمن يتوكلا على الله وحده لتحقيق المراد والمصاير وقبول الأمر بأمل ورجاء في الله تعالى .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجْرَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣).

" الآية خاصة فيمن قرأ القرآن وأقام الصلاة فهي آية القراء العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه، الذين يقيمون صلاة الفرض والنفل،

(١) انظر : للبغوي، معلم التنزيل، (٤/٣٦٥).

(٢) انظر : للسعدي، تيسير الكريم الرحمن...، (٤/٤٦).

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٩-٣٠.

وينفقون مما رزقهم الله سراً وعلانية هؤلاء هم الذين يبتغون تحصيل  
الثواب من الله على طاعاتهم<sup>(١)</sup>.

الأية خاصة ولكنها من الخاص الذي يطلق على العام بمعنى تلاوته عن تدبر  
وإدراك وتأثر وإلى عمل وسلوك، فالمؤمن هو من يقيم أعماله جميعها بكمال  
شرائطها ويطلبون بها وجه الله حتى يوفيهم سبحانه ثواب ماعمله، ويضاعف له  
بزيادات لم تخطر له، غفور للذنب، شكور للطاعة، وللقليل من الأعمال.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَاتِلٌ إِنَّا نَأْلِيلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ  
الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا  
يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

الأية تصف وتصور قلب المؤمن الخائف الوجل الذي يذكر الله ولا ينساه في  
السراء ولا في الضراء، الذي يعيش حياته في الأرض وفي حذر من الآخرة، وفي  
طلع إلى رحمة ربها، وفضله فالمؤمن يتقى ويحسن العمل، ويبذل الطاقة في العمل،  
وبهذا فهو لا يstoi مع من لا يعمل ولا يحسن .

فالآية تدل على المطيع لله ورسوله، وفي نفس الوقت يحذر عذاب الآخرة،  
ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربها، ويأتي على محاب الله تقرباً إليه،  
وعلى ترك مكارهه تحسباً إليه فهذا لا يstoi مع الذي يعمل ما يحب وما يكره فهو  
يتخطى في الضلال تخطي الجاهل<sup>(٣)</sup>.

والآية مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، فهذه من الأمور التي تقرر في  
العقل، تباينها، وعلم يقيناً تفاوتها، فالعامل بطاعة الله يؤثر العمل الأعلى على  
الأدنى، ويؤثر العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته؛ لأن له عقلاً يرشده للنظر  
في العواقب، بخلاف من لا لب له، ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هوه<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: للبغوي، معلم التنزيل، (٤/٥٢٥).

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) انظر: للطبراني، جامع البيان، (٦/٣٧٣).

(٤) انظر: للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٤/٢٩٥).



كذلك الآية تدل على أن المداومة على العمل الصالح والطاعة الخاصة إذا كان بعيداً عن الرياء، وأيا كان العمل، وبأي شكل، وبأي صنف هو المعول عليه وهو الركيزة الأساسية في الأجر والثواب.

كذلك الآية " دالة على أسرار عجيبة، فأولها: أن الآية بدأت بذكر العمل. وثانيها: أن الآية ختمت بذكر العمل، أما العمل فكونه قاتنا قائماً، والعلم قوله {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} فهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هي النهاية" <sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرُوا جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فهذا ما كان من أمل ورجاء يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام؛ لأنَّه علم بأنَّ الله حكيم في تدبيره خلقه وما قال كلمته ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ إلا تعليلاً لرجائه من الله بأنَّ الله علِيم فلا تخفي عليه موضع ابنيه المتفرقة، حكيم قادر على إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرق <sup>(٣)</sup>.

فالمرء مهما طال عليه الحزن والضيق والبلاء، فليعلم أنَّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً عن قريب " فهذا يعقوب طال حزنه وبلاوته، ومحنته فعلم أنَّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً فقال ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال ذلك على سبيل الأمل وحسن الظن برحمته الله <sup>(٤)</sup>، فلم يتسرّب اليأس من رحمة ربِّه لحظة واحدة إلى قلبه، ولكن الأبوة الموجعة (وراءها أمل في الله أن يرد عليه ولديه بما فيهم كبيرهم الذي أقسم لا يبرح حتى يحكم الله له وإنَّه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا

(١) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٣-١٤، ٢٦٠/٢٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٣.

(٣) انظر: لابن عاشور، التحرير والتنوير، ح ١٣-١٤، ١٣/٤١.

(٤) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ٩، ١٧/١٨-١٩.

فَصَبَرْ جَمِيلٌ ﴿٩﴾، كلمته ذاتها يوم فقد يوسف، ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المختلف هناك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ..﴾ الذي يعلم حاله، ويعلم ماوراء هذه الأحداث، والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج، هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته، ذلك الشعور الذي يتجلّى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأ بصار<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا ﴿٣٧﴾ قُلْ آدُعُوا أَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الظُّرُرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيَّا ﴿٣٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيْ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٣٩﴾<sup>(٢)</sup>.

كل من يرجو ويأمل في غير الله فلن يجديه ذلك نفعا؛ لأن من تدعوه وترجوه إذا امتلك صفات القدرة ودفع الضر فهو أحق بالعبادة، وإذا كان غير ذلك، فهو لا يستحق حتى شيئاً يسيراً، فالمؤمن يرجو بفعله الطاعة رحمة ربها، ويخاف بمخالفته ربها أمر عذابه.

فالآية حجة على من يعبد غير الله فإن من يعبدونهم يت天涯سون على التقرب إلى الله، وعجزون عن أن يملكونا الضر أو النفع فالواجب توجيه القلوب إلى الله ومحض العبادة له<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٤/٢٥٢).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٥-٥٧.

(٣) انظر: للرازي، مفاتيح الغيب، مج ١٠ (١٩-٢٠/٢٣٤).



فالرجاء ثمرة التوكل على الله لأن في الرجاء طلب الإعانة من الله لأن حقيقة التوكل على الله اليأس مما عند غير الله والاعتماد والرکون إلى الخالق المعطى سبحانه وتعالى والأعمال كلها سواء كانت قلبية أو عملية يتفرع منها التوكل على الله. فالعبادة لاتتم إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يبتعد الإنسان عن المعاصي، وبالرجاء يكثر من الطاعات، ولنا في رسولنا - ﷺ - القدوة والأسوة الحسنة في تحليه بالأمل والرجاء والخوف من الله تعالى فكان - ﷺ - من أخوف الناس من الله وأرجاهم إلى الله وأكثرهم أملا بالله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالرسول - ﷺ - هو الطريق العملي للتحقق من مدى الكمال الإيماني، والطريق للتأسي الكامل به عليه الصلاة والسلام في أقواله، وأفعاله، وأحواله هو الرجاء<sup>(٢)</sup>.

فعلى المحبة الإيمانية بالله تعالى وبقوتها يكون الأمل والرجاء لأنهما من الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من خالقه بل هما من أقوى الأسباب.

فالراجي علق رجاءه بتصريفه المحبوب والمرضى له، والعبد يسعى لتحصيل وتحقيق ما يرغب، والرب تبارك وتعالى يعين ويعطي<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٤٤٠٦/٨).

(٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (٤٤-٤٦/٢).

"فَعِنْ أَنْسٍ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ - دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: "كَيْفَ تَجِدُكَ؟" قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ -: "لَا يَجْتَمِعُ حَانٌ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مُثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مَا يَخَافُ" <sup>(١)</sup>.

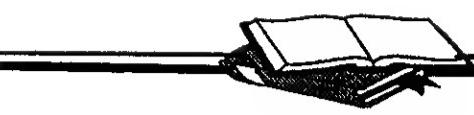
فلو تأملنا حالة العبد عند نزول النازلة عليه، فيدعوه الله ولايرى أثرا للإجابة فيقارب اليأس إلى قلبه، فإن كان راضيا بالأقدار فالغالب تعجيل الإصابة بالإجابة؛ لأن هذا يهزم الشيطان، وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>، فينبغي لكل عاقل أن يلازم باب مولاه وسيده على كل حال، وأن يتعلق بفضلاته، وليجتهد في العمل ولاينبغي لملائكة مؤمن أن يتوكل على الله أو يتسبّب، أو يتقرب إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال لأمره، فإن ذلك سبب لفتح الأمل، وفتح كل مرجى، وينبغي أن يعلم العبد المؤمن أن الله عز وجل كافيه، فلا يعلق قلبه على الأسباب ويعول عليها فقط.

"عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ - يَوْمًا فَقَالَ: "يَا عَلَامٍ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلَمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجْدِه تَجَاهِكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَسَأَلَ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَهْنَتْ فَاسْتَهْنَ بِاللَّهِ، وَاعْلَمُ أَنَّ الْأَمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتَ عَلَى أَنْ يَنْفَهُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَهُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، فَدَكَتْبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَرَفَعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصَّفَرُ" <sup>(٣)</sup>.

(١) الترمذى (٩٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي إسناد جيد.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٤.

(٣) الترمذى (٢٥١٦) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند (٢٨٠٤) وقل شاكر: إسناده صحيح .



وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ ﴾<sup>(١)</sup>، فاـلهـ كـافـ  
الـجـمـيـعـ مـاـيـهـمـهـمـ فـيـ جـمـيـعـ أـمـوـرـهـمـ، وـالـلـهـ تـعـالـىـ يـرـيدـ مـنـ عـبـدـهـ الـمـؤـمـنـ تـكـمـيلـ مـرـاتـبـ  
الـعـبـودـيـةـ مـنـ الذـلـ، وـالـانـكـسـارـ، وـالـتـوـكـلـ، وـالـاسـتـعـانـةـ، وـالـرـضـىـ، وـالـإـنـابـةـ لـهـ، وـالـأـمـلـ  
وـالـرـجـاءـ وـفـيهـمـاـ مـنـ الـانتـظـارـ وـالـتـرـقـبـ لـفـضـلـ اللـهـ مـاـيـوـجـبـ التـعـلـقـ بـذـكـرـهـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ  
طـاعـتـهـ، وـرـضـاهـ فـالـلـهـ يـحـبـ مـنـ عـبـادـهـ أـنـ يـؤـمـلـوـهـ وـيـرـجـوـهـ وـيـسـأـلـوـهـ مـنـ فـضـلـهـ سـبـانـهـ  
بـعـدـ تـوـكـلـهـمـ عـلـيـهـ .

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٣.

## المبحث الرابع

### محبة الله تعالى ودخول الجنة بلا حساب

إن تحقيق التوكل على الله يحقق للمتوكل محبته سبحانه فـأي منزلة هذه التي يحب الله فيها المـتوكلين عليه فيقضي للعبد ما يريد ويسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة فهو إمـرـؤ يـمـشـي عـلـى الـأـرـضـ وـيـحـبـهـ اللهـ تـعـالـىـ فـحـرـىـ بـالـعـبـدـ الـمـؤـمـنـ أـنـ يـحـرـصـ عـلـىـ التـوـكـلـ عـلـىـ اللهـ وـلـاـيـتـرـكـ هـذـهـ الـخـلـةـ التـيـ يـحـبـهاـ اللهـ وـيـحـبـ أـهـلـهـ،ـ وـهـيـ الصـفـةـ التـيـ تمـيـزـ الـمـؤـمـنـينـ عـنـ غـيـرـهـمـ.

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةِ مِنْ اللَّهِ لَنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَلِيلَظَّاً الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»<sup>(١)</sup>.

فـمحـبـةـ اللهـ تـعـالـىـ لـلـعـبـدـ يـتـافـسـ فـيـهـ الـمـتـافـسـوـنـ وـهـيـ روـحـ الإـيمـانـ وـالـأـعـمـالـ<sup>(٢)</sup>.ـ فـإـذـاـ حـصـلـتـ مـحـبـةـ اللهـ لـلـعـبـدـ يـصـيرـ القـلـبـ منـشـغـلـاـبـهـ وـمـسـدـدـ الـظـاهـرـ وـالـبـاطـنـ وـمـحـبـاـ لـلـقـاءـ اللهـ،ـ فـهـذـهـ الثـمـرـةـ لـاـيـقـطـفـهـ إـلاـ مـنـ بـذـلـواـ نـفـوسـهـمـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ مـاـيـرـضـيـ مـحـبـوـبـهـمـ وـذـلـكـ بـالـإـلـاـخـلـاـصـ وـالـلـزـومـ وـالـدـوـامـ إـلـىـ طـاعـةـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ ﷺـ.

وـإـذـاـ أـحـبـ اللهـ عـبـدـاـ سـخـرـهـ لـعـمـلـ الطـاعـاتـ كـمـاـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ "...ـ وـلـاـيـزـالـ عـبـدـ يـتـقـرـبـ إـلـىـ بـالـنـوـافـلـ حـتـىـ أـحـبـهـ،ـ فـإـذـاـ أـحـبـبـتـهـ كـنـتـ سـمـعـهـ الـذـيـ يـسـمـعـ بـهـ،ـ وـبـصـرـهـ الـذـيـ يـبـصـرـ بـهـ،ـ وـيـدـهـ الـتـيـ يـبـطـشـ بـهـ،ـ وـرـجـلـهـ الـتـيـ يـمـشـيـ عـلـيـهـ،ـ وـلـنـ سـأـلـنـيـ لـأـعـطـيـنـهـ،ـ وـلـنـ اـسـتـعـاذـنـيـ لـأـعـيـذـنـهـ<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (٧-٦/٣).

(٣) البخاري، ح(٦٥٠٢) باب في التواضع.



فعرف المؤمن الأولون ذلك فحرصوا على تحقيق هذه المحبة وعملوا في إطار ذلك فأولى بالمؤمن أن يشمر لذاته ليحوز على شرف الدنيا والآخرة.

وفي الآخرة تكون الجائز العظيمة والفوز الكبير بدخول الجنة. قال تعالى:

﴿ أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ أَيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ ﴾<sup>١</sup> فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>٢</sup> .

وجعل الرسول الكريم ﷺ جزاء المتوكلا على رب الجنات "يدخل الجنات من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب" قالوا ومن هم يا رسول الله قال: "هم الذين لا يكتون ولا يستردون، وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشه فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم، فقام رجل فقال: ادع الله لي يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشه".<sup>(٢)</sup>

وهذا الجزاء لكمال تحقيق التوكلا على الله سبحانه، ولا يستحق هذا الجزاء إلا العبد الصادق الكامل في عقيدته، وسعادة المؤمنين المتوكلين لاتعادلها سعادة عندنا يدخلون الجنات بغير حساب لأنهم قد طابت أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣-١٧٤.

(٢) سبق تخریجه، ص ١٨١.

## المبحث الخامس

### الرضا والصبر

الرضا والصبر أمران متلازمان، فالرضا ارتفاع الجزء في أي حكم كان وهو طيب نفسي للإنسان بما يصيبه، أو يفوته مع عدم التغير.

والصبر قوة مقاومة الأحوال والألام الحسية، والعقلية – وهو حبس النفس عن الجزء والتسلط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش<sup>(١)</sup>.

والرضا والصبر من ثمار التوكل على الله فهما يجنبان المؤمن من الأزمات النفسية والجسدية؛ لأن التوكل على الله فيه عدة، وقوة معنوية ونفسية، والإنسان تمر في حياته اليومية الكثير من المصائب، والشدائد، وخذلان المخلوقين له وإن استسلم لها المؤمن لأصبح في كآبة وضعف، وخور، وهوان، ولكن المخرج منها هو التسليم لأمر الله والرضا والصبر بما قدره الله عز وجل، فهما أمران شرعاً من أسس الإسلام، وقواعد، فالمؤمن يعمل ويكد ويلازم عمله الصبر إلى أن يفرغ منه.

قال تعالى : «**نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِيْنَ** ﴿٥٨﴾ **الَّذِيْنَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٥٩﴾»<sup>(٢)</sup>.

نعم جزاء العاملين بطاعة الله والصابرين على أذى المشركين في الدنيا، غرف يثوبيهما الله فيها، على ما كانوا يلقون من أذى المشركين، وعلى العمل بطاعة الله، وما يرضيه، وجihad أعدائه، {وعلى ربهم يتوكلون} في أرزاقهم، وجihad أعدائهم، فلا ينكرون عنهم ثقة منهم بأن الله معلم كل منه، وموهنه كيد الكافرين، وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر : للجرجاني، التعريفات، ص ١١١؛ وللمناوي التوفيفات، ص ١٧٨، ٢١٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٥٨-٥٩.

(٣) انظر : الطبرى، جامع البيان، (٦/٨٥).



وهناك معنى آخر للآية تدل عليه وهو "أن صبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال، ويكملاها، ونص على التوكل وإن كان داخلاً في الصبر؛ لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك، مأمور به، ولا يتم إلا به"<sup>(١)</sup>.

فتبارك الرحمن الذي تكفل بالأرزاق لكل من القوي والعاجز، فالآية دليل على التزام الصبر حتى تمام العمل المراد على أكمل وجه.

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ أَللَّهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيستلزم من الآية ابتغاء مرضاه في كل عمل فالمؤمن، يبيع نفسه كلها لله لا يرجو من وراء آدائه وبيعه غاية إلا مرضاه الله قال : "أكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في صحيب ابن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم، فقال لهم صحيب : إني شيخ كبير، لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني، ففعلوا ، وكان شرط عليهم راحلة، ونفقة، فأقام بمكة ماشاء الله ثم خرج إلى المدينة فلتقاء أبو بكر وعمر في رجال، فقال له أبو بكر : ربح بيتك يا أبي يحيى، فقال له صحيب : وبيتك، فلاتتحسر ، قال صحيب : ماذا لي؟ فقال : قد أنزل الله فيك ، وقرأ هذه الآية"<sup>(٣)</sup>.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن....، (٤/٦٨).

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٠٧.

(٣) البغوي، معلم التنزيل، (١/٢٦٧).

فالآلية الكريمة ترسم صورة نموذج من الناس، ومن النفس المؤمنة التي خرجت تاركة كل شيء وراءها طالبة، وجه ربها الكريم متوكلاً عليه مستعينة به، وإذا بالشر يدفع، والخير يهبط من السماء العلية، فالمؤمن يرضى ويصبر لما قدره الله تعالى عليه من خير أو شر، فإن قدر له الشر فهو أمر على خلاف مراده ومحبته وهذا كمن يعلم ويظن أنه لم يكسب من عمله شيئاً.

وإن قدر له الخير فهو أمر جاء على مراد العبد محبته، وهذا كمن يعلم، ويحصل على مراده ومتغاير من عمله.

فالرضا ثمرة من شجر التوكل " فمن وكل أمره إلى الله، ورضي بما يقضيه له فقد حقق التوكل، ولذلك كان الحسن<sup>(١)</sup> والفضيل<sup>(٢)</sup> وغيرهما يفسرون التوكل على الله بالرضا.

قال ابن أبي الدنيا<sup>(٣)</sup>: بلغني عن بعض الحكماء قال: التوكل على ثلاث درجات: أولها: ترك الشكایة. والثانية: الرضا. والثالثة: المحبة بترك الشكایة.

ودرجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به<sup>(٤)</sup>.

فلا يعتقد المؤمن أن عمله في الدنيا هباء ولو للحظة، ولكن إن أنعمه الله تعالى وشكر وحمد فهو الخير كله، وإن قدر عليه رزقه وشكر وحمد فهو الخير كله وهذا مصدق لقول رسولنا الكريم - ﷺ - في الحديث المروي (عن صحيب

(١) الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبومسلم الحراني، مات سنة ٢٥٠هـ؛ أو الحسن بن خلف ابن شاذان الواسطي، مات سنة ٢٤٦هـ، انظر: تهذيب التهذيب، (٢٣٧/٢، ٢٠٤٢)، ص ٢٠٤٢.

(٢) فضيل بن عبد الوهاب بن إبراهيم الغطفاني أبومحمد الفناد، انظر: تهذيب التهذيب، (٤١٩/٦).

(٣) عبدالله بن محمد بن عبيد أبوبكر القرشي الأموي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٥٢٠هـ، وتوفي سنة ٥٨١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، (٦٧٧/٢).

(٤) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص ٤٤١.

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"<sup>(١)</sup>.

هذا حال المؤمن الصابر المتوكل أو حال من يقدم صبره على عمله، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>، "فسياق الآية دليل على أن من العبادة الصبر على المحنـة، وترك اليأس، والقنوط، وملازمة العمل الصالح في كل حال"<sup>(٣)</sup>.

فينبغي على المؤمن أن يقدم الصبر على العمل، ويتقن العمل، ويجتهد فيه، فإن المستكثرين من الطاعات الراjin رضا الرحمن يشمروا جوارحهم راجين أن تقبل أعمالهم - على عيدها ونقصها - خائفين أن ترد عليهم، فهو لاء هم أحب الناس إلى الله؛ لأنهم ذهبوا ومضوا في تنفيذ اوامر الله، وفرغوا قواهم وطاقاتهم، وجوارحهم لذلك، وقد أشرنا سابقاً إلى أن المؤمن يعمل وعمله يريد به رضى ربه وإلهه الذي يتضمن الرضا بمحبته وحده، والإنابة إليه والتبتل إليه، والرضا بربوبيته يتضمن الرضا بتدينه لعبد، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة، والثقة، والاعتماد عليه وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به من خير أو شر، كذلك الرضا برسول الأمة، وذلك الكمال لا يكون إلا بالانقياد له والتسليم بحيث يكون أولى الناس، والرضا بدين الله فلاحكم، ولا أمر ولا نهي إلا من خلال شرع الله الذي ملا الدنيا نوراً وعدلاً، وهذا لمن يعيه، ويفقهه ويعمل به.

قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادُوهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

(١) مسلم، (٤/٢٩٩٥)، كتاب الزهد والرفاق.

(٢) سورة هود، آية: ١١.

(٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (٥/٢٥٣٧).

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

خرجوا تصديقاً، ويقيناً، وقوة، وتوكلًا على الله فانصرفوا بعافية فلم يلقو  
عدوا، ولم يصبهم أذى ولا مكروه؛ لإتباعهم طاعة الله، وطاعة رسوله، فأعطاهم الله  
ثواب غزو لم يغزوه ورضي عنهم <sup>(٢)</sup>.

لأنهم قد ساروا إلى الغزو يقيناً، وتصديقاً لوعده، ووعد رسوله فأرضاوا  
الله بفعلهم، وإتباعهم رسوله إلى مادعاهم إليه، فصرف الله عدوهم عنهم، وأنعم  
عليهم بنعمه الجليلة <sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ رَحْمَةً فَلَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَأَنْهَيْنَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْهَيْنَاهُمْ فِي زَمَانِ الْأَنْذِيرِ﴾  
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ رَحْمَةً فَلَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَأَنْهَيْنَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْهَيْنَاهُمْ فِي زَمَانِ الْأَنْذِيرِ  
تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِ الدِّينِ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾.

فالذين هاجروا قومهم، وعشيرتهم، وفارقوا أوطانهم، ونصروا رسول الله -  
عليه السلام - على أعدائه، هم الذين عملوا وسلكوا سبيل الإيمان والعمل الصالح، فكافأهم الله  
برضاهم عنهم، وعذاته بهم، وإكرامه إياهم، ودفعه أعداءهم، ورضاهم عنه إن  
رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم <sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْصُرُونَ  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ  
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَرُ خَلِيلِ الدِّينِ﴾

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: للبغوي معلم التنزيل، (١/٥٨٨).

(٣) انظر: للطبراني، جامع البيان، (٢/٣٦٤).

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٥) انظر: للبغوي ، معلم التنزيل ، (٣/٩٩) ؛ ولابن عاشور ، التحرير والتوير ،  
(١١/١٨-١٩).

الآنَهُرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ  
خَشِيَ رَبَّهُ وَ ) ﴿١﴾ .

إن رضى الله سبحانه لا يتاتى إلا بعد الإيمان، والعمل الصالح، فيقبل العمل  
جزاء، ورضى من الله تعالى.

إن الإيمان ليس مجرد كلمات ولكنه الإيمان الذي ينشيء آثاره في واقع الحياة  
من كل مأمور الله بفعله من عبادة وخلق، وعمل، وتعامل، فالجزاء هو الرضا وهو  
أعلى وأندى من كل نعيم، وهذا الرضا في نفوسهم عند ربهم، الرضا عن قدره فيهم،  
والرضا عن إنعامه عليهم، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم، الرضا الذي يغمر  
النفس بالهدوء والطمأنينة، والفرح الخالص العميق <sup>(٢)</sup>.

والرضا والصبر على ما قدره الله تعالى من أمور المعاش أو حتى الأمور  
الأخرى من الأعمال دينية أو دنيوية أمر الله تعالى به في قوله ﴿ ثُرِجَى مَنْ تَشَاءُ  
مِنْهُنَّ وَتُؤْتَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَّلَتْ فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُبَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا أَتَيْتَهُنَّ  
كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
فالآلية الكريمة تتضمن معنى "الحدث على تحسين ما في القلوب، ووعيد  
لمن لا يرضى بما دبر الله، وتقويض المشيئة إليه، والتوافق على رضا  
رسول الله - ﷺ - <sup>(٤)</sup>.

فالرضا من ثمرات التوكل على الله ينشرح الصدر لمشيئة الله لأن المؤمن إذا  
توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله فيلقي حموله عند باب ربه سبحانه.

(١) سورة البينة، آية: ٨-٧.

(٢) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٩٥٢/٦).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥١.

(٤) انظر: للمراغي، تفسيره، (٢٥/٨).

فالقرآن الكريم مليء بالتشريعات والتوجيهات لتنظيم المجتمع المسلم على أساس من مبادئ وقيم الإسلام، فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يصبروا على طاعة دينهم الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتو مسلمين مؤدين ما كلفوا به، فمن أخص صفات المؤمنين أنهم لا يلماسوا من رحمة الله ولا يعترفهم قنوط ولا خور إذا تأخر عليهم ما يحبونه لحكمة يريدها الله العلي الحكيم، بل من واجبهم أن يداوموا على إصلاح نفوسهم، أن يحسنوا توكلهم على ربهم ويزدادوا ثقة في وعده بالفوز والصلاح، والتأييد لعباده المؤمنين الصالحين، وهذا يدفعهم إلى مزيد من اتخاذ الأسباب الدينية والدنيوية، وإلى الاعتصام بالصبر.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلْمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرُوا إِلَيْهِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنِي أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْنُنُ عَلَىٰ مَنِ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبُّلَنَا وَلَنَصِرَّ عَلَىٰ مَا إِذَا يَتُّمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِهِمْ فِيهَا نِعْمَ أَجْرٌ الْعَمَلِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية ٤٢-٤١.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ١٢-١١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٩-٥٨.

ففي هذه الآيات الكريمة قرن سبحانه بين التوكل والصبر لأن مامن عمل إلا ودخل فيه الصبر والتوكيل على الله فإذا اجتمعا أثمراً قبول العمل ونال صاحبها خير الدنيا والآخرة، فالصبر جود لا يكتبو وجندًا غالباً لا يهزم فلا بد من الصبر حال العمل وبعد الفراغ من العمل .

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءاْمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءاْمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الله تعالى يعلم المخلص من غيره ومن سنته سبحانه أن يختبر الذين صدقوا الله ورسوله، **فَيُبَاتِيَهُمْ بِإِدَالَةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ**، حتى يتبيّن المؤمن المخلص صحيح الإيمان، من المنافق ويتبين الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكر ورهق **فَيُزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا**، وينقص غيرهم ويغنيهم <sup>(٢)</sup>.

"إن مشيئة الله تسير على نظم ثابتة وسفن حكيمه، ترتبط فيها الأسباب بالأسباب، والمقدمات بالنتائج، وإن كان الله قادراً على كل شيء، وتلك السنة في الماضيين واللاحقين، فكل من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين حظي بالسعادة، والنصر، والفلاح، ومن سار في طريق العصاة المكذبين كانت عاقبته خساناً ودماراً وهلاكاً، ..... فإذا عرف المؤمنون هذه الحقيقة فيجب عليهم ألا يضعفوا عن العمل ..... خاصة الجهاد فهو مجال لكشف وإبراز وتطهير، فيه يتميز المؤمنون الصادقون عن المنافقين العصاة، وبها يعرف صدق الإيمان، وصلابة العزيمة، والثبات عند الابلاء؛ ..... ولذلك فالصبر مطلوب عند أداء التكاليف الشرعية الدائمة والمؤقتة، وطاعة الله

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠-١٤٢.

<sup>(٢)</sup> انظر: لابن جرير، جامع البيان، (٣٣٤-٣٣٥) / ٢.

رسوله، وفي وقت البلاء والشدة والمحنة، فطريق السعادة هو بالعمل والصبر، وملازمة الحق والعدل والإنصاف<sup>(١)</sup>.

المؤمن يعمل ويكد في عمله، ولكن سُنن الله جارية على عباده فالبلاء حاصل، ولكن لا دواء لتحمل المصيبة إلا بالصبر، إذ في الصبر تقوية الإرادة وتحمل المشقة، والثبات على المصاعب، وأن الله مع الصابرين، أي بالعون و النصرة و الرعاية، و التأييد.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلْوَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن إذا استعان بالصبر والصلوة التي تملأ القلب خشية، وخشوعاً لله  
ورجاءً فيه فتبعد النفس عن الفواحش والمنكرات، فتهون بذلك المصاعب، ويتحمل  
كل شدة، ومشقة، ويقاوم كل عنااء وكرب، وقد خص الصبر هنا؛ لأنه أشد شيء  
باطني على النفس، وخصت الصلاة؛ لأنها أشد عمل ظاهري على الإنسان، إذ فيها  
إنقطاع عن الدنيا واتجاه إلى الله، وقد روي عنه -عليه السلام- أنه إذا حزبه أمر - اشتد عليه  
ـ فزع إلى الصلاة، وتلا هذه الآية - إن الله ناصر الصابرين، ومجيب دعائهم  
ومفرج كروبهم، والواقع أن الأعمال الفردية، والأعمال الجماعية العظيمة لاتتحقق  
ـ ثمارها إلا بالثبات والكافح الدائم، وعدة ذلك كله الصبر <sup>(٣)</sup>.

إن العبد يسُوء ما يجري عليه، ولا يشعر بما في طيه من الألطاف فالله تعالى يهون على المؤمنين ما يصيّبهم، ويرشدهم إلى الإيمان الذي يجعل من صاحبه قوة لا تلين، وعزمة لا تغل، ويعلّمهم أن سنة الله في الأمور كلها أن تداول، وأن العاقبة للمتوكلين على الله الصابرين على الشدائـد، والمحن وما تتطلبها من بذل النفس، وال غالى، والرخيص، وتضحيـة بالراحة، والله تعالى يحث على الثبات في

(١) انظر : لوهه الزحيلي، التفسير المنير، (٣-٤/٩٧-١٠٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٣

<sup>(٣)</sup> انظر : لوهبه الزحيلي ، التفسير المنير ، (٤١-٣٩/٢-١) .



صيانة الحقوق، والمعتقدات، والذود عنها، والعمل الصالح هو مراد الله ومبغاه لننال رضى الرحمن؛ لأن في الرضا إشراح للصدر وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم وإن وجد لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، فيقوى الرضا، ويظهر الصبر<sup>(١)</sup>.

فالصبر والرضا جعل الله فيهما راحات نفسية وروحية، وهما دليلان على حسن ظن العبد بربه، والرضا مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه، والصبر جواد لايكبو وحصنا حصينا لايهزم للمؤمن.

والصبر والرضا آخية المؤمن التي إليها يرجع، والمحن التي نعيشها اليوم تحتاج إلى أن نرجع إلى ديننا ونوحد بذلك صفوفنا، وندع العدة، ونصبر ونعمل بيد واحدة مخلصين الله متوكلين عليه، والرضا والصبر عالمة التوكل على الله وشكر الله، ومحبة الله وطريق إلى التسليم لله بعزة وقوة.

(١) انظر: للألوسي، روح المعاني، (٤/٦٨-٣)، ولابن رجب، وابن القيم، أبو حامد الغزالى، ترکية النفوس، جمع أحمد فريد، تحقيق ماجد بن أبي الليل (بيروت: دار القلم نـط الأولـى، ١٤٠٥هـ)، ص ١٠٦.



## المبحث السادس

### العزّة والقوّة

إن من أعظم ثمار التوكيل على الله أنه يورث العزة والقوّة والثبات والشجاعة، فالقوّة الحقيقية هي قوّة الإيمان لا قوّة البدن فقط.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَ إِنَّا وَرُسُلِيْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
فقضاء الله ثابت ووعده نافذ لامحالة.

فقد قضى الله وخط في أم الكتاب غلبه ورسله، فهو سبحانه ذو قوّة وقدرة على هلاك كل من حاده ورسله، ذو عزة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى قادر على نصرة أنبيائه غالب لا يدفعه أحد عن مراده، وهذا وعد لا يخلف ، ولا يغير ، فإنه من الصادق القوي العزيز ، الذي لا يعجزه شيء يريده لمن آمن به ، وبرسله ، واتبع ماجاء به المرسلون ، من حزب الله المفلحين ، الذين لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة بالحجّة أو بالسيف أو بهما معا<sup>(٣)</sup>.

فالقوّة والعزة متلازمان ، ففي العزة معنى يدل على الشدة والقوّة<sup>(٤)</sup> ، فالمؤمن إذا أراد أن يكون من أقوى الناس ، وأعزهم بما عليه إلا أن يكل أمره إلى العزيز القوي ، فأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا في عزة ، وقوّة ، وتحدي مع أعدائهم ، مع قلة الاتّباع ، ولكن ركعوا وتوكّلوا على الذي لا يخذل من لاذ بجناه.

(١) سورة المجادلة ، آية: ٢١.

(٢) انظر: للطبرى، جامع البيان، (٢٥٠-٢٥١/٧).

(٣) انظر: للرازى، مفاتيح الغيب، مج (١٥-٢٩/٣٠-٢٧٦)؛ وللسعدى، تيسير الكريم الرحمن، (٥/٢٠٠)؛ ولالجزائرى، أيسر التفاسير، (٥/٢٩٩).

(٤) انظر: لابن منظور، لسان العرب، مادة عز ، ص ٢٩٢٤؛ وانظر للأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٣٢.



قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَلَحًا وَآلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَمِنْ حِزْرِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾<sup>(١)</sup>، "فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ لَا غَيْرُه" <sup>(٢)</sup>.

ولن تكون هذه العزة والقوة إلا بطاعة الله، وطاعة رسوله، وبالتوكل الحقيقى وتفويض الأمر إليه سبحانه، وبهذا تكون الكفالة والتأييد لمن توكل وأناب إليه سبحانه.

فطبيعة الإيمان إذا تغلغلت في نفس المؤمن بتقوية ما يقتضيه الإيمان من الثقة بالله، والاستعانة به، وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به ومقاومة أهواء النفس، ومخالفتها، وممارسة العبادات، وابتغاء مرضاه الله، وجعل ذلك هدفاً، وأن يعلم أن الجائزة العظمى هي الجنة، فهذه الأمور جميعها، تضفي، وتلبس صاحبها القوة التي تتطبع في سلوكه كله، والعزة في شخصيته فإذا تكلم بكلمة بقوه ويقين، وإذا عمل كان راسخاً متقدماً عمله.

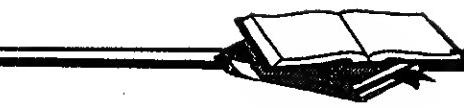
والقرآن الكريم مليء بالأيات التي تكلمت عن العزة والقوة لله وللمؤمنين وأسبابها، فمن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>١٣٣</sup> اذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَيْنَ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُمْدَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ إِلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾<sup>١٣٤</sup> بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرَهُمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ إِلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾<sup>١٣٥</sup> وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَعْزِيزُ الْحَكِيمِ ﴾<sup>١٣٦</sup>.

(١) سورة هود، آية: ٦٦ .

(٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٤٨/٣) .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٣-١٢٦ .



إن الله تعالى أظهر المؤمنين على عدوهم مع كثرة عدد العدو، وقلة عدد المؤمنين، وذلك لصبرهم وتقواهم وطاعتكم لربهم ولرسوله، وتوكلهم عليه سبحانه<sup>(١)</sup>.

فسياق الآيات دليل على أنه بعد توكلهم، وتقواهم لله تعالى رزقهم بالنصر، والعزة، فهو عزيز لا يغلبه أحد حكيم في تدبيره أمور المؤمنين وشؤونهم.

وقال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَىٰ وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

إن الله تعالى أجاب استغاثة المؤمنين، ودعائهم للنصر على أعدائهم، فأنعمهم بالملائكة يردد بعضهم بعضاً وما هذا الإمداد إلا بشاره يبشر الله بها بالنصر على العدو، ويسكن القلوب، وبذلك توقن بنصر الله، ينصر سبحانه من يشاء من خلقه، لا يقهرون شيء، ولا يغلبونه غالباً، بل يقهرون كل شيء ويغلبونه؛ لأنهم خلقه، فسبحانه حكيم في تدبيره، ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل<sup>(٣)</sup>.

فنصر الله هذا من منه سبحانه الكثيرة على عباده المؤمنين، ومن هنا نعلم أن لا استغاثة، ولا توكل إلا على الله مقدر الأمور والأسباب وميسرها سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكَ فَإِنَّ حَسَبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

(١) انظر : للطبرى، جامع البيان، (٣٢٤-٣٢٢/٢).

(٢) سورة الأنفال، آية: ١٠-٩ .

(٣) انظر: للطبرى، جامع البيان، (١٤/٤-١٥).

أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ  
بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

" الآية الكريمة إيماء إلى أن النصر ينال بالأسباب ومن أهم هذه الأسباب التألف والاتحاد بفضل مقدر الأسباب ورحمته بالعباد...، وقد دلت التجارب على أن التألف من أقوى وسائل التعاون وأنجعها، وأجدى وسائل التحاب والتآلف، وقوة الإيمان...، فالله تعالى غالب على أمره الذي لا يغلبه خداع الخادعين، ولا كيد الماكرين، الحكيم في أفعاله، ينصر الحق على الباطل" (٢).

كذلك الآية تتضمن معنى عظيم هو "أن الله تعالى يأمر رسوله... بقبول السلم متى طلبها أعداؤه...، ورغباً بصدق فيها؛ لأنَّه - ﷺ - رسول رحمة لا رسول عذاب، وأمره أن يتوكلا على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم، ويفوض أمره إليه، ويعتمد عليه، فإنه تعالى يكفيه شر أعداءه؛ لأنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم، وأحوالهم... عزيز حكيم في تدبيره شؤون عباده المؤمنين" (٣).

فجمع القلوب والآنفوس على الإيمان بالله مع التوكل عليه يورث النصر للمؤمنين، وبتوحيد القلوب تكون الأهداف، والغايات جميعها في رضاء الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ  
أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ  
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾.

(١) سورة الأنفال، آية: ٦١-٦٣.

(٢) انظر: للمراغي، تفسيره، (٤/٢٧-٢٨).

(٣) انظر: للجزائري، أيسر التفاسير، (٢/٣٢٤)؛ وللسعدى، تيسير الكريم، (٢/٢٢٤).

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤ - ٢١٧.



أمر الله تعالى نبيه بالإذار والدعوة إليه جهراً، والتواضع لمن اتبع الدين أو شارف على إتباعه، وإن عصوا بعد ذلك فالله تعالى يقهر من يعصيه ويعصي رسوله بعزته، وينصر برحمته.

يقول المفسر: وتقديم وصف العزة أوفق بمقام التسلية عن المشاق اللاحقة من القوم للرسول - ﷺ ، وجوز أن يكون ذلك؛ لأن العزة كالعلة المصححة للتوكيل، والرحمة كالعلة الداعية إليه.

وفسره غير واحد بتقويض الرجل أمره، ويقدر على أن ينفعه ويضره<sup>(١)</sup>.

فهذه العزة استجلبت ومنحت رسولنا الكريم - ﷺ - العون من الله، وجعلته واتقا راسخاً متيقناً تمام اليقين، فنادى بدعوته جهراً لا يخاف في الله لومة لائم يردد في قوله "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعْزَّ جَنَّدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَهُدَّهُ، فَلَا شَيْءٌ بَعْدَهُ" **الحديث لأبي هريرة**<sup>(٢)</sup>.

إن المؤمن يستمد قوته، وعزته من الله، فهو المصدر لكل عزة، والعزة عند المؤمن والقوة لا تكون فضيلة إلا إذا استطللت بظل الله، واحتمت بحماه. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، فعزّة الله قهره من دونه وعزّة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزّة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. وقيل المعنى: والله الغلبة والقوة ولرسوله وللمؤمنين<sup>(٤)</sup>.

والمتتبع للآيات القرآنية يرى أن لفظي العزة، والقوة قد اقترنا في آيات كثيرة وقد بلغت هذه الآيات سبعة وماهذا إلا علامة على أن العزة ملزمة القوة تماماً.

(١) انظر: للألوسي، روح المعاني، ج(١٩-٢٠) / ١٣٥-١٣٦.

(٢) صحيح البخاري، (٥٩/٥) ح ٤١١٤ كتاب المغازي؛ ومسلم، (٤/٢٠٨٩) ح ٢٧٢٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٤) انظر: للطبرى، (٤٥٧/٢)؛ وانظر: للبغوى، معالم التنزيل، (١/٤٩) .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَلَحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَمِنْ خِزْنِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوهُ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٦﴾ الَّذِينَ أُخْرَجُوا مِن دِيْرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدَمْتُ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَ إِنَّا وَرُسُلِيَّ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة هود، آية: ٦٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٣٩-٤٠.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٤.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٦) سورة المجادلة، آية: ٢١.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآيات الكريمة السابقة جمعت بين لفظي العزة والقوة. فالإسلام يعطي القوة للمرء المؤمن، وذلك لأنّه قوي بإيمانه بربه قوي بطاعة ربّه ورسوله، فهذه تدع المؤمن مستقراً شامخاً عزيزاً، فالعزّة والقوّة من أبرز الخلال التي نادى بها الإسلام وغرسها، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد، وسن من تعاليم، والمؤمن لما أشرنا قوي بإيمانه كذلك عزيز بإيمانه لأنّه إذا كلف بعمل أو أمر بأمر فاداه على أصح وجوهه، فهذا أمر يجعل كلّ امرئ مؤمن يحتفظ بعزّة نفسه فلم يهنها بمخالفة ذلك الأمر الرباني، وهذا ما استخلصناه من غزوة أحد، فسبب الهزيمة والخذلان والسقوط في الإهانة هو ما ارتكبه بعضهم من مخالفات لأمر الله وأمر رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لذلك نشير إلى أنّ عزة وقوّة المؤمن هي ألا يكون مستباحاً لكل طامع من جن أو إنس، أو غرضاً لكلّ مهاجم، بل عليه أن يستميت دون نفسه وعرضه، وماله، وأهله.

فتمسك المؤمن بشرع الله في كل المجالات، والجوانب هي قوة وإعزاز فينبغي أن يعلق المسلم حقوقه ويملاً بها يديه ويتشبث بها، فالعزّة والقوّة في طاعة الله ورسوله، فالمؤمن يعمل على أساس ذلك، وعلى هذا الأساس يأخذ نصيبه كاملاً غير منقوص، فإذا اعتدى عليه أحد أو طمع فيه باعْـكـان انتسابه للدفاع عن نفسه جهاداً في سبيل الله، كذلك العزة والقوّة في أن يبذل المرء المؤمن قصارى جهده في بلوغ مأربه بعد توفيق الله تعالى له تارك للحظوظ أن تضع شيئاً.

فالتوكل الذي يقوي المؤمن ضرب من الثقة بالله، يريح نفس المؤمن عندما تكتفه ظروف محرجة، ويلتفت حوله فلا يرى عوناً، ولا أملاً ! فالكافح قوي عزيز شديد البأس يشعر عندما يتوكّل على الله أنه آوى إلى ركن شديد، ويستمد من هذا التوكل ثباتاً ورباطاً، وعزّة وينظر يقاوم حتى تبرق بشائر النصر خلال الجو الملبد.

وقد بين الله تبارك وتعالى أن هذا التوكل غذاء الكفاح الطويل الذي قاوم به النبيون وأتباعهم مظالم الطغاة وال fasidin المستبدin .

**قال تعالى:** ﴿ وَمَا لَنَا أَلَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَنَا سُبُّلَنَا وَلَنَصْبِرَنَا عَلَى مَا إِذَا يُتُّمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

" فقد عرفوا ربهم وعلموا أن الأمور كلها بيده سبحانه فلا عذر لنا في أن لا نتوك على الله فقد ثبتوا على ما استحدثوه من توكلهم عليهم صلوات الله وسلمه عليهم أجمعين المسبب عن إيمانهم"<sup>(٢)</sup>.

فالإسلام حرم على المؤمن أن يهون أو يستذل أو يستضعف، " فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلوات الله عليه وآله وسلامه- " لَا يُنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذْلِلْ نَفْسَهُ ، قَالُوا: فَكَيْفَ يَذْلِلْ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " يَتَهَوَّزُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ "<sup>(٣)</sup>.

فالإسلام يأمر بإعزاز المسلم نفسه ودينه وربه فهذه أنفة المؤمن، وهذه العزة في نظري فيها شيء من التمرد بقدر ما فيها من الاستكانة وفيها من التعالي بقدر ما فيها من التواضع، وفيها من الترفع على مغريات الأرض، ومزاعم الناس، فيها الانخاض إلى التبسيط مع المسلمين وإطلاق العظمة من أصدق سبلها، فالعزّة والإباء والكرامة والقوة من أبرز الصفات والخصال التي نادى بها شر عنا الحكيم.

فالمؤمن عندما يبرز قوته ليرهـب عدوه، فمهما بذل عدوه من طاقة في إضعاف المؤمن فلن يمنع شيئاً أعطاه الله للمؤمن من تمكـنـ.

فالبشر لو اجتمعوا بأسرهم أذل من أن يمنعوا شيئاً أطـهـ الله، وأقل من أن يعطوا شيئاً منعه الله للمؤمن، ومن ثم ينـبغـي على المؤمن أن يرد مصائر الأمور إلى مدبرها الأعظم، وأن يجعل فيه الاستعانة، والتـوـكـلـ وعليـهـ المعـولـ.

(١) سورة إبراهيم، آية: ١٢ .

(٢) انظر: للبيضاوي، أنور التـزـيلـ وأسرار التـأـوـيلـ، ص ٣٣٧ .

(٣) أخرجه الترمذـيـ، (٢٢٥٥)ـ وـالـلـفـظـ لـهـ وـقـالـ حـسـنـ غـرـيبـ.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه وتعالى "يربى عباده المؤمنين على أصناف البر التي لا تبلغها الأفهام فيخصوص كلام من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته فهو باهر القدرة المنيع الذي لا يغلب"<sup>(٢)</sup>، فبره سبحانه متتواع نصراً أم هداية، رزقاً أم توفيقاً في وتيسيراً في الأعمال، فالقضاء يصيب العزيز، وله أجره ويصيب الذليل وعليه وزره، والمؤمن بهذا عزيز لعلمه أنه لن يفلت من محظوم القضاء إنسان، والله تعالى من لطفه بعباده، أن هداهم للخير الذي لا يخطر على بالهم، بما يسر الله لهم من الأسباب الداعية لذلك، يرزق من يشاء بحسب اقتضاء حكمته، فلا حول ولا قوة إلا به لا لأحد من المخلوقين سبحانه من دانت له جميع الأشياء، قادر على ما يشاء لا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء يريده<sup>(٣)</sup>، هذا ما يفهم في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَلَّقُوٌ آلَعَزِيزٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالله تعالى يهب العزة والقوة لعباده المخلصين فيبذل الجهد لتخطى الصعاب، والعزة والقوة على فعل العبادات وأشقاء الطاعات والمسارعة في الخيرات والتحمل والصبر والمتابرة في تعمير هذا الكون الفسيح.

فالقرآن والإسلام أوصيا وهديا إلى القوة والعزة وذلك بتيسير أسبابها ووسائلها.

فالكرامة في التقوى، والسمو في العبادة والعزة والقوة في طاعة الله ورسوله

- ملخص -

(١) سورة يوسف، آية: ٢١.

(٢) للبيضاوي، أنور التنزيل وأسرار التأويل، ص ٦٤١.

(٣) انظر: للمراغي، تفسيره، (٣٤/٩)؛ للسعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٤/٣٩٤).

(٤) سورة الشورى، آية: ١٩.

## المبحث السابع

### يقوى من تسلط الشيطان والسحر والحسد والعين

إن من أعظم ما يعين العبد على الثبات هي الاستعاذه من الشيطان وطرد وساوسه ونجواه.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ آلَقُرْءَانَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانَ  
الرَّجِيمِ ﴾١٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ  
مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

فالشيطان يخبط العباد ويشغلهم بالذات والأعمال الخاسرة فمثلا يحرض على الزهد المنافي لمنهج الإسلام ويخوفهم من طرقات الكسب فيجعلهم ذليلين على الأبواب والطرق يسألون هذا وذاك .

ففي الآية الكريمة خطاب للرسول ﷺ أن يسأل الله الإعاذه من الشيطان في جميع الأعمال ليخلص العمل ولا يؤثر فيه الشيطان بوسوسته، فالمتوكلون محرومون من سلط الشيطان، فمن لم يتوك على الله ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب<sup>(٢)</sup>.

" فالاستعاذه تمنع سلط الشيطان على المستعيذ لأن الله منعه من التسلط على الذين آمنوا المتكلين ..... فنفي سلطان الشيطان مشروط بالأمرتين: الإيمان، والتوكيل.... فالمعنى أن الإيمان مبدأ أصليل لتهجين سلطان الشيطان في نفس المؤمن فإذا انضم إليه التوكيل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتكفل"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية ٩٨-١٠٠.

(٢) انظر: لأبي السعود، إرشاد العقل السليم، (٢٩٢/٣).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤٠٥-٢٧٨/٢٧٩).



ومن أهم ثمرات التوكل أيضاً دفع شر الساحر والهادى والعائن فالتوكل على الله من أقوى الأسباب في ذلك، ومن كان الله حسنه وواقيته فلا يضره أذى من أراد إيهاته وهذا ما شعر به يعقوب عليه السلام لما نهى أبناءه من الدخول من باب واحد، وأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَأْبَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ . أَللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الدخول من أبواب متفرقة ما هو إلا احتراز لا يرد قدر الله وقضاءه وفي هذا دليل على أن الحسد موجود قديماً والاحتراز منه مشروع فلابد من أخذ الأسباب العادية التي لا تؤثر في الواقع شيئاً إلا بإذن الله. وعلى المؤمن الإتكال على الله والاعتماد عليه والثقة به؛ لأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما فعله يعقوب عليه السلام اتخذ أهم الأمور وهي التوكل على الله سبحانه في حفظ ورعاية أبنائه.

(١) سورة يوسف، آية ٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧٤٩/٢).

## المبحث الثامن

### كشف الهم والكرب

من ثمرات التوكل على الله أنه الله يمد المتوكل بعونه، ولا يتخلى عنه إذا حلت بساحته الخطوب، وأحاطت به المصائب والكروب، فهو سبحانه يستجيب الدعاء، ويلبي النداء، ويكشف الهم والحزن والكرب الذي يأخذ النفس.

قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ كَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَاهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِئًّا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فنوح عليه السلام دعا الله تعالى فاستجاب له ربه فحماه ونصره على عدوه فالله تعالى منجي المؤمنين الصادقين في التجاءهم واستتصارهم بالدعاء وبالتوكل عليه سبحانه، فقد أصيب نوح عليه السلام من أذى قومه الكثير، فأصبح في كرب عظيم، وغم شديد، فخلصه الله مما هو فيه، فأغرق قومه المكذبين والمنهمكين في الشر، وما جتمعت هاتان الخصلتان في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

هذا دعاء المخلصين استجاب لهم ومدهم بعونه، فكيف بالخالق العظيم اللطيف وهو يستجيب لدعاء المشركين لا استجابة لهم، بل لأن الله تعالى أعلم بحالهم في تلك الساعة المؤلمة من الدعاء فقد أخلصوا بها الدعاء ولجأوا إلى الله تعالى رغم أنوفهم، قال تعالى يصور تلك الحالة: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضْرِعُهُ وَخُفْيَةً لَيْنَ أَنْجَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّكَرِينَ ﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٦-٧٧.

(٢) انظر: للبيضاوي، نور التزيل وأسرار التأويل، ص ٤٣٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٣-٦٤.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّدِينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فَلَمَّا أَنْجَلْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿

"فالله تعالى يمتن على عباده، في انجاته المضطرين منهم في ظلمات البر والبحر، الحائرين الواقعين في المهمامة البرية، وفي اللجج البحريه، إذ هاجت الرياح العاصفة، حينئذ انفردوا بالدعاء له وحده لاشريك له"<sup>(٣)</sup>، وفرحوا بالريح الطيبة المسيرة لفلكهم، حتى إذا جاءت الريح الشديدة، واغتلهم البحر عليهم، وظنوا هلاكهم هنا في هذه الساعة دعوا الله وأفردوه بالدعاء والابتهاج، وبعد النجاة رجعوا إلى ما هم عليه من ظلم لأنفسهم باتخاذ الأصنام والأوثان عباد من دون الله<sup>(٤)</sup>.

فالكرب والهم والحزن أمور قد ذمتها الشارع الحكيم لما لها من مضار تؤثر على نفس المؤمن؛ لأنها دليل عدم الرضا بالقدر، ولكن المؤمن يدفع هذا بأساليب، دل عليها الإسلام وامر بالتمسك بها وذكرها.

( " فَهُنَّ أَسْمَاءٌ بْنَتٌ عَمِيسٌ قَالَتْ : قَالَ لَيْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " أَلَمْ كُلُّكُمْ تَقُولُنِيهنَّ عَنْدَ الْكَرْبَلَةِ ، أَوْ فِي الْكَرْبَلَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِي لَا أَشْرُكُ بِهِ شَيْئًا " )<sup>(٤)</sup> ، و ( عن أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :

(١) سورة يونس، آية: ٢٢-٢٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٢٢/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٦٤٠/٢).

(٤) أبو داود، (١٥٢٥) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وأحمد (٣٦٩/٦)، واللباني (٢٨٤/١) وقال صحيح.

"دُعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكَلِّبْ إِلَيْيَ نَفْسِي طُوفَةٌ عَيْنٌ،  
وَأَصْلَمْ لِي شَائِبَيْ كَلَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" <sup>(١)</sup>.

هذا مع الإخلاص والإقبال على الله، وأن يلبس المؤمن نفسه لباس الذل أمام العلي القادر، فرسولنا الكريم وصحابه الكرام أصحابهم الهم والكرب والحزن.

أصحابهم الهم والحزن عندما ضيق عليهم المشركون في مكة الحصار، أصحابهم الهم والحزن عندما هاجروا وتركوا مالهم وأولادهم وذریتهم وأزواجهم في يد أعدائهم وهم من أهلهم.

أصحابهم الهم والحزن عندما أذى المشركون رسولهم الحبيب أصحابهم ما أصحابهم ولكنهم احتسبوا ذلك على ربهم توكلوا وأنابوا إلى ربهم مقصدهم وهمهم إظهار دين الله وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة عقيدة وإخلاص حتى كان الله تعالى قد ضمن الكفالة لهم بما حوتة يده سبحانه .

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ  
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

هذه هي سنة الله للمخلصين ليمحص، ويميز بين أوليائه وأولياء الشيطان ويضع الحد الفاصل للحق والباطل منذ أن خلق الخليقة وأنزل عليهم المرسلين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَنَعِمَ الْمُجِيْبُونَ ﴿٦﴾ وَنَجَّيْنَاهُ  
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ <sup>(٣)</sup>﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ ﴿٨﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا  
وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ <sup>(٤)</sup>﴾.

(١) أبو داود (٥٠٩) وقال الألباني (٩٥٩/٣): حسن صحيح الكلم الطيب (١٢١)، ص ٤٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٣.

(٣) سورة الصافات، آية: ٧٥-٧٧.

وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٨﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٩﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ .<sup>(١)</sup>

هؤلاء من أنبياء الله أخلصوا اللجوء إلى الله تعالى لمعرفتهم، ويقينهم بالله تعالى أنه هو من يأخذهم، ويدفع عنهم كروبهم، وأحزانهم خاصة إذا جاؤا بقلب وجل تائب، فكم من مضطر فرجت كربته بدعائه.

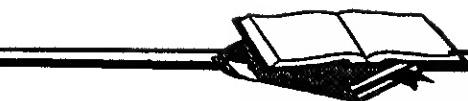
قال تعالى: «أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»<sup>(٢)</sup>.  
فالآية تنبئه من الله أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، فهو سبحانه الذي لا يلجا المضطر إلا إليه، الذي لا يكشف ضر المضطرين سواه<sup>(٣)</sup>.

إن المؤمن حين يصاب بالحزن والغم في دينه أو دنياه فليس له إلا الانكسار بين يدي خالقه، والاعتصام ببابه، وطرقه، والإلتزام عبوديته من الذل، والخضوع، والإذابة، والتوكلا، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجوء إليه والاستعانة به والتوكلا عليه والعياذ به، وأن لا يتعلّق قلبه بغيره محبة، وخوفا، ورجاء، فسبحانه عدل في قوله، و فعله، وقضائه، فخبره كلّه صدق، وقضاؤه كلّه عدل، وأمره كلّه مصلحة، فالمؤمن يصيّبه هم النصر، وهم الرزق، وهم الأبناء ولكن من سعى وتوكل على الخالق "وصدق في جميع أموره صدق العزمية، وصدق الفعل فصدق العزمية جمعها وعدم التردد فيها، فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوضع وبذل الجهد فيه، وأن لا يختلف عنه بشيء من ظاهره، وباطنه، فعزيمة القصد والتوكلا تمنعه من ضعف الإرادة والهمة،

(١) سورة الصافات، آية: ١١٤-١٢٢.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٩١/٣).



وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع أمره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتزم من صحة الإخلاص، وصدق التوكل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله<sup>(١)</sup>.

**قال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.**

فحق كل إنسان وحق كل تصرف له أن يكون التوحيد، والعبودية، والإخلاص هم البداية، والمتوسط، والنهاية لأنهم كالماء للأحياء، وكالهواء للإنسان كالروح للحي، فكلما تغلغلت في الأجزاء والأعضاء وفي المقاصد والأعمال كان الفرج والسرور، وليس منجي المؤمن إلا ذلك التوحيد، والعبودية والإخلاص مع الصدق في القول، والنية والإرادة، والعمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها<sup>(٣)</sup>.

"فكل قلب يرى الفقر غنى مع الله، والغنى فقراء دون الله، والعز ذلة دونه، والذلة عزة معه، والنعيم عذابا دونه، والعذاب نعيم معه، وبالجملة فلا يرى الحياة إلا به ومعه، الموت، والألم، والهم، والغم، والحزن إذا لم يكن معه فهذا له جنتان: جنة في الدنيا معجلة، وجنة يوم القيمة"<sup>(٤)</sup>.

فهنيئاً لذلك القلب، وقريباً سينجلي همه وكربه، وحزنه مع صدق عزمه وتوكله فالمحروم في لحظات كربته، وضيقه لا يجد ملجاً إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء ذلك حين تضيق الحلقة وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد، وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجرد من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، لا قوته ولا قوته في الأرض تتجده، وكل ما كان بعده لساعة الشدة قد زاغ

(١) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٢٤٠.

(٢) سورة محمد، آية: ٢١.

(٣) انظر: لسعيد حوى، المستخلص في تزكية النفوس، ص ٣٠٥ - ٣١١.

(٤) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٢٥٢.



عنه أو تخلى، وكل من كان يرجوه لكربه قد تذكر له أو تولى - في هذه اللحظة تهتز النفس فتُلْجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله فهو وحده دون سواه، يجيبه ويكشف عنه الكروب، ويرده إلى الأمان والراحة؛ لذلك لابد أن لا يغفل الإنسان عن هذه الحقيقة ويعلم علم اليقين أن الله هو الذي فطره، وزوده بالطاقات ورزقه فيدفع كل التماس دون الله لتزول الأحزان عن الأنفس وترجع إلى الله بقلوب وجلة لل العلي القادر<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: لسيد قطب ، في ظلال القرآن ، (٢٦٥٨/٥) .

## المبحث التاسع

### يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار

إن من أهم الأمور التي تشغل الكثير من الناس هو الرزق وأهمهم هذا الأمر؛ لكن المتكلين على الله تعالى يقنووا أن الرزق مقسوم ومقدر من الله تعالى وعلموا أنه لا ينقص من أرزاقهم شيئاً قد كتبه الله لهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

"فما من دابة في الأرض إلا يرزقها الله تعالى حيث كانت أماكنها بسوقها إليه"<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنْ ﴾<sup>(٣)</sup> بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهُدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلَغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالله تعالى يكفي العبد مؤونته و حاجته بلاشك وبالتوكل على الله تجلب المنافع وتتدفع المضار.

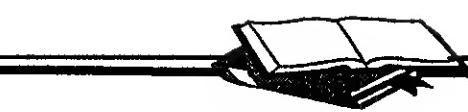
قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة هود، آية ٦.

(٢) أبي السعود، إرشاد العقل، (٧/٣).

(٣) سورة الطلاق، الآية ٣-٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٧٣.



ف والله تعالى يكلاً ويحفظ ويحمي المؤمنين الصادقين لأنهم "لما توكلوا" على الله كفاهم ما أهملهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم ... مما أضمر لهم عدوهم<sup>(١)</sup>.

فالتوكل عبادة تورث الرزق وتتدفع بها المضار ويسوق الرزق لأن في التوكل سعي في طلب الرزق النافع ودفع الضار وهذا ما كان من سلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسعى في الرزق افتقار إلى الله تعالى دون غيره.

"فالتوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكلاً لأن الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح وزكرياً نجارين، وإدريس خياطاً، وابراهيم ولوط زارعين، وصالح تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين"<sup>(٢)</sup>.

فإن تأمل ذلك حتى تكون في إطار قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِلَغَ أَمْرَهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، فكيفينا الضائقنا من كل شيء ويجلب لنا ما نحتاجه من المنافع.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٤٧/١).

(٢) ابن الجوزي، تلبيس أبليس، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٨١.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٣-٢.



## المبحث العاشر

### الدخول في كنف وكفاية الله تعالى

تقدمنا أن التوكل على الله من أعظم الأعمال الخلقية التعبدية وتأتي ثمراته العظيمة ويجنيها المتوكل بعد تحقيقه العمل الرفيع الخالص الصائب.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

فإليه سبحانه وتعالى تنتهي القوة، والملك، والعظمة، والجاه، وهو حسب من لاذ به وحسب من والا، فالمتوحد بالألوهية هو الكافي المعين، وهو مالك كل شيء وحالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخالق من السموات والأرضين وما فيهما، وما بينهما مقهورون بقدرة الله، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل<sup>(٢)</sup>.

فإذا علم المؤمن صفات خالقه تلك، فكيف لا يلوذ به، ويدخل في كفایته أحد، ولن تكون الكفاية والحسب إلا لمن آمن، واتقى ، وكلما كان العبد حسن الظن بالله صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه أبداً.

"فالله تعالى شرع في بيان كفایته لنبيه محمد - ﷺ - في قوله:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين، أم في الأمور المتعلقة بالكافر كافية<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

(٢) انظر: لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٢٧/٢)؛ وللألوسي، روح المعاني، (٥٣/١٢-١١)؛ ولسيد قطب، في ظلال القرآن، (١٧٤٣/٣).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

(٤) انظر: للألوسي، روح المعاني، (٣٠/١٠-٩).

فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾<sup>(١)</sup>، والمعنى "كل من يتلقى الله فيما نابه كفاه ما أهله"<sup>(٢)</sup>، "وأخبر سبحانه أن كفايته لهم مقرونة بتوكلهم عليه، وأنه كاف من توكل عليه وحسبه، وجعل لكل عمل من أعمال البر، ومقام من مقاماته جزاء معلوماً، وجعل نفسه جزاء المتوكلا عليه". – فلننظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكلا، ولم يجعله لغيره، وماهذا إلا دليل على أن التوكل من أقوى السبل عنده وأحبها إليه سبحانه، وليس كونه وكل الأمور إلى نفسه مناف لتوكل العبد عليه، بل هذا تحقيق كون الأمور كلها موكولة إلى نفسه سبحانه وتعالى"<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث: "عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت فتنجح له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك ب الرجل قد هديت وكفيت ووقيت؟"<sup>(٤)</sup>.

ففي الحديث درس لبداية أي عمل ونهاية أي عمل، فالتسمية بالله فيها الراحة ومن ثم التوكل عليه وتفويض الأمور إليه وتسليمها للخالق؛ لأن المؤمن وكل مخلوق على وجه الأرض وفي الكون ليس له لا حول ولا قوة.

وكذلك في الحديث درس في أن التوكل كما أنه قول باللسان هو اعتقاد وعمل وبهذا يكون التوكل هو هؤلاء جميعاً اعتقاد، وعمل، وقول باللسان.

فصدق التوكل أن تثق في الله، وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لدى العبد في دنياه.

(١) سورة الطلاق، آية: ٣ .

(٢) انظر: للبغوي، معالم التنزيل، (٤٠٢/٥).

(٣) انظر: لابن القيم، مدارج السالكين، (١٣٣-١٣٤/٢).

(٤) سبق تخریجه، ص ٧٥ .



فالآيات القرآنية التي تحدثت عن التوكل وكانت في صدد الكلام عنه تدعو رسول الأمة محمد - ﷺ - وجماعته المؤمنة الموحدة بتفويض الأمور كلها إلى الله وحده. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام الطبرى<sup>(٢)</sup> في تفسيره لهذه الآية "وفوض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به وحسبك الله فيما بأمرك وكيلا، وحفظا بك"<sup>(٣)</sup>، فالله تعالى عاصم وحسب كل من فوض أحواله وأعماله إليه.

فمن خلال هذه المعانى فالمتوكل داخل في كنف وحماية الله سبحانه وتعالى وذلك بعد أن يقدم الجهد من الأسباب التى أمر بها سبحانه، ويكمel الله تعالى للمتوكل كل ما يعجز عنه، فنبي الأمة محمد - ﷺ - يوم هجرته، كيف كان آخذا بالأسباب الممكنة وأعد لكل أمر عدته، من الرفيق، ومن الدليل، ومكان الخفاء، ومن يأتي له بالزاد والأخبار، ومن يعفي على آثاره هو ورفيقه الصديق، ومع هذا فقد استطاع قومه أن يقفوا أمام مكانه، ولكن حماية وكفاية الرحمن فوق كل شيء، فالخوف ملك رفيقه حيث قال: "لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا" فقال رسول الله: **ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**<sup>(٤)</sup>.

فهذا مثل تطبيقي لتوكل رسول الأمة محمد - ﷺ - ، يهدى من روع صاحبه ويخف عليه.

فالرسول الكريم فعل ما أمر به، وترك مالم يأمر به لربه، وراعيه، ومالكه وكالئه، وكافيه يدبره بما يشاء لقد فاض على قلب رسولنا من صدق التوجه واستغناه القلب بالله تعالى فشعر - ﷺ - وصاحبـه بكفاية وكفالة الله لهم.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣ .

(٢) محمد بن جرير الطبرى، الإمام أبو جعفر ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ؛ طبقات المغسرين للسيوطى، ص ٨٢.

(٣) انظر: جامع البيان، (٦/١٥٧).

(٤) صحيح البخارى (٤/٥٥٦) ح ٣٦٥٣ كتاب فضائل أصحاب النبي؛ ومسلم (٤/١٨٥٤) ح ٢٣٨١ كتاب فضائل الصحابة، واللفظ للبخارى .

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُنَّكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٌّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامَةٍ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُواْ إِنَّ اللَّهَ قُلْ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِبَىَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإله تعالى كاف عبده ومرشدته ومسدده إلى طريق الحق والإيمان فإليه نفرع في أمورنا دون سواه، فهو الكافي سبحانه<sup>(٢)</sup>.

وهناك معنى في تفسير ابن كثير<sup>(٣)</sup> هو " أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه، فهو سبحانه منيع الجناب لا يضام من استند إليه، ولجا إلى بابه فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاماً منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله - ﷺ -"<sup>(٤)</sup>.

" فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: كنتم خلف رسول الله - ﷺ - يوماً، فقال: " يا غلام إني أعلمكم كلمات: احفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجده تجده، إذا سألت فاسأله الله، وإذا استعنتم فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وفتحت الأقلام وجفت الصحف " "<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الزمر، آية: ٣٦-٣٨.

(٢) انظر: للطبراني، جامع البيان، (٣٨٧/٦-٣٨٨).

(٣) عماد الدين أبوالفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ؛ انظر: شذرات الذهب، (٢٣١/٦-٢٣٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٨٢).

(٥) الترمذى (٢٥١٦) واللفظ له وقال: هذى حديث حسن صحيح؛ وأحمد (١/٢٩٣-٣٠٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: صحيح (٤/٢٩٣) برقم (٢٧٦٣).

"فَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِي مِنْ عَبْدِهِ وَتَوْكِيلُ عَلَيْهِ، فَيُدْفَعُ عَنْهُ الْوِيلَاتُ وَالْمَصَابِبُ، وَيُعْطَيْهِ جَمِيعَ الْمَرْغُوبَاتِ" <sup>(١)</sup>.

هذا لمن اتصف بصفة العبودية الحقة له سبحانه، لأنه قد ثبت أنه تعالى عالم بجميع الأمور، قادر على كل الممكنات، غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم بحاجات العباد، وقدر على توفيرها، فالآلية الكريمة من سورة الزمر دليل على أن الله يحمي نبيه - ﷺ - من السوء، ويكتفيه وأتباعه الدين والدنيا.

فالمرء المؤمن يشتد عليه الأمر ويتناهي في العظم ويحصل اليأس من كشفه من جهة المخلوقين ويتعلق القلب بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل على الله، فإن الله يكفي من توكل عليه في أمره.

فالمؤمن يتوجه ويلوذ بجذب الله تعالى، وقد علمنا رسولنا الكريم - ﷺ - بعض كلمات لها وقع عظيم عندما يلهم اللسان بها فقول حسبي الله ونعم الوكيل لها تأثير عظيم، في دفع الشر، وحصول الخير .

"فَعَنْ أَبْنَاءِ عَبَّاسٍ - وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ  
قَالُوا: إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَلْفَيَ فِي النَّارِ، وَقَالَ هُمْ مُحَمَّدٌ - ﷺ - حِينَ  
قَالُوا: أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ  
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ" <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

"فَالله تعالى يتجلى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه والرضا به وبكل ما يجريه على عبده، ويقيمه فيه مما يرضي به هو سبحانه، والتوكل معنى يلتئم من علم العبد

(١) انظر: لوهبه الزحيلي، التفسير المنير، ج ١٢ (٢٣-٢٤/٩٠)؛ ولسعيد حوي، الأساس في التفسير، (٩٧٧/٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.  
(٣) صحيح البخاري، (٩٤٥) ح ٤٥٦٣.

**بِكْفَايَةِ اللَّهِ وَحْسَنِ اخْتِيَارِهِ لِعَبْدِهِ وَثُقْتَهُ بِهِ وَرَضَاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ وَيَخْتَارُهُ**

لَهُ<sup>(١)</sup>.

فالعبد يقوم بما أمر به سبحانه من إخلاص واجتهاد، وتوكل، والله تعالى يقوم بما ضمنه له من الرزق والكافية، ومن سعادة المرء أنه إذا توكل على الله كفاه الله سائر الأمور، ولكن إذا توكل العبد على غيره قطع الله عنه سائر الأمور، فالعز كل العز في التوكل على الله، والذل كل الذل في التوكل على المخلوقين، فينبغي إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، ولا بد أن يكون هذا حال الخلق من المؤمنين، فما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخلقة.

---

(١) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٩٢.



## المبحث الحادي عشر الفوز والخيبة

إن النعم كلها من الله وحده والمتوكل على الله مؤيد من الله، وعلى قدر قوة توكل المرء على ربه وتجريده له، يكون مدد الله تعالى وعونه، والإمداد على قدر الاستعداد.

قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
"فَكُلُّ مَنْ أَخْلَصَ، وَخَصَ اللَّهُ بِالتَّوْكِلِ عَلَيْهِ يَسْتَحْقُ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ"<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى لا غيره يعين، وينصر، ويمنع، والمؤمن يعمل وينتظر ويشاهد جزاءه إن عاجلاً أو آجلاً، فالتوكل على الله من لوازم الإيمان الصحيح الصادق كما علمنا وأشارنا إلى ذلك، وعلى معنى أن من صح إيمانه صح توكله على الله وحده، وأقبل على معارك القتال الذي أمر الله به، وهو واثق من أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وعلى يقين بأن الله ينصر أوليائه على أعدائه إذا اتخذوا كل الأسباب التي أمر الله بإتخاذها، وحققوا في أنفسهم ما أوجب عليهم من شروط، ونصر الله تعالى سراً علينا وهذا مانلمسه في قوله سبحانه: ﴿أَنَا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَئْشَهَادُ﴾<sup>(٣)</sup>، "قد علمنا أن من الرسل من قتله أعداؤه، ومثلوا به كشعياً ويعيبي بن زكرياء وأشباهم، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجياً بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقًا لقومه، وعيسيٌ الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسليه والمؤمنين في الحياة الدنيا؟ وهؤلاء أنبياء قد نالهم من قومهم ما قد علم، ومانصروا على من نالهم بما نالهم

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ .

(٢) انظر: للبيضاوي، أنوار التنزيل واسرار التأويل، ص ٩٤ .

(٣) سورة غافر، آية: ٥١ .



نالهم به<sup>(١)</sup>. وهذا يرد سؤال كيف كان نصر الله تعالى لرسله قديماً؟ هل له أشكال أو أنواع غير النصر المأثور في الدنيا من النصر في الحرب والغلبة على الأعداء وفي هذا أورد صاحب تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن بعض أشكال وأنواع النصر هذه.

فأولاً: إعلانه سبحانه رسله مع من كذب بهم وإظهارهم بهم حتى يقهر وهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك باداود وسليمان فأعطاهما من الملك والسلطان ماقهروا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد - ﷺ - على من كذبه من قومه.

ثانياً: إنتقام الله لكل من حاد وشاق وذلك بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممن كذبهم، وعاداهم كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تفريق قومه وإنجائهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك.

ثالثاً: إنتقام الله من المكذبين في الحياة الدنيا كالذي فعل بقتلة شعيباء أن سلط الله عليهم من سلط لقتلهم، وكفعله سبحانه بقتلة يحيى، بأن سلط على قتله بختنصر حتى هلكوا به.

فهذه نصرة عظيمة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعين من آذاهم<sup>(٢)</sup>.

إذا التوكل على الله ينبغي الحرص عليه في جميع الأحوال من نصر، وخذلان، لأن من المعلوم عند المؤمن أن نتائج أعماله هي بيد الله، فهو القوة الفاعلة، وأن قوة الله هي الغالبة بعد اتخاذ العدة والعتاد، ونفض الأيدي من العواقب وتعليقها بقدر الله، وتقبله والرضا بما يأتي به الله فحال المؤمن إذا ادلهمت الأمور عليه أن يزداد توكلًا على الله، وإيماناً به، والله عند حسن ظن عبده....، فوعد الله قاطع جازم بالنصر قريباً أم بعيداً، والمؤمن عليه أن لا يقصر معنى النصر على صورة

(١) انظر: لابن جرير، (٤٣٥/٦)؛ وانظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/١٢٦).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤٣٥/٦)؛ ولابن كثير، المصدر نفسه، (٤/١٢٦).



معينة حتى لا يدخل الشيطان إلى النفس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل، وينبغي أن يعرف أن صور النصر شتى وقد يتبع بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة فمن هذه الصور أيضاً مثلاً أنبياء الله، ومنهم إبراهيم عليه السلام عندما ألقى في النار لم يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها .. أكان هذا موقف نصر أم موقف هزيمة؟، مامن شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار ، لأنه عليه الصلاة والسلام قد كشف أوهامهم، وضلالهم - كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار وأمام أعينهم، فهذه صورة، وتلك صورة، وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته، ودعوته لو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده، لقد انتصر رسولنا وفاز وغلب في حياته، ونصره وغلبته ارتبطت بمعنى إقامة هذا الدين، وهذه العقيدة بحقيقةها الكاملة في الأرض إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة.

فالفوز والغلبة لا تكون إلا باتجاه القلب إلى الله وحده، وبتوكله عليه وحده، وبالاطمئنان إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، وحين يصل إلى هذه الدرجة من الطمأنينة فسيكمل الأمر الله، ويلتزم ويتحقق كل ما يصيبه على أنه الخير، وذلك معنى من معاني النصر، النصر على الذات وهو نصر داخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال<sup>(١)</sup>.

كذلك من صور النصر اختيار الله تعالى لأحد البشر بالرسالة، والنبوة والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَّالِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَهَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى نصر يوسف على أخوه وعلى امرأة العزيز بأن كشف سبحانه لأبيه مؤمرة إخوته عليه، وكشف تدبير امرأة العزيز وكيدها له، فالله تعالى غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد، فالغلب ليوسف عليه

(١) انظر: لسعيد حوى، الأساس في التفسير، (٩٣٩/٢)، و (٤٩٧١-٤٩٦٩).

(٢) سورة يوسف، آية: ٢١.



السلام قد تجلى في أن ملك خزان الملك، وما أنعم الله به عليه بعد معاناته فخصه  
سبحانه بالنبوة والنجاة<sup>(١)</sup>.

وجمع أبويه وآخوته تحت جناحه وأمام ناظره يعولهم ويرعاهم، فوعد الله  
قاطع، وسنته جارية بنصر وفوز أنبيائه ورسله أئمة المتكلمين فهم حزب الله  
الغالبون، وإن خسروا بعض المواقف والشاهد لحكمة يعلمها الله تعالى، ولكن  
الفوز حاصل، وإنما هو قدر يجريه الله تعالى لمن اتصف أنه من جند الله، ومن  
كانت أحواله مستقيمة فليبشر بالغلبة والنصر المؤزر العزيز. قال تعالى في هذا  
المعنى السابق: ﴿ وَلَقَدْ سَيَّقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمْ  
الْمَنْصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَلِيلُونَ ١٧٣ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه ظاهرة عامة ملحوظة في جميع بقاع الأرض، في جميع العصور، وإن  
طال الزمان أم قصر، وهي كذلك متحققة في كل دعوة، يخلاص فيها الجندي، ويتجدد  
لها الدعاة، إنها غالبة منصورة مهما وضعت في سبيلها العوائق، وقامت في طريقها  
الراقيل، فها هي أفغانستان ، البوسنة والهرسك، كوسوفا، وستاتي الشيشان في  
الطريق بالفوز والغلبة والنصر بإذن الله مهما رصد لها الباطل من قوى الحديد  
والنار والغازات السامة، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة وما هي  
إلا معارك تختلف نتائجها في يوم لك، ويوم عليك، ولكن ينتهي اليوم الذي لجند الله،  
وحربه بال وعد الذي وعده لهم ولرسله الذي لا يخالف ولو قامت قوى الأرض كلها في  
طريقه، ال وعد بالنصر والغلبة، والتمكين هذا ال وعد وإن طال حدوثه، فهو من سنن  
الله الكونية الماضية، كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دور انها المنتظمة، وكما  
يتتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان، وكما تتبع الحياة في الأرض  
الميotaة ينزل عليها الماء ولكنها مر هونة بتقدير الله، يتحققها حين يشاء، ومتى يشاء  
ليمتحن ويبتلي حربه، تبطيء آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة،  
ولكنها لا تختلف أبداً ولا تختلف، وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر؛ لأنهم يطلبون

(١) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، (٤/١٩٩-٢٤٥).

(٢) سورة الصافات، آية: ١٧١-١٧٢-١٧٣.

المألف من صور النصر والغلبة، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين .

فما نراه من قوى الحرب ضد المسلمين، وضدمن يقول لا إله إلا الله إلا نصر للMuslimين عامة فهم لا يقumen بهذه الحرب إلا من خوفهم من المسلمين والإسلام، ولأنهم يعلمون علما يقينا أنهم منصورون، وأن ما يقumen به من محاولات للفتك بالإسلام والمسلمين واستنزاف الأموال والأنفس، ومكرهم لاطائل من ورائهم؛ لأن مكر الله أشد وأبقى" <sup>(١)</sup>.

فالمؤمنون جميعهم يريدون صورة معينة من صور النصر والغلبة، ولكن الله تعالى يريد لهم الأكمل والأبقى من النصر والفوز فمثلاً أراد المؤمنون في غزوة بدر أن تكون العبر لهم، ولكن أراد الله لهم أن تقوتهم تلك العبر والقافلة الرابحة الهينية، ويقابلوا النغير ويقاتلو الطائفة ذات الشوكة فكان ما أراد الله من الخير للإسلام والمسلمين، فنصر وغلب القلة على الكثرة، والحق على الباطل ، وكان هذا هو النصر الذي بقى لجند الله ولدعوه على مدى الأيام.

قد يقسوا البلاء ويعظم ولكن يهيء الله تعالى النصر في مجال أوسع وفي زمن أطول فالمؤمن المتوكّل يعلم أن الله حكيم في ما يديره رحيم في أفعاله ولن تكون ثمار التوكّل مجديّة نافعة إلا باستقامة العبد وصلاحه توحيده وذلك بجمع علم القلب وعمله فالتوكل على الله من أقوى الأسباب في استجلاب المنافع ودفع المضار "فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكّل توحيد القلب، فما دامت فيه علاقه الشرك فتوكله ملعول مدخول وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكّل" <sup>(٢)</sup>.

فهذه الثمرة النافعة هي من ثمار شجرة التوكّل على الله، فلعلها تكون حافزاً قوياً للاعتماد والاستعانة، وللجوء للحي القيوم الفرد الأحد الصمد في كل الأمور والأحوال .

(١) انظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن، (٥/٣٠٠).

(٢) انظر: لابن القيم، مدرج السالكين، (٢/١٢٠).



## المبحث الثاني عشر التسليم للقضاء والقدر

إن من أعظم الثمرات التي يجنيها المتوكل على الله سبحانه هو التسليم للقضاء والقدر، فيجب الإيمان بقضاء الله وقدره، فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بقضاء الله وقدره، فجميع ما يجري في الأفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى ومكتوب وبإرادة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى فعال لما يريد وليس شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره فخلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وله حكمة في قضائه سبحانه فعلينا أن نؤمن بذلك.

فالدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل لابد فيه من اليقين والتوكيل والرضا والتسليم للقضاء والقدر ولن يذوق المؤمن طعم الإيمان إلا إذا سلم ورضي بالقضاء والقدر. عن العباس بن عبد المطلب قال: قال النبي - ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا"<sup>(٢)</sup>.

فالتسليم للقضاء والقدر والتوكيل مخرجهما واحد ألا وهو القلب ولكن التسليم للقضاء والقدر ثمرة من ثمار التوكيل على الله.

فالمؤمن المتوكل على الله يعلم أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله تعالى ويسلم بأقدار الله تعالى فلا يقلق بفوائط المحبوب أو حصول المكرور فكله بقدر الله.

(١) سورة الفرقان، آية ٢ .

(٢) صحيح مسلم، ٣٤ كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا  
فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ <sup>١</sup> لَكِيَّاً تَأْسُوا  
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْتُكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ  
فَخُورٍ﴾ <sup>٢</sup>.

ففي الآية إخبار من الله تعالى عن قدره السابق في خلقه وأردف ذلك بتهوين المصائب على المؤمنين حتى يكون لهم الإطمئنان <sup>٣</sup>.

إن عقيدة التسليم بالقضاء والقدر ترتبط ارتباط وثيق بخلق وعقيدة التوكل؛ لأن العقيدة الصحيحة في قضاء الله وقدره المستندة على الأدلة الشرعية تدفع المؤمن للعمل في سبيل مرضاه ربه مجاهدا في سبيله، يقول الحق، ولا يبالي بأحد، لا يخاف في الله لومة لائم لإيمانه الجازم أن مآصابه لم يكن ليخطئه، وما خطأه لم يكن ليصيبه، وبهذا الإيمان انطلق سلف الأمة الإسلامية، وشحنت نفوسهم على الإقدام لفتح البلدان، ينشرون الإسلام والقرآن في ربوع الأمم، فكان إيمانهم بالقضاء والقدر دافعا لهم إلى العمل المستمر في نشر دين الله، فلا يقلقون لحصول مكروه أو فوات المنشود؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو سبحانه فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ومشيئته خالق الخلق، وأفعالهم، ومقدر أرزاقهم وأجالهم.

قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ <sup>٤</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ <sup>٥</sup>.

(١) سورة الحديد، الآية ٢٢-٢٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٨٩/٤).

(٣) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٤) سورة القمر، آية: ٤٩.

فالمرء يرضي بقدر وقضاء الله وذلك من تمام الرضا بربوبيته سبحانه وتعالى، فمن لم يرض ويسلم لقدر الله وقضائه فكأنما رفض ربوبية الله تعالى وعصاها، والتسليم هو سرور بمر القضاء، مع ارتقاء الجزع في أي مقدار كان، ورفع السخط بطيب نفس<sup>(١)</sup>.

ففي التوكل على الله استغناء عن الناس بطلب العمل والتسليم لقدرة الله على إنجاز كل ما يريد وفوق ما يريد<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن يمضي على الحقيقة التي علمها وعرفها من أن الكمال الأعلى لله تعالى، وأن كل عمل لا يحدث ولا يقدر له إلا وله حكمة إلهية، وإذا غابت عنه الحكمة الإلهية في أمر من الأمور عرف المؤمن جهله أمام علم الله وترك الاعتراف والتخطي وكل من آمن أن الله خلق كل شيء بقدر نرائه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر، بهمة ويقين وسرعة عمل فهو يدفع قدر الجوع بقدر الطعام، وقدر المرض بقدر الدواء، وقدر الفقر بقدر السعي في طلب الرزق، فهذه الأعمال تؤدي ب أصحابها إلى القناعة وعدم الأسى لما يفوته، وإلي التحمل والصبر والتسليم والمثابرة.

فمن آمن بقدر الله سبحانه عمل على قدر همته واستطاعته فلا يأسى  
على مافاته ولا يصيبه اليأس بسبب كثرة المصائب، ولا يفتخر، أو يتكبر مما  
أوتى من حظوظ مؤمنا بقوله ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾  
لَكِيَّا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَيْتُكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣﴾.

(١) انظر : للجرجاني، التعريفات، ص ١١١؛ وللمناوي، التوقيف على مهامات التعريف، ص ١٧٨.

(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، تط ١٩٨٧م)، (٣/٢٧٠).

(٣) سورة الحدود، آية: ٢٢-٢٣

والقرآن الكريم عرض حقائق جامعه بأدلة واضحة سهلة لاتعقيد فيها ولاغموض من أوامر ونواه، أخلاق، وآداب، وقصص، وغزوات، وأحكام.

فالمؤمن يقف عند كل عرض منها وهو خاشع، متأمل يخرج من هذا التأمل والخشوع باليمن يشرق على جوانب النفس كلها فتبنيت عقيدة تتفذ إلى العقل، وتطمئن، وإلى القلب فتهزه وإلى الإرادة فتدفعها وتوجهها للعمل طائعة راضية، مستسلم، متوكلاً بوجود القوة الإلهية معه، ويلجأ إليها عند الشدة تلك القوة التي تنقذه من الأزمات، فالمؤمن يشح نفسه ويملؤها بالإيمان واليقين والثقة في الله.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِلَعْ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولنأخذ مثلاً على التسليم بالقضاء والقدر وشحذ الهم وأثر التوكل عليهما في المؤمن الذي لاحقه الإضطهاد، والتعذيب الجسدي والنفسي وازداد عنفاً وشراسة عند وفاة سديه العاطفي، والاجتماعي، وكان الله أراد لهذه النفس المؤمنة أن تستعد للفجر القادم، فجر الإسلام الذي وضع خطواته رسولنا - ﷺ - في الطريق صوب المدينة، كان يعلم عليه الصلاة والسلام أن عمل الإنسان لا يستقيم إلا بصياغة العمل وانسجامه مع قدر الله وقضائه، والتزاغم بينهما فيبدون هذا التواصل لن تكون هناك حركة ولا عمل جاد، ولا مصير عظيم، فالرسول - ﷺ - يخطط، ويضع الضمانات، ويهيء الإمكانيات لنجاح العمل بين الأفراد والجماعات، فالرسول هاجر إلى المدينة بعد أن خرج من الطائف، وصد صداً عنيفاً، لكنه لم ييأس، لأنَّه يعلم يقيناً أنَّ الخاتمة ستكون له، فقط إذا استمر على بذل جهده لتخطيط دولة ستعقب انتصاراً<sup>(٢)</sup>.

خرج ورفيق دربه معاً يستكملان الخطة ويضعان الأسباب، ويتنزل وتتوالى الانتصارات مع بعض من الهزائم، ولكنها غير مؤثرة كثيراً، بل إنها كانت دافعاً قوياً للسير على النهج والخطة التي رسمها محمد - ﷺ - لأمته إن التواصل الرائع

(١) سورة الطلاق، آية: ٣ .

(٢) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٦٤)، ص ١٢٨...؛ وانظر: لعماد الدين خليل، دراسة في السيرة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، دار النفائس، تط التاسعة ١٤٠٤هـ) ص ١٣٤-١٤٤ .

بين قضاء الله وقدره وإرادة وعمل المؤمن، وبين أن هدى الله وخطوات عباده الأبرار مكنت القادة المؤمنين من استكمال كل الأسباب التي منحهم الله إياها.

ففي تجربة الهجرة يتزل النصر من الله، مرئياً محسوساً، ثلاثة مرات، مرة عند مغادرته داره وقد أحاط أبناء المشركين بداره ليطيفوا برسول الله، ولكن لم تأت هذه اللحظة، فقد راح يقرأ رسول الله آيات من سورة يس وعبر هذا المانع والسد المنيع أغشى به الله أبصار المشركين.

ومرة ثانية عند الغار لقد رأى أبو بكر بأم عينيه نعال المشركين المطاردين تخفق عند أسفل الغار، فارتعد فرقاً ليس على نفسه بل على رسوله الكريم ويجيء نصر الله تعالى بأن تطيش الباب المشركين ﴿ثَانِيَ أَثْنَيْنِ اذْ هُمَا فِي الْغَارِ اذْ يَقُولُ لصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلْمَةَ آلَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومرة ثالثة في الطريق إلى المدينة فقد اقتدوا أثره (بسراقة ابن مالك) الذي خابت له الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بالرسول حياً أو ميتاً، فتعذر سراقه بفرسه وتمرغ بالتراب، كلما اقترب من هدفه مرة أو مرتين فيطلب الأمان من رجلين من جنود الله فأني له مايريد؟، وقف عائداً وكلما رأى أحداً يقتفي أثر رسول الله وصاحب رده قائلاً: كفيت هذا الوجه، وذلك ما طلب منه الرسول<sup>(٢)</sup>.

فهجرة الرسول تعلمنا كيف يكون العمل مع القضاء والقدر، وهو المثل الأعلى في ذلك ، كذلك المؤمنون عليهم أن يكونوا كرسولهم - ﷺ - ، فأولوا الأbab لا يغضون أعينهم ولا يصرفون وجوههم عن الأدلة الواضحة ولا يغلقون عقولهم عن تدبر آيات الله وأحاديث رسوله والنظر في أحوال الناس قياماً وقعوداً، وهذا لا يتأتى إلا عن عقيدة صحيحة سليمة، وباطن سليم، وظاهر صالح.

(١) سورة التوبه، آية: ٤٠ .

(٢) انظر : عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، وانظر لعماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٣٤-١٤٤.



فاليقان بالله والتوكل عليه لهما أثرهما على التسليم بالقضاء والقدر  
وشذهم المؤمنين الصادقين فهما محطات تزود بالوقود الإيماني الذي يعين على  
السير لجميع الاتجاهات والطرق.

فالصحابة رضوان الله عليهم وعوا هذا وأدركوه، وتسابقو الأجل  
الفوز بالدرجات العلى والمديح من الله ورسوله - ﷺ - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ <sup>(١)</sup>، نعم هذا الجزاء للمتوكلين فينبغي التمسك بهذا الحب، ونعمل  
على أن نكون أهلاً لهذا الحب.

فليكن توكلنا مرضياً محبوباً لامسخوطاً مبغوضاً حتى تكون المصلحة والنفع  
العام للفرد والمجتمع .

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩ .



## الفصل السابع

### التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع

**وفي هذه :**

**نهاية .**

**المبحث الأول: أثر التوكل على الله في تزكية الفرد .**

**المبحث الثاني: أثر التوكل على الله في تزكية المجتمع.**

## الفصل السابع

### التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع

**التمهيد:**

إن التزكية عملية تربية تربية الخيرات والبركات ... وبزكاء النفس وطهارتها يستحق العبد أوصافاً محمودة في الدنيا وفي الآخرة بالأجر والثواب<sup>(١)</sup>.

والترزكية ليست نوعاً واحداً، ولا شكلًا واحداً؛ لأن الناس مختلفون على وجه الأرض، فكان لكل جماعة نوع من التزكية التي تختلف أسماؤها وأهدافها حسب المقتضيات الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّيَّنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوا رَبَّانِيَّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلِمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن من أكرمه الله وأصطفاه بالحكم والنبوة هو من يرب الناس ويقوم بإصلاح وإتمام الأمر شيئاً فشيئاً، أو حكماء وعلماء وفقهاء معلمين<sup>(٤)</sup>، يأخذ بيدي الأفراد والجماعات إلى التربية الإيمانية الصادقة، ويحرر وهم من عبودية الأهواء؛ ليعتمدوا بعبودية الله وحده ويظهروا أعمالهم ويزكوا أنفسهم، فهذه هي مهمة الرسل الأساسية للترزكية، وتعليم الكتاب والحكمة.

(١) انظر: الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢١٨.

(٢) سورة الجمعة، آية ٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

(٤) انظر: الطبرى، جامع البيان، (٢/٢٨٠)؛ البغوى، معالم التنزيل، (١/٤٩٨).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوَّهُ عَلَيْهِمْ إِذَا يَأْتِيهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

"لقد طوّل الله على المؤمنين حين أرسل فيهم رسولاً ... من أهل لسانهم... يقرأ عليهم أي كتابه وتتنزيله ... ويظهر لهم من ذنباتهم باتباعهم إياها وطاعتهم له فيما أمرهم ونهائهم ويعلمهم كتاب الله الذي أنزل عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه ويعلمهم السنة التي سنها الله تعالى للمؤمنين على لسان رسوله - ﷺ - وبيانه لهم"<sup>(٢)</sup>.

فالتركيـة في الإسلام هي تبليـغ للشيـء وتحـديد للهـدف يـسـير بـها المـربـي شيئاً فـشيـئـاً، وـهي مـستـمرـة لـبلـوغ الـهدـف الأـعـلـى فـي حـيـاة النـاس جـمـيعـاً.

ونعلم يقيناً أن الدين الإسلامي بعقائده، وعباداته، وحقائقه، وأخلاقه وكل ماجاء من عند الله هو من أكبر الدلائل القاطعة الضرورية الدالة على أن الله هو الحق ورسوله حق ودينه حق، وماعارض ذلك هو الباطل؛ لأنـه يـدعـو إـلـى الإـيمـان الصحيح بالله تعالى، وبأوصافـه، وأسمـائه، وبـكل كتابـهـ أـنـزلـهـ، وبـكل رسولـهـ، وبـكل حـقـ أـخـبـرـ اللهـ بـهـ وـرسـولـهـ، وـذـلـكـ يـوجـبـ كـمـالـ الإـخـلاـصـ وـالـقـيـامـ بـعـبـودـيـتهـ، وـالـتـبـرـيـ منـ الشـرـكـ كـبـيرـهـ وـصـغـيرـهـ، فـإـذـا نـظـرـنـا إـلـى أـخـلـاقـ الإـسـلـامـ رـأـيـناـهاـ اـتـحـ علىـ كلـ خـلـقـ جـمـيلـ، وـتـحـذـرـ منـ كـلـ خـلـقـ رـذـيلـ وـتـدـعـوـ إـلـى الـقـيـامـ بـحـقـوقـ اللهـ، وـحـقـوقـ عـبـادـهـ، وـبـالـعـامـلـةـ الـحـسـنـةـ، وـمـنـ تـأـمـلـ هـذـاـ الـدـيـنـ رـأـهـ يـدعـوـ إـلـى الـصـلـاحـ وـالـرـشـدـ وـالـفـلاحـ، وـالـتـرـبـيـةـ السـلـيـمةـ وـالـتـرـكـيـةـ السـلـوـكـيـةـ.

وكتاب الله وسنة رسوله كفيـانـ بـبيـانـ ذـلـكـ كـفـالـةـ تـامـةـ، فـالـآـيـاتـ وـالـبـرـاهـينـ، وـالـأـمـالـ، وـالـقـصـصـ، وـالـحـوـادـثـ التـيـ تـدلـ عـلـىـ أـنـهـ محـالـ أـنـ يـحـصـلـ صـلـاحـ حـقـيقـيـ إلاـ بـالـإـسـلـامـ، وـتـطـبـيقـ تـعـالـيمـهـ، وـلـاسـبـيلـ لـلـبـشـرـ إـلـىـ الـخـيـرـ وـالـسـعـادـةـ إـلـاـ بـهـذـاـ الـدـيـنـ،

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

(٢) الطبرـيـ، جـامـعـ الـبـيـانـ، (٣٥٨/٢).

يأمر بتوحيد الله، والإيمان به، ويحث على العلم والمعرفة، والإذعان، والتوكل، والإناية لله تعالى، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال والأعمال والأفعال، ويأمر بالرضا بما قسمه، وأنزله الله، ويأمر بالنصح لله تعالى ولرسوله، ولكتابه، ولأنمة المسلمين وعامتهم، ويأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر في الأقوال والأفعال.

وقد أشرنا إلى أن التوكل على الله هو تفويض الأمر إلى الله تعالى وذلك باستيقان قدرته تعالى على قضاء الأمور، مع بذل الأسباب لقضاء هذه الحاجات، والتخلص عن التعلق بهذه الأسباب، والتعلق برب الأرباب، والمؤمن عندما يعيش يمارس هذه الحقائق الكبرى تطمئن نفسه، ولا يقلق بكثرة الخوف والانشغال على رزقه، والإنسان المؤمن عندما يصل إلى هذا المستوى من الشعور، يدل هذا على مقدار إيمانه بصفة الرزاق، وهو مدخل رئيس لصفة التوكل؛ لأن أكثر ما يشغل الناس في معاشهم قضية الرزق.

والتوكل على الله في الأعمال الصالحة من أشرف أنواع التوكل على الله إذ أن القائم فيها لا يبتغي عرضًا من أغراض الدنيا، بل هو يريد وجه الله تعالى، ولا يمكن لإنسان أن يتوكّل على الله حق توكله حتى يستشعر دوماً رقابة الله عليه، مما يجعله يستحي أن يفوض أمره لغيره، وهو يؤمن بقدرته على قضاء حوائجه، فالمؤمن يجاهد نفسه، ويربيها على التحمل، وكسر الهوى، ومغالبة الشيطان .

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهُوا فِينَا لَنَهَدِيَنَّهُمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

" علق سبحانه الهدایة بالجهاد، فأكمل الناس هدایة أعظمهم جهاداً، وأفرض **الجهاد** **جهاد النفس**، **جهاد الهوى**، **جهاد الشيطان** **وجهاد الدنيا**، فمن **جاحد** هذه الأربعـة في الله هدـاه الله سـبل رـضاـه المـوصل إلى جـنتهـ، ومن **ترك** **الجهاد** فإـنهـ من **الهـوىـ** بحسب ما عـطـلـ من **الـجـهـادـ**"<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩ .

(٢) انظر: لابن القيم، الفوائد، ص ٧٨ .

## المبحث الأول

### أثُر التوكل على الله في تزكية الفرد

لقد اهتم القرآن الكريم، والسنة المطهرة بالإنسان تزكية جسدية عضوية، وعقلية وتزكية سلوكية أخلاقية، وقبل كل شيء تزكية الجانب الروحي في الإنسان.

لأن التزكية الإسلامية تقوم على عقيدة سليمة صحيحة وهي الإيمان بالله خالقاً واحداً ومحبوداً.

وقد ربط الإسلام بين جانب العقيدة منه، وبين الأخلاق والعبادات التي ارتضاها لأتباعه ربطاً وثيقاً، وذلك يبدو واضحاً من خلال القرآن الكريم، والسنة الشريفة فقد ربط القرآن الكريم بين لفظ الإيمان والعمل الصالح في كثير من آياته نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسِّرْ لِلَّذِينَ ؎َمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ؎َمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ؎َمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِهِنَّ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَوْ ﴾<sup>(٣)</sup>. وغيرها الكثير من الآيات.

كذلك ربط بين الإيمان وبين الأخلاق التعبدية والعملية من ذلك :

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥ .

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٧ .

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٢ .



قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا أَلصَلَحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا آتَقُوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا أَلصَلَحَاتِ ثُمَّ آتَقُوا وَءَامَنُوا ثُمَّ آتَقُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسُكُمْ مَا قَدَّمْتُ لِغَدِيرَ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا أَلصَلَحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجميع العبادات والأخلاق تميز بالشمول في علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بنفسه، ببني جنسه، بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون من حوله.

فالإسلام يزكي ويربي الفرد على العناية بالجانب الجسدي منذ القدم ومنذ عهد الرسول الكريم - ﷺ - وذلك بأن يتوكلا على الله تعالى في وجوب حماية جسمه وعدم التعرض لجسمه للهلاك، وذلك عن طريق الغذاء والرياضة ففيهما قوة للجسم وقد وجه الإسلام لذلك .

" فعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - وهو على المنبر يقول: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرومي ، ألا إن القوة الرومي ، ألا إن القوة الرومي " <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة المائدة، آية: ٩٣ .

(٢) سورة الحشر، آية: ١٨ .

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٧ .

(٤) مسلم (١٥٢٢/٣)، ح ١٩١٧ كتاب الإمارة .



والتوكل على الله يزكي في المسلم القوة والعزمية على العمل والسير على خطى ثابتة جادة (فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إِنَّ الدِّينَ يَسِيرٌ وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدَّدُوا، وَقَارَبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِنُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ، وَشَيْءٌ مِّنَ الدَّلْجَةِ")<sup>(١)</sup>.

وفي التوكل على الله ترکیة عقلیة وهو أنه إذا علم المؤمن أن في أمره كلها سواء منها الخیر أو الشر له فيها أجر، سر لذلك وعَقَلَهُ؛ لأنَّه يعلم أن المانع والمعطی للخیر والشر هو الله فإذا وقر ذلك في القلب قبل المؤمن كل ماتأتي به الأيام بصبر جميل، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن لا يخاف من المصائب والأقدار، إنما يخاف من الذنوب والسيئات "فَعَنْ صَهِيبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَا يَسُدُّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتْهُ سُوءٌ شَكَرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرٌّ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"<sup>(٣)</sup>.

والمؤمن بهذا يوجه فكره - في كل ما يحييه الكون وما يضممه ويعلم أن الله خلق ما في الكون له، وسخر مظاهر الكون للإنسان وهذا التسخير ليس معناه مجرد النظر السطحي وإنما يستلزم منه اكتشاف ما في الكون والعمل بجد واستعانة بالله وتوكله عليه للتقريب عن معادن وطاقة وخامات تقييد الإنسان في حياته ويسمى المسلم بإيمانه وإنجازاته العلمية والعملية ويرتفع بمجتمعه إلى أفضل وأحسن المراتب الدينية والدنيوية.

والتوكل على الله باعتباره من الآداب التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء كان في تحقيق حاجاته الطبيعية، أو علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، فجعل الإسلام للتوكل ثواباً، وعقاباً.

(١) صحيح البخاري، ص ١٢ ، ح رقم (٣٩)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٧ .

(٣) سبق تخریجه، ص ٢٥٥ ، ص ٢٩٥ .

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

فكل من توكل على الله فهو كافيه، ومن لم يتوكل عليه فهو كذلك سيجازيه. فيعاقب الناس لسوء توكلهم ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾<sup>(٢)</sup>، لأنهم ظلموا أنفسهم أولاً بکفرهم وشركهم بالله وما يتبعه ذلك من كفر وشرك في الأعمال والأقوال وتخبطهم في توكلهم على ربهم سبحانه بعدم توكلهم على ربهم، ويثيب الأبرار. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، نعم الأبرار المؤمنين الذين عملوا بما أمروا بهوا عنهم، توكلوا على الله وتركوا ماسواه، وأحسنوا ظنهم بالله تعالى .

وللتوكى على الله أثره البناء، وهو أن كل مؤمن يعلم العمل ويتقنه ويراقب الله تعالى فيه.

قال تعالى: ﴿وَقُلِّ أَعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فمراقبة الله للعبد وعلمه بذلك يجعله يبذل قصارى جهده ليتم عمله في أتم وأكمل صورة وبالتالي يأتي الكمال.

وقد أخبر الله أنه الصانع المتقن . قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الطلاق ، آية: ٣ .

(٢) سورة يونس، آية: ١٣ .

(٣) سورة الانفطار ، آية: ١٣ .

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥ .

(٥) سورة النمل، آية: ٨٨ .



فَاللَّهُ سَبَّحَنَهُ أَتَقْنَ كُلَّ مَا خَلَقَ وَأَجَادَ الصَّنْعَ، وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا أَوْدَعَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ عَبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَسِيَاجِزُهُمْ عَلَيْهِ أَتْمَ الْجَزَاءِ؛ لِأَنَّ اتِّقَانَ الصَّنْعِ أَثْرٌ مِنْ آثَارِ سُعَةِ الْعِلْمِ الَّذِي بَعْلَمَهُ أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُ<sup>(١)</sup>.

وَالتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ يُزَكِّي فِي الْمُؤْمِنِ السُّلُوكَ الْقَوِيمَ الْعَمْلِيَ الْوَاقِعِيِّ، فَالْتَّسْلِيمُ، وَالرَّضْيُ، وَالإِنْابَةُ وَالصَّدْقُ فِي التَّوْكِلِ كُلُّهَا أُمُورٌ عَمْلِيَّةٌ وَإِنْ كَانَتْ قَلْبِيَّةً، فَهِيَ تَجْسِيدٌ لِلسمو الروحي والنقاء النفسي والتقوى.

فَالْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ هُوَ خَلْقٌ إِسْلَامِيٌّ لِتَبَعِيَّةِ حَتَّمِيَّةِ تَلَقَّائِيَّةِ لِمَحْبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ يُزَكِّي فِي الْمُؤْمِنِ الْاِلْتِزَامَ وَالْاسْتِمْرَارِيَّةَ فِي الْعَمَلِ حَتَّى يَنَالَ الْمَشْوُدَ وَالْمَطْلُوبَ مِنَ الْفُوزِ وَالنَّجَاحِ.

قَدْ يَخْسِرُ الْمُؤْمِنُ وَلَكِنْ بِالْاسْتِمْرَارِ وَبِالإِيمَانِ النَّابِعِ مِنَ الْقَلْبِ تَعُودُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ لِلْاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ وَالْمَنَافِسَةِ فِيهِ.

وَالتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ يُزَكِّي فِي الْمُؤْمِنِ الشَّمْوُلِيَّةَ وَالْعُمُومِيَّةَ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِي أَدْقِ الْأُمُورِ وَأَكْبَرِهَا دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً، اقْتَصَادِيَّةً، أَوْ اجْتِمَاعِيَّةً.

وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى أَنَّ التَّوْكِلَ لِهِ مَجَالاتٌ مُتَعَدِّدةٌ فَهُوَ إِذَا شَامِلٌ فِي كُلِّ مَجَالٍ وَفِي كُلِّ اِتِّجَاهٍ.

فَالْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ مَجَالاتُهُ مُتَوَعِّدَةٌ كَمَا أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ.

الْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ يُزَكِّيِ الْعَمَلَ الْمُسْتَمِرَ الدَّائِمَ.

الْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ فِيهِ التَّنَافِسُ.

الْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ فِيهِ الْعِبَادَةُ.

الْتَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ فِيهِ الْعِصْلَةُ بَيْنِ الْإِنْسَانِ وَخَالِقِهِ.

(١) انظر: الطبرى، جامع البيان، (٥٨٥/٥)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٠٣/٣).



## التوكل على الله وسيلة لغاية نبيلة .

فمن هنا كان للتوكل أهمية عظيمة، فينبغي للفرد والمجتمع أن يتعودوا على فعله، فهو خلق تعبد يقرب به العبد المؤمن إلى الله تعالى، فلابد من مجاهدة، ورياضة النفس حتى تستطيع العمل بهذا الخلق العظيم، فالمتوكل على الله لابد له من الإخلاص إذ التوكل يربى كذلك الإخلاص لله تعالى، والاستقامة له، والثقة فيه، وكلة الأمر إليه، والإنابة والخضوع ، والتذلل لل العلي القدير.

ورسولنا - ﷺ - المثل الأعلى، والقدوة الحسنة وقد ربى أصحابه ومن تبعهم ومن نهج على نهجهم تربية عظيمة لها أثارها الراسخة إلى يومنا هذا وتمسكت بكتاب الله وسنة رسوله - عليه السلام - المثل الأعلى، فهو السلوك التطبيقي، وصحابه لهذا المنهج الإسلامي يحس ويشاهد .

"في واقع الأرض يرونـه، وهو بـشر تـتمثل فيـه هـذه الصـفات والـطـاقـاتـ الخـيرـةـ كـلـهـاـ،ـ فـيـصـدـقـونـ هـذـهـ الـمـبـادـئـ الـحـيـةـ،ـ لـأـنـهـ يـرـونـهـ رـأـيـ الـعـيـنـ،ـ لـايـقـرـأـنـهـ فـيـ كـتـابـ،ـ يـرـونـهـ فـيـ بـشـرـ تـتـحـركـ لـهـ نـفـوسـهـمـ،ـ وـتـهـفـوـ لـهـ مـشـاعـرـهـمـ وـيـحـاـوـلـوـنـ أـنـ يـقـبـسـوـاـ قـبـسـاتـ مـنـ الرـسـوـلـ ...ـ كـلـ بـقـدـرـ ماـيـطـيـقـ أـنـ يـقـبـسـ،ـ وـكـلـ بـقـدـرـ مـاـيـحـتـمـلـ كـيـانـهـ الصـعـودـ،ـ لـايـبـأـسـوـنـ،ـ وـلـايـنـصـرـفـوـنـ،ـ وـلـايـدـعـونـهـ حـلـماـ مـتـرـفـاـ لـذـيـذـاـ يـطـوـفـ بـالـأـفـهـامـ لـأـنـهـ يـرـونـهـ وـأـقـعـاـ يـتـحـركـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ وـيـرـونـهـ سـلـوـكـهـ عـمـلـيـاـ لـأـمـانـيـ فـيـ الـخـيـالـ؛ـ لـذـكـ كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ - ﷺ - أـكـبـرـ قـدـوـةـ لـلـبـشـرـيـةـ فـيـ تـارـيـخـهـ الـطـوـيـلـ كـانـ مـرـبـيـاـ هـادـيـاـ بـسـلـوـكـهـ الشـخـصـيـ قـبـلـ أـنـ يـكـوـنـ بـالـكـلـامـ الـذـيـ يـنـطـبـقـ بـهـ،ـ سـوـاءـ فـيـ ذـكـ الـقـرـآنـ الـمـنـزـلـ،ـ وـحـدـيـثـ الرـسـوـلـ - ﷺ -<sup>(١)</sup>.

ذلك أن الله قد ربه وأدبه فأحسن نماءه وتركته فكان المثل الأعلى في الكمال البشري.

(١) انظر : محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص ١٨٣.

فهو أعظم المتكلمين، وسيدهم؛ لأنه على الإخلاص رباه تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾<sup>(١)</sup>.

هكذا كان رسول الأمة متوكلاً مخلصاً لله تعالى - ترك التوكل فيه معنى الإخلاص لله وحده، ولا يطلب لعمله شاهداً سواه سبحانه يتبرى عن كل مادون الله<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الْأَكْلُ الْخَالِصُ...﴾<sup>(٣)</sup>، كذلك المؤمن المتوكل يتلبس التوكل شخصيته وسلوكيه ليبلغ أكمل درجة في الإيمان حتى تتكامل النية والفعل.

كذلك ربى التوكل في رسول الأمة محمد ﷺ - معنى الاستعانة، فلم يطلب ﷺ العون من أحد إلا من ربه فالعبد أيا كان يحتاج إلى الله في فعل المأمورات وترك المحظورات فلا معين على مصالح الدين والدنيا جميعاً إلا الله عز وجل فهو المعان والمقرد بالتذير والضر والنفع والعطاء والمنع فيوجب هذا الاستعانة به وتقويض الأمر إليه طمأنينة به، وثقة به، ويقيناً بكافياته<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٥)</sup>.

كذلك ربى التوكل في النبي الأمي لزوم الاستقامة ولزوم المنهج القويم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ آسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، فاستقام في أقواله وأفعاله وأحواله ونياته، وبالتالي استقامت جوارحه فلم يلتقط إلى غير الله فصار على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومحاباته ومحبته وإرادته ودعائه والتوكيل عليه والإعراض عما سواه<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الزمر، آية: ١٤ .

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص ١٣-١٤؛ وللراغب، مفردات الفاظ القرآن، ص ١٥٤ .

(٣) سورة الزمر، آية: ٣ .

(٤) انظر: لابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ١٨٢؛ ولابن القيم ، مدارج السالكين، (٩٤/١).

(٥) الفاتحة، آية: ٥ .

(٦) الأحقاف، آية: ١٣ .

(٧) انظر: لابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ١٩٣-١٩٤ .

كذلك زكي في النبي الكريم الاعتصام والتمسك بعهد الله والوقوف بوعده  
سبحانه الذي لا يخلفه أبداً.

فالتمسك بالقيام بما أمر به يفضي إلى حماية الله لعبد من أي سوء يقع به في  
أمور الدنيا أو الآخرة.

قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَآذُكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أَخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

كذلك ينمى التوكل في المؤمن الإنابة و يجعلها خالصة لربه في كل أمر من  
أموره فالله مرجعه في كل شيء<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويذكر وينمي التوكل المؤمن على التقوى، وحسن الظن بالله فلا يحذر إلا الله  
ولايتوسل ولا يدعوا إلا ربه المتعال، فيفر إلى الله في سراهه وضرائه.

يرضى بالقليل ويقنع به يعمل ويكتد بيقين إنه لن يأخذ من هذه الدنيا البالية إلا  
ما كتبه الله له.

"فعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: أنت النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل  
فقال: يا رسول الله، دلني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله وأحبني  
الناس، فقال رسول - صلى الله عليه وسلم - : "إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ اللَّهُ، وَإِزْهَدْ بِمَا فِي أَيْدِيهِ  
النَّاسِ يُحِبِّوْكَ" <sup>(٤)</sup>".

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) للأصفهاني، المفردات، مادة (نوب)؛ وللجرجاني ، التعريفات، ص ٣٩.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٤) ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (٣٣١٠).

فالتوكل على الله يكبح جماح النفس إلى الشهوات، وعلى الانقطاع إلى الله بالكلية فيتصل القلب به إنابة وحباً وخوفاً.

هكذا فالإيمان وحده هو الذي يوصل صاحبه بمصدر القوة الذي يملأ النفس ثقة حتى تفيض، وتتضح بالخير والزاد الكثير النافع دنياً ودين.

فالعقيدة الصحيحة يتبعها السلوك الصحيح ومن هذا الينبوع الدافيء ارتوت الحياة بمفاهيم الأخلاق التعبدية التي رسمها القرآن لتزكية النفس والمجتمع، وأصبحت الحرية الإنسانية، والمسؤولية أمام الله، والحب العميق لله كلها معاني لا يصدر عنها إلا الخلق القويم والسلوك المستقيم الذي أمر الله به ورسوله الكريم -عليه السلام- فالإنابة والتضرع، والخضوع والاعتصام، والتوكل على الله عنوان صدق على صدق الإيمان في النفس الإنسانية وسلامة الاعتقاد في الله، وبدون هذا الإيمان تصبح الأخلاق التعبدية والسلوكيات لفظاً لامفهوم له ولاحقيقة.

وبهذا فالإسلام يزكي في النفس أخلاقاً تجعل حياة الفرد أكثر استقامة وتجعل المجتمع أشد تماسكاً، وتحقيق الأخلاق الفاضلة في سلوكنا، وتنتمر وتتضبط الأعمال.

ويصبح الفرد ذا حضارة متجيبة مع عقيدته ودينه سليماً من كل الأمراض والانحرافات.

## المبحث الثاني

### أثر التوكل على الله في تزكية المجتمع

إن الإيمان قوة عاصمة عن المحرمات، دافعة إلى المكرمات من الأعمال والأقوال، وقد وضح صاحب الرسالة -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي في الفرد ومن ثم في المجتمع السوي في سلوكه وأخلاقه.

فبذلك يمضي ذاك المجتمع في غرس البذور ويتبعها حتى تؤتي ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وتابعه.

فمن ذلك البذر عقيدة وخلق التوكل على الله تعالى إذا غرس في المجتمع من خلال أفراده فيجب الا يغيب عن أي مجال من مجالات الحياة وعن أي عمل من أعمال المسلم.

فالبواعث التي تعرضنا لذكرها والتي كان لها أثر في تعزيز التوكل على الله في نفوس المؤمنين، والموانع التي تضعفه والثمرات اليائعة الجدير بالمجتمع المؤمن أن يحافظ عليها ليسموا إلى الأفق ويكون مجتمعاً قوياً ملتزماً بمنهج الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فانطلق المجتمع المؤمن في عهد رسولنا الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقدم على البلدان، ينشؤون الإسلام في ربوع الأمم.

فالصحابة رضوان الله عليهم أدركوا في دواخلهم القلبية ماللتوكل من أثر اجتماعي يربطهم بالإيمان.

**قال تعالى : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَآفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.**

وقال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلَكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيحسب توكل العبد يزيد الإيمان وينقص. قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ بِآيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فيظهر من خلال الآيات ارتباط التوكيل بالإيمان ومن لوازمه وشروطه فالمجتمع المؤمن يؤمن ويثق بالله تعالى ويتعلق بذلك قلبه فيطمئن ويسكن لقضاء الله وقدره وأحكامه وتدييره، لأن كل شيء بيد الله من نفع وضر، فيتركون الأمر إليه سبحانه، فيزرع ذلك في نفوسهم القوة والسعادة التي يتغلبون بها على ما يتعرضون له من مصائب ومحن فيعتمدون على خالقهم المتصرف في الملك وحده يرغبون إليه، يلوذون بكتفه، يستنصرون به سبحانه، وبالتوكل على الله تزداد العزمية وقوة الإرادة.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا الْقَلْبُ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٠.

(٢) سورة المائدة، آية ٢٣.

(٣) سورة الأنفال، آية ٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.



ويظهر أثر التوكل على الله في المجتمع حين تقوى صلاته بربه فيصبح ملتحاً إليه مستعيناً به منيماً متسلماً معتصماً متمسكاً بأوامر الله ملتزماً بشرعية وسنة الرسول الكريم - ﷺ.

وعلى هذا ترعرع وتربي ونمى مجتمع الصحابة ومن تبعهم فكانوا أهلاً لحمل لواء الإسلام والدعوة إلى الله فكانت بهم الأمة المسلمة التي حققت صفات سامية وأخلاق عالية.

وبالتوكل على الله تحقق لهم القيادة والريادة ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها وكان شعارهم "حسبنا الله ونعم الوكيل" فالإسلام يدعو إلى فضيلة أخلاقية وعقيدة هامة في الحياة الاجتماعية ألا وهو التوكل الذي نحن بصدده ذكره فهو يجمع أموراً ذكرناها في ترکية الفرد فمتى ما تمسك بها الأفراد ساد في المجتمع الأمل والرجاء والرضا والصبر والعزم والقوة والفوز والغلبة يكونون يداً واحدة ضد أعدائهم.

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. وبهذا لا يستطيع المجتمع وقف المحن والمفزعات إلا الإلتقاء إلى من له الحول والقوة والنصر .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتُمُ الْكُفَّارَ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذَبِّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأنفال، آية ٤٩ .

(٢) سورة التوبة، آية ٢٥ .



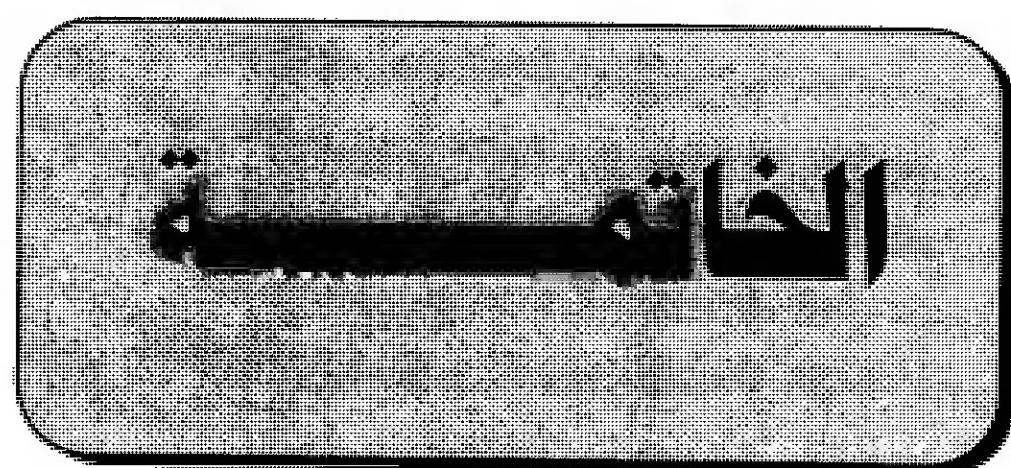
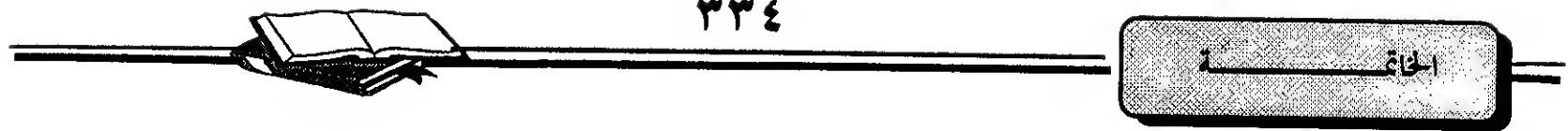
ضاقت عليهم الأرض على سعتها وولوا مدربين وثبت -عليه السلام- فخر جوا المؤمنين بدروس وعبر من هذه الغزوة<sup>(١)</sup> أن النصر بيده سبحانه ومشروعية الأخذ بالأسباب في كل الأعمال<sup>(٢)</sup>.

وبهذا ينبغي أن نعي وندرك أن المجتمع يسموا بسموا الفرد بمدى تماسكه بالتزكية الأخلاقية والتنظيم الأخلاقي فمتى ما صلح الفرد صلح المجتمع .

(١) غزوة حنين .

(٢) انظر: الطبرى، جامع البيان، (٩٥/٤-٩٨).

٣٣٤



## الخاتمة

أحمدك اللهم حمدا يليق بجلال وجهك وعظم سلطانك، الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، الحمد لله على نعمه وألائه التي لا تعد ولا تحصى، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشكرك على توفيقك لي لإتمام هذا البحث، هذا مايسر الله تعالى كتابته في هذا الموضوع المهم الواسع، وقد كان في النية أشياء وأشياء ولكن لم يتسع لها الوقت، وربما كان في الإنسان خلق معاجلة المنية بتحقيق الأمنية، ومما يلي أهم نتائج البحث :

- ١ - إن التوكل على الله خلق عظيم يجدر بنا الحفاظ عليه والتمسك به في كل مجال من مجالات حياتنا ويكون نبراس طريقنا للمضي في هذه الحياة الدنيا.
- ٢ - يتضح لنا من خلال هذا البحث أن التوكل على الله عقيدة وخلق في نفس الوقت للمؤمن .
- ٣ - التوكل على الله له فضل عظيم لمن التزم به وتأتي ثمراته عاجلا أو آجلا.
- ٤ - أن التوكل على الله فيه بذل وسعي للعمل وفي التواكل تخاذل واهمال وعجز عن السعي .
- ٥ - أن التوكل على الله خلق المؤمنين الأخيار .
- ٦ - لابد من الإيمان أن ما اصابنا لم يكن ليخطئنا وما اخطأنا لم يكن ليصيبنا.
- ٧ - لابد من الإيمان بالقضاء والقدر والرضى بما يحل علينا من مصائب وويلات.
- ٨ - أن للتوكل على الله بواعث تحتنا عليه وتقربنا له .
- ٩ - كذلك للتوكل على الله موانع تبعينا وتفقدنا الوصول إليه .
- ١٠ - أن للتوكل على الله ثمرات زاهية تضيء حياتنا باليمن والبركات .
- ١١ - أن للتوكل على الله ثمرات آثاره التربوية على الفرد والمجتمع .
- ١٢ - أن للتوكل على الله آثاره التربوية على الفرد والمجتمع .

هذا وإن كان لي من رجاء أخير فهو التأكيد على موضوعات القرآن الكريم التي لازالت تفتقر إلى العناية والرعاية فحربي بالمربيين أن يلتقطوا ويلفتوان نظر طلاب العلم إلى ذلك، وأن مثل هذا الموضوع لا تكتفي فيه القراءة العابرة، وإنما يحتاج إلى القراءة المتكررة الجادة بعقل وقلب حاضرين، والله يؤتي الحكمة من يشاء، والله أسائل التوفيق والسداد وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.



# **الفهارس**

- ١- فهرس الآيات القرآنية .**
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.**
- ٣- فهرس الأعلام .**
- ٤- فهرس المصادر والمراجع .**
- ٥- فهرس المحتويات .**

**فهرس الآيات القرآنية**

## فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	٥	٢٩٩-٦٨-١٣٠
﴿سورة البقرة﴾		
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾	٤	٢٠٦
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾	٢١	٤٤
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ﴾	٢٥	٢٩٣-٩٩
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾	٣٤	٢١١
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ﴾	٤٣	٩٨
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	٤٤	٩٨
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ﴾	٤٥	١٣
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ﴾	٨٢	٤٧
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾	١١٢	١٧٦
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا﴾	١٥٣	٢٥٩-١٣
﴿وَلَنَبْلُونَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾	١٥٥	١٧٧
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتُهُمْ مُّصِيبَةً﴾	١٥٦	١٧٧
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾	١٥٧	١٧٧
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	١٦٣	١٩٦
﴿لَيْسَ إِلَّا أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾	١٧٧	٩٩
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾	١٨٦	١٩٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقَ اللهُ أَخْذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾	٢٠٦	٢١٢
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾	٢٠٧	٢٥٣-١٧
﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعْلَمُ كُمْ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٢٨٢	٧٢
﴿رُبِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾	٢١٢	١٥٠



الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	٢١٤	٢٥١
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا يُعْلَمُ بِمَا فِي الصُّدُوقِ﴾	٢١٨	٢٤٢-١٦
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ إِيمَانَكُمْ مُّلْكٌ لِّكُمْ﴾	٢٤٨	٢٣٨
﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾	٢٤٩	٢٥٨-٢٣٣-١٧٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا يَعْمَلُونَ الصَّلَحَاتِ﴾	٢٧٧	٤٩-٢٧٨-٢٩٤-٢٩٣-٩٩
﴿سُورَةُ آلِ عُمَرَانَ﴾		
﴿الْأَمْ۝ أَللَّهُ لَا إِلَهَ۝ لَّا إِلَهَ۝﴾	٢٠١	١٩٤
﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ۝ إِلَّا هُوَ﴾	١٨	١٩٤-٧٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عِنْدَ اللَّهِ الْأَكْلُمُ﴾	١٩	١٩٤
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبِّبُونَ اللَّهَ﴾	٣١	١٨٤-٦٩
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	٣٢	١٨٤
﴿فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾	٣٧	١٧١
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾	٣٨	١٥٢
﴿أَفَغَيْرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾	٨٣	١٧٤
﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَئِ﴾	١٠١	١٥
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِنْ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	١٠٢	١٧٤
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَجْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾	١٠٣	٣٠٠-١٥
﴿وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	٣٠٠
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١٠٩	١١٥
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوَّءُ﴾	١٢١	١٦٤-١٣٠-٢٨
﴿إِذْ هَمَّتْ طَآفَّاتُكُمْ مِّنْكُمْ﴾	١٢٢	١٦٦-١٣٠-١٠٠-٧٠-٦٠-٥٩-٣٨-٢٢
﴿وَلَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ﴾	١٢٣	٢٦٣-١٠٠
﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٢٤	٢٦٣



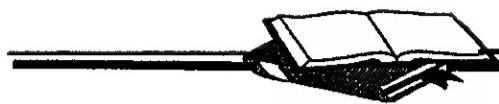
الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾	١٢٥	٢٦٣
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَىٰ لَكُمْ﴾	١٢٦	٢٦٣
﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ﴾	١٤٠	٢٥٨
﴿وَلِيُمْحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ﴾	١٤١	٢٥٨
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	١٤٢	٢٥٨
﴿وَكَائِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾	١٤٦	٢٤١
﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا﴾	١٤٧	٢٤١
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُنُوهُمْ بِإِذْنِهِ﴾	١٥٢	١٣٢
﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوْنَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾	١٥٣	١٣٢
﴿فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لَنَتْ لَهُمْ﴾	١٥٩	٣٧-١٨٣-١٣٣-١٢٦-٩٠-٢٥
﴿إِن يَنْصُرَكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾	١٦٠	-١٢٣-١٢٢-١٠١-٣٨-٢٥-٢٣
﴿أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	١٧٣	٢٨٣-١٦٦-١٦٤-١٣٩-١٣٣
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾	١٧٣	١٢٢-١١٤-١٠٧-٧٠-٥٩-٤٩-٢٤
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٨١	١٩٨
﴿سورة النساء﴾	١٨٩	٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٤٠	١٤٤
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	٦٥	١٧٨-١٧٥
﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَن آقْتُلُوْا﴾	٦٦	٢٤١
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾	٨١	١٣٥-٩٠-٥٥-٥٠-٢٥
﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْمَتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾	١٠٢	١٤٦-١٢٧
﴿وَلَا تَهْنُوا فِي أَبْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا﴾	١٠٤	٢٤٤-١٦
﴿لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ﴾	١٢١	٢٩٣



الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَتِهِمْ﴾	١١٤	١٧
﴿لَيْسَ بِأَمَانٍ كُمْ﴾	١٢٣	١٤٣
﴿لَيْسَ بِأَمَانٍ كُمْ وَلَا أَمَانٌ أَهْلُ الْكِتَبِ﴾	١٢٣	٢٢
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الظَّلَاحَتِ مِنْ ذَكَرٍ﴾	١٢٤	٢٢
﴿إِلَّا آلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾	١٤٦	١٥
﴿يَأَهْلُ الْكِتَبِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ﴾	١٧١	١٨٦-٢٤
﴿يَأْتِيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءُوكُمْ﴾	١٧٤	٤٦
﴿فَأَمَّا آلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾	١٧٥	١٥
<b>{سورة المائدة}</b>		
﴿وَعَدَ اللَّهُ آلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا﴾	٩	٩٩
﴿يَأْتِيُهَا آلَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا﴾	١١	١٦٤-١٣٥-١٠١-١٠٠-٥٣-٣٩-٣٧-٢٥
﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾	٢٣	-١٠٦-٧١-٦١-٤٠-٢٨-٢٦-٢٣
	١٨٧-١٣٦-١١٧	
﴿لَيْسَ عَلَى آلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا﴾	٩٣	٢٩٤
﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	١١٩	١٨٢
<b>{سورة الأنعام}</b>		
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	٥٩	١٤٠
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾	٦٥	١٩٨
﴿وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	٧٥	٢٠٦
﴿أُولَئِكَ آلَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾	٩٠	٩٥
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	٩١	٧٣
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾	١٠٧	١٢٨
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾	١١٢	١٨٩-١٤٤
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾	١٦٢	١٧٨



الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلِبِسُوا﴾	٨٢	٤٥
﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾	١٣٢	٩٦
﴿سورة الأعراف﴾		
﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي﴾	٣٢	٣٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾	٤٠	٢١٥
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٥٤	٧٣
﴿قَالَ الْمَلَائِكَةُ أَلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	٨٨	٢٦
﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا﴾	٨٩	١٢٤-٨٦-٢٦
﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾	١٢٨	١٣
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾	١٧٦	٨٨
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٩٣
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرِفَ﴾	١٩٩	٢٠١
﴿سورة الأنفال﴾		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾	٢	-١٠٧-٦٦-٥٨-٤١-٢٥
		١٨١-١٦٢
﴿إِذْ تَسْتَغِيشُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ﴾	٩	٢٦٣-٢٣٤
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَى﴾	١٠	٢٦٤
﴿إِذْ يُعْشِيكُمُ الْنَّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ﴾	١١	٢٣٣
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾	١٢	٢٣٣
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ﴾	٢٢	١٩٠
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا﴾	٢٤	٢٤
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ﴾	٤٥	٢٣٦
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَّعُوا﴾	٤٦	١٥١
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٤٩	١٨٦-١٣٧-٦١-٥٠

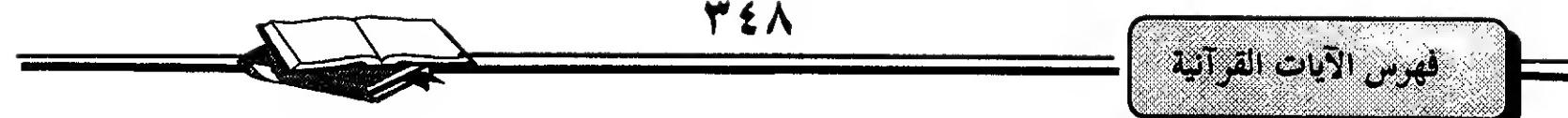


الآية	وَقْمُ الصَّفَحَةِ	وَقْمُهَا
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٤٣-٢٢
﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ ﴾	٦١	٢٦٥-١٦١-١٣٧-٩٠
﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَن يَخْدُعُوكَ ﴾	٦٢	٢٦٥-١٣٧
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ﴾	٦٣	٢٦٥
﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾	٦٤	٢٧٧-١٢٢
<b>{سورة التوبة}</b>		
﴿ لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾	٢٥	٢٣٤-٢٢٧
﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾	٢٦	٢٣٩-٢٣٤
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ﴾	٣٣	٢٧٣
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾	٤٠	٣٠٦-٢٣٩-٢٣٧
﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ﴾	٥١	٣٠٣-١٤٢-١٢٩-١٢٠-٨٢-٤٢-٣٨
﴿ وَالسَّابِقُونَ أَلَّا وَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾	١٠٠	٢٥٦-١٨٢
﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾	١٠٥	٢٩٦-١٥١-٣٠
﴿ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسِبِيَ اللَّهُ ﴾	١٢٩	٢٧٧-١٦٠-١٢٦-٧١
<b>{سورة يومن}</b>		
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾	١٣	٢٩٦
﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ ﴾	٢٢	٢٧٢
﴿ فَلَمَّا آتَجَنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ ﴾	٢٣	٢٧٢
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأنٍ وَمَا تَتَلَوْا مِنْهُ ﴾	٦١	١٤٠
﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٍ إِذْ قَالَ ﴾	٧١	٧٨-٧١-٦١-٥٦-٢٦
﴿ وَقَالَ مُوسَى يَأْتَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ﴾	٨٤	٨٦-٧١-٦١-٥٧-٢٨
﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَنَا ﴾	٨٥	٧١٠٨٦-٦١-٥٧



الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
{سورة هود}			
﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا﴾	٦	٢٠٩-١٩٩-١٤٩	
﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ ﴿إِنَّنَّا نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَنَا بَعْضُ﴾	١١	٢٥٥	
﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾	٥٣	٢٦	
﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي﴾	٥٤	٢٦	
﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَلْحًا﴾	٥٥	٢٦	
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا أَلَاصِلَحَ مَا أَسْتَطَعْتُ﴾ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾	٥٦	٨١-٦٣-٢٦	
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	٦٦	٢٦٧-٢٦٣	
﴿إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا أَلَاصِلَحَ مَا أَسْتَطَعْتُ﴾ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾	٨٨	١١٦-٨٣-٦٨-٦٢	
﴿وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾	١١٢	١٥٦	
﴿وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾	١٢٣	١٥٣-٩٠-٧٢-٦٣-٦٢-٣٠-٢٦	
{سورة يوسف}			
﴿وَإِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرُوا﴾	٢١	٢٨٦-٢٧٠	
﴿وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾	٦٧	٨٢	
﴿أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَمَّنُ قُلُوبُهُمْ﴾	٨٣	٢٤٨	
﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾	٨٧	١٢٤-١٢٣	
{سورة الرعد}			
﴿وَإِذْ تَأْذَنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٢٨	٦٨	
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	٣٠	١٦٣-١١٣-٩٢-٦٣-٢٨-٢٦	
{سورة إبراهيم}			
﴿وَإِذْ تَأْذَنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٧	٢١٥	
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	١١	١٠٣-٦٤	
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	١٢	٢٦٩-١٥٥-١٠٣-٨٩-٦٤-٢٩	
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	٥٢	٢٠١-٥٢	

الآية	رقم الصفحة	رقمها	{الآية}
			{سورة النحل}
﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	٢١١-١٩١	٢٣	
﴿أَلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٦٤	٤٢	
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾	١٩٢	١٩٢	
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾	٢٣٠-٥١-٣١	٩٧	
﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٦٤	٩٩	
﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْتُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾	٢٩٥	١٢٧	
			{سورة الإسراء}
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٤٩	٥٥	
﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ﴾	٢٤٩-١٦	٥٧	
﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾	١٨٧-٢٤	٦٥	
			{سورة الكهف}
﴿أَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾	٣١	٢	
﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾	١٢٠	٢٤	
﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾	٣١	٣٠	
﴿أَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢١٨	١٠٤	
			{سورة طه}
﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَأَخْفَى﴾	٤٤	٧	
﴿أَنِ اقْدِفِيهِ فِي الْتَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ﴾	٩٧	٣٩	
			{سورة الأنبياء}
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾	٩٦	٧٣	
﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	٢٧١	٧٦	
﴿وَنَصَرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٢٧١	٧٧	



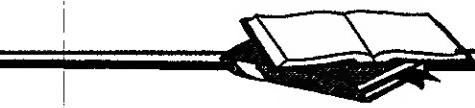
الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾	٨٩	١٥٢
﴿ سُورَةُ الْحَجَّ ﴾		
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٢٦٧
﴿ وَلَيَنْصُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾	٤٠	٢٦٧
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا ﴾	٤٦	١١٠
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾	٧٠	١٣٩
﴿ سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾		
﴿ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	٥١	٣٠
﴿ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾	٥٧	١٢٥
﴿ فَتَعَلَّمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١١٦	١٩٧
﴿ سُورَةُ النُّورِ ﴾		
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ ﴾	٣٩	٢١٨
﴿ سُورَةُ الْفَرْقَانِ ﴾		
﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾	٤٣	٢٢٧
﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاذِبُ الْأَنْعَمُ ﴾	٤٤	٢٠٥
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَسِنِ الَّذِي ﴾	٥٨	٩٠-٧٧-٦٦
﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ ﴾	٧٤	١٥١
﴿ سُورَةُ الشُّعْرَاءِ ﴾		
﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسِّرِنِي ﴾	٧٩	١٤٥
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ إِلَّا مَنْ ﴾	٨٩، ٨٨	١١٠
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٢٦٥
﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾	٢١٥	٢٦٥
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾	٢١٧	٢٦٥-١٦٠-٩١



الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿سورة النمل﴾		
﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ﴾	٣	١٩
﴿أَمَّن يُحِبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ﴾	٦٢	٢٧٤
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	٧٩	٢٠٧-٩١-٥٨-٤٥
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ﴾	٨٨	٢٩٦
﴿سورة القصص﴾		
﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَأَدْوُهُ﴾	٧	١٧٥
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَّهُ بِغَيْرِ﴾	٥٠	٢٢٥
﴿وَمَا كُنَّا مُهَلِّكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلَهَا ظَلَمُونَ﴾		
﴿سورة العنكبوت﴾		
﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾	٥	٢٤٥
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٥٨	٢٥٢
﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٥٩	٢٥٢
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٦١	٤٤
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾	٦٩	٢٩٢
﴿سورة الروم﴾		
﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ﴾	٢٩	٢٢٥
﴿ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي﴾	٤١	١٩٢
﴿وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٣٠
﴿سورة لقمان﴾		
﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ﴾	٤	١٩
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَيْ مُسْتَكِبِرًا﴾	٧	٢١٥
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ﴾	١٨	٥٣-٥٢



الآية	وَقْمَ الصَّفَحَةِ	وَقْمَهَا
﴿ وَأَقْصِدُ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضُ ﴾	٥٢	١٩
﴿ وَمَن يُسْلِمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾	١٧٩	٢٢
﴿ فَلَا تَعْرَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾	٢٢١	٣٣
﴿ سُورَةُ السَّجْدَةِ ﴾		
﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾	٢٠٨	١٦
﴿ سُورَةُ الْأَحْزَابِ ﴾		
﴿ يَتَأْيِثُهَا النَّبِيُّ أَتَقَ اللَّهَ ﴾	٢٩	١
﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٢٧٩-٩١	٣
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴾	٢٥٠-٩٥-٥٥	٢١
﴿ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾	١٠٧	٢٢
﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾	٢٦٧	٢٥
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا آحَدٍ ﴾	٨٩	٤٠
﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ ﴾	٩١	٤٨
﴿ ثُرِجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْتَى ﴾	٢٥٧-١٨	٥١
﴿ سُورَةُ فَاطِرِ ﴾		
﴿ يَتَأْيِثُهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾	١١٥-٤٥	١٥
﴿ يَرْجُونَ تِجْرَةً لَنْ تَبُورَ ﴾	٢٤٦	٢٩
﴿ لِيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾	٢٤٦	٣٠
﴿ سُورَةُ الصَّافَاتِ ﴾		
﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾	٢٧٣	٧٦
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	١٤١	٩٦
﴿ رَبُّ هَبَ لَى مِنَ الْصَّالِحِينَ ﴾	١٥٢	١٠٠
﴿ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾	٢٧٤	١١٥



الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
﴿وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلِبُونَ﴾	٢٨٦	١٧٣	﴿سورة ص﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢٤١-١٩١	٢٦	﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَى إِلَّا خَيْرٌ﴾
﴿سورة الزمر﴾	٨٩	٤٧	
﴿أَلَا لِلَّهِ الْدِينُ الْخَالِصُ﴾	١١١	٣	
﴿أَمَّنْ هُوَ قَاتِلٌ إِنَّهُ أَلَّا يَلِ سَاجِدًا﴾	٢٤٧	٩	
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لِهُ دِينِي﴾	٢٩٩-١١١	١٤	
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾	٤٦	٢٢	
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ﴾	١١١	٣٣	
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ﴾	٢٨٠-٢٠٠	٣٦	
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقامَر﴾	٢٨٠	٣٧	
﴿قُلْ حَسِبَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾	١٢٢-٩٤-٩٣-٦٥	٣٨	
﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٢٠٠	٦٢	
﴿سورة غافر﴾			
﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾	٢١٢	٣٥	
﴿وَأَفْوَضُ أَمْرِيَ إِلَى اللَّهِ﴾	١٧٦	٤٤	
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ﴾	٢٨٣	٥١	
﴿لَخَلَقَ الْسَمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ﴾	٩٣	٥٧	
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾	٢١٤	٦٠	
﴿سورة فصلات﴾			
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ﴾	١٥٦	٣٠	
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمْنَ دَعَآ﴾	٤٦	٣٣	



الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿سورة الشورى﴾	
	١٦٣-٩٤-٦٤	١٠	﴿اللَّهُ رَبِّيْ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
	٢٤٢-١٥٩	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
	٢٧٠-٢٦٨	١٩	﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾
	١٩٤	٣٠	﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ﴾
	١٦٨-١٦٣-١٢٥-٦٥	٣٦	﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
		﴿سورة الدخان﴾	
	٢٠٧	٧	﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
		﴿سورة الجاثية﴾	
	٢٠٧	٤	﴿وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَآبَةٍ ءَايَتُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾
	٢١٥	٨	﴿يَسْمَعُ ءَايَتَ اللَّهِ تُتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَحْبِرًا﴾
	١٩٠	٣٢	﴿إِنْ نَظَنْنُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾
		﴿سورة الأحقاف﴾	
	٢٩٩	٣٥	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾
		﴿سورة محمد﴾	
	٤٤	١٩	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
	٢٧٥	٢١	﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمْ﴾
		﴿سورة الفتح﴾	
	٢٣٨-٢٣٢	٤	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ﴾
	٢٣٨-١٨٣	١٨	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
	٢٣٨	٢٦	﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾
		﴿سورة الحجرات﴾	
	٥١	١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقدِّمُوا﴾



الآية	رقم الصفحة	رقمها
﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	٥١	٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ﴾	٥١	٣
﴿قَاتَلَ الْأَغْرَابُ إِمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾	١٠٩	١٤
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِمَّا نَوْلَهُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٢٠٤-١٩٣	١٥
﴿سورة ق﴾		
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ﴾	١١٠	٣٧
﴿سورة الذاريات﴾		
﴿وَفِي الْأَرْضِ إِيمَانٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾	٢٠٧	٢٠
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ كُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَرَبِ السَّمَاءِ﴾	٢٠٩-١٧٠	٢٣ ، ٢٢
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيِّنُ﴾	٢٠٩-١٩٩	٥٨
﴿سورة الطور﴾		
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	٩٧	٤٨
﴿سورة النجم﴾		
﴿وَأَن لَّيْسَ لِإِنْسَنٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾	١٠٥	٣٩
﴿سورة الحديد﴾		
﴿وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ﴾	٢١٩	١٤
﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ إِمَّا نَوْلَهُ بِالْعَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	١١٢	١٦
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾	١٤١	٢٢
﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾	٣٠٤	٢٣
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْعَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢٦٧	٢٥
﴿سورة المجادلة﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١٠٥	٧
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٤٢-٣٨	١٠
﴿وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	٢٠٢	١٨

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢١	٢٦٧-٢٦٢
﴿كَمْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا عَطَتْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٧	٥٠
﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	٨	١٨
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ﴾	١٨	٢٩٤-٢٢٠
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾	١٩	٢٢٠
﴿سورة الممتحنة﴾		
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٤	٧٩-٦٣-٢٧
﴿سورة الجمعة﴾		
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا﴾	١٠	٢٢
﴿سورة التغابن﴾		
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	١٢	١٠٦
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١٣	١٨٧-١٠٦-٤٢-٣٨
﴿سورة الطلاق﴾		
﴿وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ﴾	٣، ٢	-١٨٦-١٦٩-١٤٦-٨٨-٢٩
﴿سورة الملك﴾		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِيلًا فَامْشُوا﴾	١٥	١٢٧
﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ إِنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾	٢٩	١٩٧-١٦٢-١٥٣-١١٣-١٠٤-٢٨
﴿سورة القلم﴾		
﴿وَإِنَّ لَكَ لِأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾	٤	٩٥
﴿سورة المزمل﴾		
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَسِيَّلًا﴾	٩	٢٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿سورة المدثر﴾	٣١	١٢١
﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَقِنُ الَّذِينَ أُوتُوا﴾	٣١	١٢١
﴿سورة التكوير﴾	٢٩	١٤٤
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٩	١٤٤
﴿سورة الانفطار﴾	٦	١٩١
﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ﴾ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	١٣	٢٩٦
﴿فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾	٢٦	٥٢
﴿سورة التين﴾	٦	٩٥
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	٦	٩٥
﴿سورة البينة﴾	٥	١١١
﴿وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾	٥	١١١
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٧	٢٥٧
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	٨	٢٥٧

فهرس الأحاديث



## فهرس الأحاديث الشريفه

### رقم الصفحة

### طرف الحديث

- (إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ...)	٣٠١، ١٦٤، ٧٧، ٢٧
- (أنبئني عن خلق رسول الله ...)	٩٥
- (إنما بعثت لأنتم صالح الأخلاق...)	١٠٨
- (الإيمان بضع وستون شعبة ...)	١١٧
- (ألا وإن في الجسد مضغة ...)	٧٩
- (إن الله قال : من عاد لي ولها ...)	١٩٧
- (ألا أخبركم بأهل الجنة ...)	٢٣٠
- (أكمل المؤمنين ...)	٢٤٤
- (أن النبي دخل على شاب وهو في الموت ...)	٢٤
- (ألا أعلمك كلمات تقولينهن ...)	٢٩٣
- (أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره ...)	٢٦
- (إذا أتيت مضغتك ...)	٢٠
- (أنه لقي ناساً من أهل اليمن ...)	٣٠
- (إن خير الكسب كسب يدى عامل...)	١٣٧
- (إن النبي نزل منزلة وتفرق الناس...)	١٣٦
- (إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة ...)	١٥١
- (أن النبي ﷺ كان يبيع نحل بنى النضير ...)	١٥٥
- (أنه ﷺ إذا اشتكي نفث ...)	١٥٧
- (أن النبي بعث أبي بن كعب طبيباً...)	١٥٨
- (أنا عند ظن عبدي ...)	١٨٥
- (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ...)	٢١٥
- (إن الدين يسر ولن يشاد ...)	٣٢٣-١٨
- (بل اثمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر...)	٢٤٠

## و رقم الصفحة

## طرف الحديث

- (سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم...) ..... ٣٢٢
- (عجبًا لأمر المؤمن ...) ..... ٣٢٣-٢٧٤
- (دعوات المكروره، اللهم رحمتك...) ..... ٢٩٤
- (قل لي في الإسلام قولا ...) ..... ٥٧
- (قل ربى الله ثم استقم ...) ..... ٢٢
- (القلوب أوعية وبعضها أو عى...) ..... ٢٨
- (كان إخوان على عهد النبي ...) ..... ٢٨
- (كان النبي يدعو ربى اغفر خطئتي...) ..... ٢١٧
- (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ...) ..... ٦١،٩٦،٤١
- (لايؤمن أحدكم ...) ..... ١١٧
- (لإله إلا الله وحده، أعز جنده ...) ..... ٢٨٥
- (لайнبغى للمؤمن أن يذل نفسه ...) ..... ٢٨٨
- (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه ...) ..... ٣٢٠
- (لم يكن رسول الله يدعو هؤلاء الدعوات ...) ..... ١٦٤
- (لайдخل الجنة من كان في قلبه ...) ..... ٢٢٦
- (اللهم أسلمت وجهي ...) ..... ١٤٦،٢٩
- (المؤمن القوى خير وأحب ...) ..... ١٩
- (ما أنزل الله من داء ...) ..... ١٥٧-٣٠
- (ما السماوات السبع في الكرسي ...) ..... ١٧٠
- (وما أحب أن أكتوى ...) ..... ١٥٨
- (يارسول الله اعقلها ...) ..... ١٥٦-٣٢
- (يامعاذ أتدرى ماحق الله على العباد ...) ..... ١٣
- (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا ...) ..... ١٩٤
- (ياغلام إني أعلمك كلمات ...) ..... ٣٠٣،٢٦٧،١٨





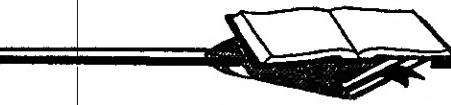
## فهرس الأعلام

### رقم الصفحة

### العلم

٤٧	١- الإمام أحمد
٤٧	٢- أبو تراب النخبي
٢٦٦	٣- أبو ثعلبة الخشني
٩	٤- أبو سعيد الخراز
٢٢٦	٥- ابن أمية الشعばاني
٢٥٤	٦- ابن أبي الدنيا
٢٣٩-١٢	٧- ابن تيمية
١٠٤	٨- ابن الجوزي
١٠٢	٩- ابن رجب الحنبلـي
٢٠٢ ، ٤٧	١٠- ابن قيم الجوزية
٢٨٠	١١- ابن كثير
١٠٤	١٢- حاتم الأصم
٢٥٤	١٣- الحسن الحراني
٤٨	١٤- سفيان التقى
١٩٥	١٥- سليمان الخواص
٩	١٦- سهل التستري
١٧٩	١٧- الإمام الطبرى
١٥٣	١٨- طاوس
٢٢٧	١٩- عبدالله بن المبارك
١٥٣	٢٠- عطاء بن أبي رباح
٤٧	٢١- الإمام الغزالى
٢٥٤	٢٢- الفضل الغطفانى
٢٤٣	٢٣- قتادة

**فهرس المصادر والمراجع**



## فهرس المصادر والمراجع

. القرآن الكريم .

(أ)

- ١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي البيضاوي، دار الجيل، بدون تط.
- ٢- الإيمان وأثره في حياة الإنسان، حسن الترابي، بيروت. دار القلم، تط الأولى، ١٣٩٤هـ.
- ٣- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبها، تط الخامسة، ١٣٩٧هـ.
- ٤- إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالى. القاهرة، دار الشعب، كتاب الشعب، بدون تط .
- ٥- اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، تحقيق ناصر الدين الألبانى. الكويت، دار الأرقام ، بدون تط.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكنى الشنقيطي. بيروت، عالم الكتب، بدون تط.
- ٧- آداب النفوس، لعبد الله الحارت المحاسبي، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا. بيروت، دار الجيل، تط ١٩٨٤ م .
- ٨- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد الزبيدي. بيروت، دار الكتاب العربي، تط الأولى، ١٤١٤هـ .
- ٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود. بيروت، دار الفكر، بدون تط.
- ١٠- الأساس في التفسير، لسعيد حوى، القاهرة، دار السلام، تط الثانية ١٤٠٩هـ .
- ١١- أيسر التفاسير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، تط الثالثة ١٤١٨هـ.
- ١٢- أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، تط ١٩٧٨م.



- ١٣ - الإمام الشافعي فقه السنة الأكبر، لعبدالغني الدقر، دمشق، دار القلم، تط ١٣٩٦هـ.
- ١٤ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، القاهرة، مؤسسة قرطبة، تط ١٩٨٧م.
- ١٥ - الأشباه والنظائر، للسيوطى، دار الحديث، بدون د، ت.
- ١٦ - الأعلام، للزركلى، بيروت، دار العلم للملايين .  
(ب)
- ١٧ - البداية والنهاية، لابن كثير، بيروت، مكتبة المعرف، تط ١٩٧٩م .
- ١٨ - بصائر ذوي التمييز في طائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادى، بيروت، المكتبة العلمية المطورة من مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، تط ١٣٨٣هـ.
- ١٩ - بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تط.
- ٢٠ - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسى، بيروت، دار الفكر، تط الثانية ١٣٩٨هـ.
- ٢١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد الشوكاني، مصر، مطبعة السعادة، تط الأولى، ١٣٤٨هـ.  
(ت)
- ٢٢ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، كتب هوامشه، وضبطه حسين زهران، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٨هـ.
- ٢٣ - تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، بيروت، دار الفكر، بدون تط.
- ٢٤ - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي، وابن السبكي، والزبيدي. إخراج: أبي عبدالله محمود الحداد، الرياض، دار العاصمة، تط ١٩٨٧م.
- ٢٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، حققه وضبطه وصححه: محمد النجار، بيروت، عالم الكتب، تط الثانية ١٤١٤هـ.
- ٢٦ - تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ضبط ومراجعة صدقى جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تط الأولى ١٤١٥هـ.
- ٢٧ - التحرير والتتوير للطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية، تط ١٩٨٤م.



- ٢٨- تفسیر المنار، لمحمد رشید رضا، بيروت، دار الفكر، نظر الثانية بدون.
- ٢٩- الترغيب والتربیة من الحديث الشريف، المنذري، تحقيق مصطفى عماره، بيروت، دار الكتب العلمية، نظر ٦٤٠ هـ.
- ٣٠- التعريفات، للجرجاني، حققه إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، نظر الرابعة، ١٤١٨ هـ.
- ٣١- ترکیۃ النفوس وتربیتها كما یقررها علماء السلف، ابن رجب الحنبلي، ابن القیم، أبي حامد الغزالی، تحقيق ماجد بن أبي اللیل، بيروت، دار القلم، نظر الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ٣٢- تنبیہ الغافلین وبهامشه بستان العارفین، لنصر بن محمد السمرقندی، بيروت، دار المعرفة للطباعة بدون نظر.
- ٣٣- التلخیص، للذهبی، بيروت، دار المعرفة بدون نظر.
- ٣٤- التفسیر المنیر في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبه الزحيلي، بيروت، دار الفكر المعاصر؛ ودمشق، دار الفكر، نظر الأولى ١٤١١ هـ.
- ٣٥- التسهیل لعلوم التنزیل، للكلبی، بيروت، دار الكتاب العربي، نظر الرابعة، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٦- التوکل على الله، لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدى إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، بدون نظر.
- ٣٧- التوقیف على مهتمات التعاریف، للحناوی، حققه عبدالحمید حمدان، القاهرة، نظر ١٤١٠ هـ، بدون د.
- ٣٨- تذكرة الحفاظ، للذهبی، بيروت، دار ١ الكتب العلمية، بدون نظر، د.
- ٣٩- تهذیب سیرة ابن هشام، لعبدالسلام هارون، القاهرة، المؤسسة العربية للحديثة، نظر ١٩٦٤ م، بدون .
- ٤٠- تیسیر العزیز الحمید، شرح کتاب التوحید، سلیمان بن عبد الله ، المكتب الاسلامی، الطبعة الرابعة، بدون ت .  
(ج)
- ٤١- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، لابن جریر الطبری، هذبه وحققه وضبطه وعلق عليه الدكتور/یشار معروف - عصام الحرسانی، بيروت، مؤسسة الرسالة، نظر الأولى ١٤١٥ هـ.

- ٤٢- **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، السيوطي، دار الفكر، بيروت، تط ١٤٠١ هـ.
- ٤٣- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ويونس الشيخ، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٣ هـ.
- ٤٤- **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب الحنبلي، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، تط الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٥- **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، تحقيق أبو اسحاق، طفيش بدون د، ت.
- ٤٦- **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبدالبر، دار الفتح، تط ١٩٧٨ م.
- ٤٧- **جمهرة أنساب العرب**، لابن حزم، بدون، د، ت .  
(ح)
- ٤٨-  **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، بيروت، دار الكتاب العربي، تط الثانية ١٣٨٧ هـ.
- ٤٩- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، لابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٩٨٣ م.
- ٥٠- **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**، لعبد الرحمن السعدي.
- (د)
- ٥١- **ديوان الشافعي**، للشافعي، جمعه وعلق عليه محمد الزعبي، بيروت، دار الجيل، تط الثالثة ١٣٩٢ هـ.
- ٥٢-  **الدر المنتور في التفسير المأثور**، للسيوطى، بيروت، دار الفكر، تط الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٣- **الداء والدواء**، لابن قيم الجوزية، تقديم محمد غازي، جده، دار المدنى، تط ١٤٠٣ هـ.
- ٥٤- **دراسة في السيرة**، عماد الدين خليل، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار النفائس، تط ١٤٠٦ هـ.
- ٥٥- **دليل الفالحين**، شرح رياض الصالحين، محمد الأشعري المالكي، مصر، مطبع مكتبة الحلبي.



(ذ)

٥٦- **ذم الھوى**، لابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مراجعة محمد الغزالى، القاهرة، دار الكتب الحديثة، تط ١٣٨١هـ.

٥٧- **ذيل طبقات الحنابلة** لابن رجب الحنبلى، بيروت، دار المعرفة.

(ر)

٥٨- **الروح**، لابن القيم، الرياض، دار الرشد بدون د، ت.

٥٩- **روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى**، للألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربى، تط الرابعة ١٤٠٥هـ.

٦٠- **رياض الصالحين**، للنووى، تحقيق عبد العزيز رباح، والدقاق، راجعه: شعيب الأرناؤوط، دار المأمون للتراث، بدون تط.

(ز)

٦١- **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، تط الثالثة ١٤٠٤هـ.

(س)

٦٢- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للألبانى، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ١٤٠٥هـ.

٦٣- **سنن أبي داود**، مراجعة وضبط وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، بدون ت.

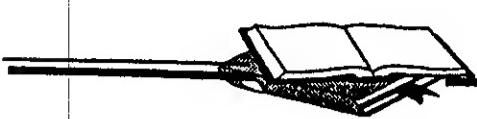
٦٤- **سنن الترمذى**، وهو الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذى، تحقيق عبد الرحمن عثمان، ط ثانية، دار الفكر ١٩٦٤م.

٦٥- **سنن ابن ماجه**، أبو عبدالله محمد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، تط ١٣٩٥هـ.

٦٦- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، بيروت، مؤسسة الرسالة .

(ش)

٦٧- **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفى، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى، ومعه التوضيح بقلم زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، تط ١٤٠٣هـ.



- ٦٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلـي، بيـروـت، دار الآفاق الجديدة، بدون دـ، تـ، مطبـعة القديـسـيـ، تـطـ ١٣٥٠هـ.
- ٦٩- شـعـبـ الإـيمـانـ لـلـبـيـهـقـيـ، تـحـقـيقـ الـبـسـيـونـيـ زـغـلـولـ، بـيـرـوـتـ، دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، تـطـ ١٩٩٠مـ.
- ٧٠- شـرـحـ السـنـةـ لـلـبـغـوـيـ، تـحـقـيقـ شـعـيبـ الـأـرـنـاؤـوطـ، وـزـهـيرـ الشـاوـيـشـ، بـيـرـوـتـ، المـكـتبـ الـإـسـلـامـيـ، تـطـ ١٤٠٠هـ.
- (ص)
- ٧١- صـفـةـ الصـفـوةـ لـأـبـوـ الفـرجـ اـبـنـ الجـوزـيـ، حـيـدرـ آـبـادـ، الدـكـنـ، دـائـرـةـ الـمـعـارـفـ العـلـمـانـيـةـ، تـطـ ١٣٩٢هـ.
- ٧٢- صـيـدـ الـخـاطـرـ لـابـنـ الجـوزـيـ، حـقـقـهـ عـلـيـ الطـنـطاـوـيـ وـنـاجـيـ طـنـطاـوـيـ، سـورـيـاـ، دـارـ الـفـكـرـ، تـطـ ١٤٠٧هـ.
- ٧٣- صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ، مـحـمـدـ إـسـمـاعـيلـ الـبـخـارـيـ، طـبـعةـ فـرـيـدةـ مـصـحـحةـ مـرـقـمـةـ مـرـتـبـةـ حـسـبـ الـمـعـجمـ الـمـفـهـرـسـ، الـرـيـاضـ، دـارـ السـلـامـ، تـطـ ١٤١٧هـ، طـبـعةـ دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، بـيـرـوـتـ - لـبـانـ، بـدـونـ تـطـ.
- ٧٤- صـحـيـحـ مـسـلـمـ، مـسـلـمـ بـنـ الـحـجـاجـ، تـحـقـيقـ وـتـصـحـيـحـ وـتـرـقـيمـ وـأـعـدـ وـعـلـقـ عـلـيـهـ: مـحـمـدـ فـؤـادـ عـبـدـ الـبـاقـيـ، بـيـرـوـتـ - لـبـانـ، دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، بـدـونـ تـطـ.
- (ط)
- ٧٥- طـرـيقـ الـهـجـرـتـينـ وـبـابـ السـعـادـتـينـ، لـابـنـ قـيـمـ الـجـوزـيـةـ، الـرـيـاضـ، الـمـطـابـعـ الـإـسـلـامـيـةـ.
- ٧٦- طـبـقـاتـ الصـوـفـيـةـ، مـحـمـدـ السـلـمـيـ، مـصـرـ، مـطـبـعةـ دـارـ التـالـيـفـ.
- (ع)
- ٧٧- عـمـدـةـ الـحـفـاظـ فـيـ تـفـسـيرـ أـشـرـفـ الـأـلـفـاظـ، الـحـسـينـ الـحـلـبـيـ أـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ، تـحـقـيقـ: مـحـمـدـ باـسـلـ، بـيـرـوـتـ، دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، تـطـ الـأـوـلـىـ ١٤١٧هـ.
- ٧٨- الـعـبـودـيـةـ ، اـبـنـ تـيـمـيـةـ، بـيـرـوـتـ، المـكـتبـ الـإـسـلـامـيـ، تـطـ ١٣٩٩هـ.
- ٧٩- عـلـمـ الـأـخـلـقـ الـإـسـلـامـيـةـ، مـقـدـادـ بـالـحـسـينـ، الـرـيـاضـ، دـارـ عـالـمـ الـكـتبـ، تـطـ الـأـوـلـىـ، ١٤١٣هـ.
- ٨٠- الـعـبـادـةـ فـيـ إـلـاسـلـامـ، يـوسـفـ الـقـرـضاـوـيـ، بـيـرـوـتـ، دـارـ الـإـرـشـادـ لـلـطـبـاعـةـ، بـدـونـ تـطـ.



## (ف)

- ٨١- في ظل الشريعة الإسلامية، تحقق الأمان والحياة الكريمة، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرياض، دار إمام الدعوة، تط ١٤١ هـ.
- ٨١- في ظلال القرآن، سيد قطب، جدة، دار العلم للطباعة، تط ١٤٠٦، ١٢ هـ.
- ٨٢- الفوائد، ابن قيم، تخریج وحواشی احمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، تط ١٤٠٦ هـ.
- ٨٤- فتح القدير بين فنی الروایة والدرایة في علم التفسیر، لمحمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٣ هـ.
- ٨٥- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر، حققه ابن باز، رقم أحاديثه ورتبه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية.

## (ق)

- ٨٦- القاموس المحيط، للفیروز آبادی، بيروت، مؤسسة الرسالة، تط ١٤١٣ هـ.

## (ك)

- ٨٧- كتاب التوحيد من سلسلة إحياء علوم الدين للغزالی، تحقيق وتهذيب زهير الكلبي، بيروت، دار الفكر.
- ٨٨- كتاب التوحيد وإخلاص العمل لوجه الله مع مقدمة عن قضية الدين والفلسفة، تحقيقه الدكتور محمد الجليني، تط الثانية ١٣٩٩ هـ، بدون د.
- ٨٩- كتاب التوحيد، لابن رجب الحنبلي، تحقيق صبري شاهين، الرياض، دار القاسم، تط الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٩٠- الكليات، معجم في المصطلحات والفرق الفردية، للكفوی أبي البقاء، قابلہ على نسخة خطیة، عدنان درویش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، تط الأولى ١٤١٢ هـ.

## (ل)

- ٩١- لسان العرب، لابن منظور، بيروت، دار المعارف، بدون تط، بيروت، دار صادر، تط الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- ٩٢- لباب التأویل في معانی التنزیل، وبها مشه تفسیر البغوي، لعلاء الدين علي ابن محمد الخازن، بيروت، دار الفكر، تط ١٣٩٩ هـ.



(م)

- ٩٣ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ١٤٠٨ هـ.
- ٩٤ - مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، علق عليه شعيب وعبدالقادر الأرناؤود، دمشق، بيروت، دار البيان، تط ١٣٩٨ هـ.
- ٩٥ - مفاتيح الغيب، للإمام الرazi، بيروت، دار الفكر، بدون ت.
- ٩٦ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرazi، بيروت، دار الفكر، بدون تط.
- ٩٧ - مجلة الحرس الوطني، أحمد الجنيدل، (التوكل على الله ودعوى القعود والكسب)، عدد ١٢٢، ربیع الأول ١٤١٤ هـ.
- ٩٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيه، تحقيق: المجلس العلمي، المغرب، فاس بدون تط.
- ٩٩ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، علي الهيثمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، تط ١٤٠٧ هـ.
- ١٠٠ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني.
- ١٠١ - المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الهند، حیدر آباد، الدکن.
- ١٠٢ - المستدرک على الصحيحين، الحاکم النیسابوری، بيروت، دار المعرفة.
- ١٠٣ - مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، بيروت، دار الكتب العلمية، تط الأولى ١٤٠٥ هـ.
- ١٠٤ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبي محمد الحسين البغوي، بيروت، دار الفكر، تط ١٤٠٥ هـ.
- ١٠٥ - منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، بيروت، دار الشروق، بدون ت.
- ١٠٦ - منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد، بيروت، مؤسسة الرسالة بدون ت.
- ١٠٧ - مجموع الفتاوى، لأحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، تط الأولى ١٣٩٨ هـ، بدون د.
- ١٠٨ - مجلة المختار الإسلامي، سيد قطب، (حديث الشهيد سيد قطب وعلى إبراهيم يتوكلون)، القاهرة ٦٠٧ (١٩٧٩ م).



- ١٠٩- محسن التأویل، محمد جمال الدين القاسمي، دفق وخرج وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقی، بيروت، دار الفكر، تط ١٣٩٨هـ.
- ١١٠- مسند الإمام أحمد، شرحه ووضع فهارسه، أحمد شاكر، غير مكمل.
- ١١١- المستخلص في تزكية النفس، سعيد حوى، بيروت، دار عمار، بدون تط.
- ١١٢- معراج القبول، الحکمي، بيروت، دار الكتب العلمية، تط ٤٠٣هـ.
- ١١٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، بيروت، دار الكتب العلمية، مصر، مطبعة الحلبي.
- ١١٤- المقصد الأسمى في شرح معانی أسماء الله الحسنى، الغزالى أبي حامد، قبرص، تط ٤٠٧هـ، بدون د.
- ١١٥- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، تط ١٩٦٩م، بدون د.
- ١١٦- محاسبة النفس، ابن أبي الدنيا، بيروت، دار الكتب العلمية.  
(و)
- ١١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، لابن خلكان، بيروت، بدون د، ت.

فهرس الموضوعات

الموضوع		رقم الصفحة
١ - المقدمة .....	١	-
٢ - التمهيد : .....	٨	-
- المطلب الأول: تعريف التوكل والتواكل لغة واصطلاحا .....	٨	-
- المطلب الثاني: موارد التوكل في القرآن وبيان المراد والمقصود منه.....	١٤	-
- المطلب الثالث: الفرق بين التوكل والتواكل .....	٣٠	-
- المطلب الرابع: فضل التوكل على الله.....	٣٢	-
- المطلب الخامس: التواكل وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع.....	٣٩	-
٣- الفصل الأول : التوكل على الله وعلاقته بالإيمان بالله.....	٤٤	-
- التمهيد : .....	٤٥	-
- المبحث الأول : التوكل على الله جزء من عقيدة المؤمن .....	٥٣	-
- المبحث الثاني : التوكل على الله في أعمال القلوب .....	٧٧	-
- المبحث الثالث : أحوال المتوكلين .....	٨٨	-
٤- الفصل الثاني: التوكل على الله وعلاقته بالجانب الأخلاقي .....	٩٢	-
- التمهيد .....	٩٤	-
- المبحث الأول : التوكل على الله من أخلاق الأنبياء .....	٩٧	-
- المبحث الثاني : التوكل على الله من أخلاق المؤمنين .....	١١٧	-
٥- الفصل الثالث: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب .....	١٢٨	-
- التمهيد .....	١٢٩	-
- المبحث الأول : أركان التوكل على الله .....	١٣١	-
- المبحث الثاني : التوكل على الله من أسباب النصر .....	١٤٠	-
- المبحث الثالث : القدرة والمشيئة والأسباب .....	١٤٧	-
- المبحث الرابع : الأعمال التي يعملها العباد في تحقيق التوكل .....	١٥٥	-
- المبحث الخامس : مجال التوكل على الله .....	١٥٧	-

الموضوع	رقم الصفحة
٦- الفصل الرابع : بوات التوكل على الله تعالى .....	١٦٧
- التمهيد.....	١٦٨
- المبحث الأول: رسوخ معانى أسماء الله الحسنى وصفاته في النفس .....	١٦٩
- المبحث الثاني: حسن ظن المؤمن بربه واعتماده عليه .....	١٧٩
- المبحث الثالث: استسلام العبد وطمأنينته وافتقاره لله سبحانه وتعالى....	١٨٧
- المبحث الرابع : حسن جراء المتكلمين.....	١٩٤
٧- الفصل الخامس: موائع التوكل على الله .....	٢٠٢
- التمهيد.....	٢٠٣
- المبحث الأول : الجهل بأسماء الله وصفاته سبحانه .....	٢٠٧
- المبحث الثاني : ضعف اليقين بالله تعالى .....	٢١٨
- المبحث الثالث : التكبر على آيات الله.....	٢٢٥
- المبحث الرابع : الغرور والعجب بالنفس .....	٢٣١
- المبحث الخامس : الهوى والشهوات.....	١٣٧
٨- الفصل السادس : ثمرات التوكل على الله.....	٢٤٣
- التمهيد.....	٢٤٤
- المبحث الأول : تحقيق الإيمان .....	٢٤٦
- المبحث الثاني : السكينة والثبات .....	٢٤٨
- المبحث الثالث : الأمل والرجاء .....	٢٥٨
- المبحث الرابع : محبة الله تعالى ودخول الجنة بغير حساب .....	٢٦٩
- المبحث الخامس : الرضا والصبر .....	٢٧١
- المبحث السادس : العزة والقوة .....	٢٨١
- المبحث السابع : يقي من سلط الشيطان والسحر والحسد والعين .....	٢٩٠
- المبحث الثامن : كشف الهم والكرب .....	٢٩٢
- المبحث التاسع : يورث الرزق ويجلب المنافع ويدفع المضار ....	٢٩٨



## الموضوع ..... رقم الصفحة

- المبحث العاشر : الدخول في كنف وكنية الله تعالى .....	٣٠٠
- المبحث الحادي عشر: الفوز والغلبة.....	٣٠٦
- الثاني عشر : التسليم للقضاء والقدر.....	٣١١
٩ - الفصل السابع : التوكل على الله وأثره في تزكية الفرد والمجتمع .....	٣١٧
- التمهيد.....	٣١٨
- المبحث الأول: أثر التوكل على الله في تزكية الفرد .....	٣٢١
- المبحث الثاني: اثر التوكل على الله في تزكية الفرد والمجتمع ....	٣٣٠
١٠ - الخاتمة.....	٣٣٤
الفهارس : .....	٣٣٧
١- فهرس الآيات القرآنية .....	٣٣٩
٢- فهرس الأحاديث .....	٣٥٦
٣- فهرس الأعلام.....	٣٥٩
٤- فهرس المصادر والمراجع .....	٣٦١
٥- فهرس الموضوعات.....	٣٧١

٢٩٧٧